

لِخِطَابِ كَلِمَاتِ الْوَفِيِّ

بِشْرَحِ

رُفَاظِ كَرْبِ السَّيْفِي

لِلْعَلَمَةِ السَّيْفِي

سَيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عِمْرَانَ اللَّهِ

النَّاشِرُ

الْحَاجُّ حَسَنُ آخُونُ وَأَوْلَادُهُ

كَانُوا نِيَجِيْرِيَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك يا من خص أوليائه المقربين بالأذكار والأوراد، واجتباهم لحضرة قدسه بما ألهموا من الأحزاب فحصلوا على المراد، ورقاهم المولى لأعلى المقامات، لما جبلت نفوسهم على محبة التسبيح والدعوات، فنالوا من الله الحظ الأوفر من كل مرام، حتى أن أحدهم لو أقسم على الله لأبره بسرعة وإكرام، وعاجله بمطلوبه مع الإجلال والاحترام، وأناله مرغوبه في جميع الليالي والأيام، فسبحانه من إله ما أحلمه على العباد، ومن رب كريم رؤوف جواد.

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده ورسوله الصادق في أقواله وأحواله ﷺ وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه، الذين قاموا بنصرة الدين وشيدوا لقواعد بنيانه، صلاة وسلاماً يدومان بدوام الأبد، لا نهاية ولا حد لآخرهما ولا عدد، ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان، في كل عصر وأوان.

وبعد:

فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، وأحوجهم إلى فضله ورحمائه، المشفق من سوء كسبه وخطاياهم، محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله، غفر الله له ولوالديه ولمتعلقاته يوم لقاءه، وأسكنه فسيح جنته جميع الأحبة ومن والاه، بجاه حبيبه ومصطفاه، ﷺ صلاة تامة ننال بها في الدارين رضاه، لما من الله بالدخول في زمرة خاتم الأولياء، وأخذ ورد إمام الأصفياء، القطب الأكبر، الكبريت الأحمر، الرفيع الذكر الأشهر، صاحب اللواء الأخضر، شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الواصل القدوة الكامل، الطود الشامخ، العارف الراسخ، جبل السنة والدين، وعلم المتقين والمهتدين، العلامة

الداركة، المشارك الفهامة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفائض النور والبركات على الخليفة، الواضح الآيات والأسرار، ومعدن الجود والافتخار، نادرة الزمان، ومصباح الأوان، الشريف القدر والمباني، أبي العباس سيدنا ومولانا أحمد التيجاني، ابن الولي الكبير، العالم النحرير، المدرس النفاع، النبوي الاتباع، أبي عبد الله سيدي محمد فتحا ابن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم التيجاني، سقاني الله والمحبين من فيض مدده العرفاني، بأعظم الكؤوس والأواني.

من مثلكم يا أبا الخيرات يشبهكم
والله ما رأيت العينان مثلكم
وما على إذا ما قلت معتقدي
والله والله والعظيم ومن
إن الذي قلت بعض من مناقبه
قد حزتم السر والأخلاق والشيماء
في العصر قاطبة يا بهجة العلما
دع الجبول يظن العذل عدوانا
أقامه حجة للناس برهاننا
ما زدت إلا لعلى زدت نقصانا

وكانت أوراد سيدنا أفضل الأوراد، وأعظم ما يقتني ويستفاد، وكيف لا وبروزها على يد سيد الوجود، وعلم الشهود، إذ هو الذي أفاضها على شيخنا يقظة من غير جحور، وأمره ﷺ بتلقنها لكل طالب ومريد، من ذكور وإناث وأحرار وعبيد، غير أن منها ما يلحق للعامة والخاصة، ومنها ما هو مخصوص بخلاصة الخلاصة، فكان من هذا القبيل، الحزب السيفي ذو السر الجليل، وقد وقع في أفاظه اضطراب بين الإخوان، ومخالفة مشهورة واضحة للعيان، وكان من منن الله علي، ومن فضل كرمه وجوده لدي، أن أطلعني الله على رواية سيدنا في هذا الحزب الجليل فوقفت على نسخة عتيقة عند بعض أولاد الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة مكتوب على ظهرها إجازة سيدنا له فيه بخط يمينه فقابلتها بنسخة وقفت عليها في الجواهر الخمس فوجدتهما متوافقتين والحمد لله.

ثم اعلم أن السيفي فيه لفظان الكبير والصغير وكلاهما أخذه سيدنا الشيخ ﷺ عن النبي ﷺ لكن الذي ثبت عن ثقات الأصحاب، وأهل للتحقيق من الأخلاء الأحباب، هو اللفظ الكبير إذ هو الذي كان يلقنه سيدنا لأصحابه ووصل إلينا بالتواتر والأخذ كإبراً عن كابر كما يأتي بيانه إن شاء الله في السند، ولما صححت هذه النسخة طلب مني

بعض الإخوان، شرح بعض ألفاظها وإن لم أكن أهلاً للخوض في هذا الميدان، ولا للركوض برجلي بين الفرسان لكن حملتي على ذلك محبة هذا الشيخ الجليل، العديم النظير والمثيل خاتم الأولياء، وعلم الأصفياء، أبي العباس سيدي ومولاي أحمد التيجاني، أمدنا الله من بحره العرفاني وسقانا من شرابه الصافي بأرفع الأواني، ومحبة أوراده العظيمة المقدار، المشهورة النفع كاشتهار نار على منار، والخدمة لأعتابه الشريفة والتطفل على موائد أسراره المنيفة، فأسأل الله العظيم، متوسلاً برسوله الكريم، أن يجعله من شوائب الرياء والدعوى سالماً، وأن ينفع به نفعاً عميماً دائماً، وأن يجعله من خير أعمالنا التي لا تدرس ولا تبلى، وتنفع صاحبها يوم تختبر السرائر وتبلى، إنه الجواد الكريم المفضل، الذي يجب أن يسأل فيجيب السؤال، وأسأل كل من نظر فيه أن ينظره منصفاً لا متطلباً للمساوىء متعسفاً، فإني والله معترف بجهلي وقصوري، ولكنني توكلت على الله في وردي وصدوري، إذ لا يخلو مصنف من الهفوات، ولا ينجو مؤلف من العثرات، فكن يا أخي متمسكاً بقوله ﷺ: «طوبى لمن شغله عيبه من عيوب الناس»، وبقوله ﷺ: «من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته».

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

لا تلتمس من مساوىء الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً من مساويك
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحد منهم بما فيك

وقال الإمام مالك رضي الله عنه: أدركنا ناساً لا عيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس فحدثت لهم عيوب وأدركنا آخرين لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فسكت الناس عن عيوبهم.

وقال بعض الحكماء: أي عالم لا يهفو وأي صارم لا ينبو وأي جواد لا يكبوا اهـ.

هذا وإني أعترف بأنني لست من ذوي التصنيف، ولا بنان لي في تهذيب التأليف، فليتلق الناظر الحكمة ولو من غير حكيم، ويغتتم العلم ولو من غير عليم فإنما أنا متطفل، ويجمع كلام العلماء متكفل، فلا أرى لنفسي في مناصب المصنفين استحقاقاً،

ولا أن لي بأدنى مراتب المؤلفين لحاقاً، غير أنني رأيت محبة أهل الخير والصلاح، تورث كل مأمول ونجاح، والتشبّث بأذيالهم تجارة وفلاح، فمن نعم الله علينا أن وفقنا للأخذ عن هذا الولي الكبير والتمسك بحبله فإنه أقوى عروة تمسك بها كل نحير، أماتنا على اتباعه ومحبته، وجعلنا من أهل حزبه وزمرته، وأسكننا وجميع المحبين الفردوس الأعلى في جوار جدّه سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وعترته.

وسمّيته: «إتحاف الخل الوفي، بشرح ألفاظ الحزب السيفي»، أو «هدية الأنخ المحب الفاني، بحل ألفاظ الحرز اليماني».

ولا بد أن نقدم قبل الشروع في المقصود مقدّمة تكون معينة للطالب على نيل كل أمر محمود، مشتملة على بعض فضائله وسنده، وكيفية ذكره وكتابته لجمله، فأقول مستعيناً بالله الكريم الوهاب، مستمداً منه التوفيق للصواب.



مقدمة

قال سيدنا عليه السلام كما في جواهر المعاني: ومن جملة الأدعية دعاء السيدي ففي المرة الواحدة منه ثواب صوم رمضان وقيام ليلة القدر وعبادة سنة، كما أخبرني به سيدنا عليه السلام عن سيد الوجود عليه السلام اهـ. وقال محب سيدنا وخليفته العالم العلامة سيدي عمر الفوتي في كتابه الرماح ما نصه، وأما الحزب السيدي فله اثنا عشر ألف خاصية قال شيخنا عليه السلام وأرضاه وحشرنا في زمرة يوم لقاءه: قال جبريل للنبي عليه السلام: «للسيدي اثنا عشر ألف خاصية ستة آلاف في الدنيا، وستة آلاف في الآخرة»، فمن داوم على قراءته حصلت له الخواص بأجمعها الدنيوية والأخروية اهـ. وقال الشيخ أبو عبد الله الأندلسي اعلم أن من كان سعيداً في الدنيا والآخرة يصل إليه هذا الدعاء المبارك اهـ. وقال سيدنا وسندنا ومن عليه بعد الله اعتمادنا واستنادنا أبو العباس التيجاني عليه السلام وأرضاه إن الحزب السيدي وصلاة الفاتح لما أغلق يغنيان عن جمع الأذكار، حيث كانت وما توجه متوجه ولا تقرب متقرب إلى الله تعالى بأفضل منهما، وأما السيدي فهو للنبي عليه السلام وهو الذي ألفه كما سيأتي في بيان سنده، قال: وله ستون ألف كرامة اهـ. قال سيدي عمر الفوتي: ومرادي أن أذكر من كراماته الأخروية فقط شيئاً قليلاً يمكن لي ذكره وإفشاؤه فأقول منها أن من لازم قراءته صباحاً ومساءً يحبه الله محبة خاصة ومنها: أن من كتبه وعلقه عليه يعد من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وإن لم يذكره اهـ. قال سيدي محمد الكنسوسي عليه السلام: وهو حجاب عظيم ليس له مثل وبه كان سيدنا عليّ كرم الله وجهه يقاتل الكافرين والمشركين والخوارج وكان يعلقه على عضده الأيمن، وأخبرنا - يعني بواسطة بعض تلامذته - سيدنا التيجاني عليه السلام أنه قال: قاتل به سيدنا عليّ كرم الله وجهه وشق نصفين أربعمئة من الخوارج غير الأبطال اهـ. من خط الفقيه العلامة المذكور قدس الله روحه.

ثم قال سيدي عمر: ومنها: أن من لازم قراءته صباحاً ومساءً لا يكتب عليه ذنب ومنها: أن من لازم قراءته صباحاً ومساءً غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه، ومنها: أن

من قرأه في سنة لا تكتب ذنوبه في تلك السنة، ومنها: أن من قرأه مرة يعطى عبادة سنة، ومرتين يعطى عبادة سنتين، وثلاثاً يعطى عبادة ثلاث سنين وهكذا على هذا المهيح، ومنها: أن الله تعالى يعطي قارئه ثواب صوم رمضان، ومنها: أن الله تعالى يعطي قارئه مرة مثل ثواب قيام ليلة القدر بالغاً ما بلغ في كل مرة، ومنها: أن من قرأه إحدى وأربعين مرة فإن الله تعالى يرزقه كرامات الأولياء ويجعله مصباحاً لهم في كل مكان بإذن الله تعالى، ومنها: أن من قرأه كل صباح ثلاث مرات إلى تمام أربعين صباحاً نال كرامة الأولياء وصار عزيزاً مكرماً بين الخلائق لا يخاصم ولا يدافع، ومنها: أن من قرأه إحدى وأربعين صباحاً متوالياً بلغه الله تعالى مرتبة الولاية وكان من أولياء الله تعالى الذين يتصرفون في الغيب، ومنها: أن من أراد رؤية نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أو واحد من أهله أو أقاربه فليقرأه إحدى وأربعين مرة فإنه يراه بإذن الله تعالى، ومنها: أن من قرأه على نفسه وولده إحدى وأربعين مرة لا يرون في الدنيا شدة ولا في الآخرة مشقة، ومنها: أن من قرأه مرة واحدة أنجاه الله تعالى من موت الفجأة زاد سيدي غوث الله في الجواهر الخمس ويذهب من الدنيا بالشهادة، قال الشناوي: مرة صباحاً ومرة عشية، ومنها: أن المداوم على قراءته لا يخرج من الدنيا إلا مع الإيمان ولو كانت أعماله لا تصلح ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر غفر الله تعالى بفضله وتاب عليه توبة نصوحاً. قلت: وهذا مطلب العقلاء، ومحط رجال الأتقياء والأصفياء، لأنه ما قطع أكباد العارفين إلا خوف سوء الخاتمة.

من الدواهي خصوصاً خوف خاتمة، قد خاب منها فحول العلم والعمل، قال أبو حامد الغزالي رحمته الله: إن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلاً عن التحقيق والاستيقان وهذا الذي قطع قلوب العارفين إذا الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك ثم قال بعد كلام طويل، قال بعض العارفين: لو حال بيني من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانه فمات لما قطعت له بالتوحيد لأنني لا أدري ما ظهر له التقلب، وقال بعضهم ولو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام لأنني لا أدري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة إلى باب الدار وكان سهل يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ رَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وكان أيضاً يقول: المرید يخاف من المعاصي

والعارف يخاف أن يبتلي بالكفر اهـ. وقال الشريشي في رائيته: «فإن ختام الأمر عنك مغيب ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر». قال الشيخ الإمام سيدي أحمد بن المبارك عن العارف بالله سيدي عبد العزيز الدباغ في كتابه الإبريز ما نصه يقول والله أعلم ولا ترين أيها المرید في الأرض مؤمناً أو كافراً أدنى منك منزلة وأخفض منك عند الله مرتبة بل اعكس الأمر وقل إنك دون كل أحد واستمر على ذلك إلى أن تموت، قال أبو يزيد البسطامي رحمته الله: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعاً، قال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً وتواضع مع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه قال في العوارف وقد سئل يوسف بن أسباط ما غاية التواضع، فقال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيته خيراً منك اهـ.

ثم قال: نقل أيضاً عن أبي طالب المكي ما نصه ومن خوف العارفين علمهم بأن الله عز وجل يخوف عباده بما شاء من عباده الأغلين يجعلهم نكالا للأدنين، ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكماً منه فعند الخائفين في علمهم أن الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ونكل بطائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين. وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله أعلم بما وراء ذلك فصار من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويفاً وتهديداً لأصحابهم وهذا داخل في وصف من أوصافه وهو ترك المبالاة بما ظهر من العلوم والأعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الأحوال إلى حال ولا أمن من مكر الله عز وجل عالم به في كل الأحوال اهـ منه بلفظه، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] رزقنا الله الموت علي الإيمان، والنطق بالشهادة عند الخروج من دار الغرور والخسران، بجاه سيد ولد عدنان رحمته الله، في كل وقت وأوان.

ثم قال سيدي عمر الفتوي رحمته الله: ومنها: أن من داوم على قراءته خلق الله تعالى له شخصاً حسن الوجه فإذا دنا أجله جاء إليه ذلك الشخص وجلس قبالة فينظر إليه فيعجبه حسنه وجماله ويستبح الله ثم يخرج روحه من غير تعب ولا مشقة وهو لا يتوجع ولا يدري بشيء، ومنها: أن الملكين إذ جاءاه في قبره ليسألاه عن حاله يأمر الله تعالى هذا الحرز يجاوب عنه بأحسن جواب، ومنها: أنه إذا قام يوم القيامة يخرج من قبره ووجهه كالقمر ليلة نصفه ببركته، ومنها: أنه إذا قام من قبره أول ما يصفح

النبي ﷺ، ومنها: أنه إذا حضر للميزان أمر الله تعالى أن لا يحاسبوه ويقول إنه كان يداوم في الدنيا على قراءة الدعاء، ومنها: أنه إذا وصل إلى الصراط جعل الله تعالى هذا الحرز مركباً على الصراط، ويقول: اركبني واعبر على الصراط في أقل من لمح البصر وقيل يحمله ملك ويمر به فإذا سلّم يقول له: من أنت، فيقول له: دعاؤك الذي كنت تدعو به في الدنيا، ومنها: أن النبي ﷺ يأمر الزائرين إذا أتوه لزيارته بإكرام قارئ هذا الدعاء، ومنها: أن من داوم على قراءته خلّده الله تعالى في الجنة ببركته، ومنها: أنه لا يكون لأحد خلعة ولا أعلى درجة أكثر من قارئ هذا الحرز، ومنها: أن الله تعالى يهب له بكل حرف من هذا الدعاء درجة في الجنة ببركته، ومنها: أن من قرأه معتقداً ببركته، حضره سبعون ألف ملك، فإذا قال: اللهم أنت الملك الحق المبين إلى قوله: لا إله إلا أنت سجدت الملائكة كلها لله عز وجل وسألوه أن يقضي حاجة الداعي اهـ. ومنها: قال الشيخ الإمام العالم الهمام سيدي محمد بن حكيم الدين بن بايزيد المتوفى خامس رمضان سنة تسع وخمسين أو ستين وتسعمائة كما في الرحلة العياشية في جواهره الخمسة ما نصه اعلم أن السيفي آية من آيات الله فيه عجائب لا تحصى وغرائب لا تنكر وأكثر أهل الله وجدوا فيض الله من هذا الدعاء وصاروا محظوظين بالحظ الأوفر، وروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن له أسماء عديدة منها: سيف الله، ويمين الله، وقدرة الله، ويد الله، وبرهان الله، وصمصام الله، زاد الشناوي: وصمصامة. قلت: قال في القاموس ممزوجاً بشرحه للشيخ مرتضى والصمام السيف الذي لا ينثنى في ضربته كالصمصامة وفي حديث: «لو وضعت الصمصامة على رقبتى»، وفي حديث: «قسن تردوا بالصمصام» أي: جعلوها لهم بمنزلة الأردية لحملهم لها وحملهم حمائلها على عواتقهم اهـ منه.

ثم قال: والحرز اليماني وسهم الله وحرز البر والحرز المرتضوي الحرز الأعظم والحرز السيفي اهـ. قلت: وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ويكفي في شرف هذا الحزب أنه مرفوع إلى الحضرة النبوية التي قال فيها الرب جل جلاله وعز سلطانه وكماله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] وسيأتي إن شاء الله بيان سنده، ثم قال في الجواهر: ومن قرأ هذا الحرز وحفظه من نفسه لا يؤثر فيه أبداً كيد العدو وغلبته وحفظ من السحر والظلمس والطواغيت وعين السوء والحية والعقرب والأسد والذئب وغير ذلك، وقارئ هذا الحرز لم يزل مقبولاً عند الخلق عزيزاً ولم

يزالوا منقادين له ومطيعين أمره وأيضاً للمحبة والعداوة وعقد اللسان والنوم، وكل نية له يقرؤه أو يحفظه أو يحمله ومن قرأه على شربة عسل أو سكر نبات ويشربها مع عياله وأطفاله لم تزل الدولة منوطة في بيته ويرتقي دائماً يوماً فيوماً ولا تنزع من أهل بيته وأولاده أبداً. ومن كتبه للعبد القادر والآبق مطلقاً وللمحسوب ووضعته تحت حجر عظيم رجع الآبق ووصل إليه المحبوب. ومن تحير في أمر من الأمور ولم يدر ما التدبير فيه فيلقم ليلة الجمعة نصف الليل ويصلي ركعتين يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن ويصلي على النبي ﷺ مائة ويقرأ بعده، الحرز ثلاثاً وآية الكرسي مرة نجاه الله تعالى من هذه الواقعة وخلصه من البلاء والآفات والشدة وظهر أثره تلك الليلة ورزقه الله الفرج من حيث لا يحتسب ومن كان مسجوناً أو أسيراً فليقرأه إحدى وأربعين مرة يخلص بإذن الله تعالى، ومن قرأه ومسح به على الملسوع من الحية أو العقرب ينزل سمه من ساعته، ومن قصد السلطان هلاكه فليغتسل ويلبس الثياب الطاهرة. ويقرأ الحرز مرة ولا يتكلم مع أحد ويذهب إلى السلطان فإذا واجهه يقول: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث حفظ من القتل وآمنت روحه من التلف بفضل الله تعالى، ومن فقد له شيء ولم يدر من أخذه فليصل في ليلة ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] مرة، وفي الثانية بعدها: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١] و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١] مرة ثم يقرأ الحرز وينام على طهارة يرى في المنام مفقوده وسارقه، ومن أهمه مهم فليصل الأربعاء والخميس والجمعة ويصلي ليلة السبت ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢] إلى قوله ﴿قَدَرًا﴾ [الطلاق: ٣] خمسة وعشرين مرة ثم يقرأ الحرز ويرقد على طهارة يرى فتح أمره. ومن كتبه وحفظه في بيته لا يضره السارق والماء والنار، ومن كان معه هذا الحرز وقام في الصفوف والمبارزة لم يحتج إلى الجوشن والدرع والدرقة والمجنة ووقعت هيبة في روع الأعداء، أي: في قلوبهم وعقولهم يقال وقع ذلك في روعي أي: خلدي وبالي، وفي الحديث: «أن الروح الأمين نفث في روعي» قاله في المختار، ومن كتبه ومحاه وسقى محوه للصبى يفتح له باب التحصيل.

قال الشناوي في شرح الجواهر: ولو في الصنائع والأسباب والمراتب والمقامات والمناصب. ومن كتبه ووضعته تحت المخدة ويرقد عليه الزوجان مع طهارة كاملة رزقهما الله ولداً صالحاً، ومن كان به ريح أحمر من أي نوع كان فليقرأه أربعين يوماً على شيء من المأكولات ويطعمه يبرأ بإذن الله تعالى، ومن أبق له آبق فليكتب هذا

الحرز ويضعه في حق طاهر ويسد فمه بشمع ويضعه في بيت طاهر تحت حجر ثقيل يرجع أبقه ومن توجه إليه مهم عظيم فليغتسل غسل طاهراً ويلبس ثوباً طاهراً ويبخر في الخلوة بعود وعنبر ويضع يده على هذا الحرز، ويقول: اللهم إني أتشفع إليك بهذا الحرز حصل مهمة بلا كلمة ويحصل مراده بلا مشقة، ومن كان له عدو عظيم يخافه فليقرأه إحدى وأربعين مرة وإن لم تكن له فرصة لذلك فسبعة أشرف أي: إخوان في الله يقرؤونه فلو كان العدو مثل الجبل يصير كالتبن يعني ذليلاً حقيراً وإن قرأه مديان سدت عنه ديونه، أي: قضيت ومن له أولاد وبنات وتحير في أمورهم واستعداد متاعهم فليقرأه على الماء الجاري ويسقيهم يكفيه الله أمورهم وكفى بالله نصيراً ومن كتبه بمسك وزعفران وعلقه على العضد الأيمن ويتوجه إلى السلطان يعزه وإن تجادل مع أحد يغلبه أو داعى شيئاً يظفر به وليكن قيامه على الحشب الأيسر من السلطان أو غيره. ومن كان عينياً فليقرأه أربعين يوماً ويكتبه ويسقى العين ويحفظه زالت عنه ويصير رجلاً قادراً على الجماع ومن كتبه مع سورة الفتح على راية الإمام ويقابل به العدو ينهزم العدو بلا شك ومن كان مريضاً وعجز الأطباء عن علاجه فليكتبه على طاس من نحاس أصفر أو قرح فخار أو خشب أو صيني بمسك وزعفران وماء ورد ويسقى محوه للمريض يبرأ ويشفى بإذن الله تعالى ومن كتبه بمسك وزعفران وربطه في عنق الفرس أو الفحل وتركه في قطيعه نما أي: كثر وحفظ ولم يفت منه شيء ومن كتبه بمسك وزعفران وربطه بعنق المصروع زال الصرع عنه وشفى وإن كانت امرأة عقيمة فليضع هذا الحرز تحت المخدة إلى ثلاث حيض ويجماعها مع الطهارة تحمل ^{توتزوق} ولداً صالحاً ومن كان معه هذا الحرز ووقعت له خصومة مع أحد فإن كان مغلوباً يصير غالباً ومن واطب عليه بنية سعة الرزق رزقه الله تعالى ذلك.

قال الشيخ الإمام العلامة الهمام وحيد العصر والأوان مرید الدهر والزمان الماهر بعلمي الحقيقة والشريعة بين الفرسان أبو المواهب سيدي أحمد بن عبد القدوس القرشي العباسي الشناوي ثم المدني وكان يلقب بالخامي المتوفى خامس ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وألف، ودفن بالبقيع قرب شيخه سيدي صبغة الله مؤلف الجواهر الخمسة في الرحلة العياشية في شرحه على الجواهر ما نصه: ومن ضاقت مذاهبه من أسر أو قهر أو فقر قل أو ذل أو مرض أعيا الأطباء أو عكس جفاه فيه الأحياء وتراكت همومه وألجمه طوفان الغم ولم يجد بداً ولا ملجأً فعليه بملازمته ليلاً ونهاراً حتى يجعل الله له مخرجاً

وإن كان دون ذلك رتبة خلف كل صلاة وكل هذا الباب أن الأمر الدائم يلازم عليه الورد الدائم ومن لازمه قبل أمر لم يهجم عليه لأن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ومن ذكر الله ذكره الله فكان في حرز الله وأمانه وذمته ولا تنخفر ذمة الله اهـ، وقال في الجواهر ومن قرأه أربعين مرة لإحضار الخضر عليه السلام يحضر قلت: ولخضوره شروط روحانية ومجاهدة بحيث يكون في قابلية مزاجك تهيؤاً للقاءه ومناسبة للتلقي منه ودامت على حجابك وملازمة معتادك حضرك ولا يراه بصرك ويقوم الحجة عليك اهـ.

ومن أراد أن يكون عدوه حبيباً له فليقرأه ثلاث مرات وفي كل إشارة يكتب موضع الإشارة على كفه ويقابل به جانب العدو ويصير صديقاً حميماً من ساعته ويروى أنه جاء ملك من الملوك إلى أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعرض عليه أحواله بأنه كان ملكاً من الملوك العظام مع المال والمنال والملك العظيم قال: وقصد عدوي هلاكي وعجزت عن دفعه متندماً أي: في غاية الندم والغلبة كالشارب الثمل وأنا مهموم فأخذني النوم ورأيت فيه قائلاً يقول: اذهب إلى أمير المؤمنين وقل له علمني الحرز الذي علمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنجوا من هذا الغم فقلت وجئت لحضرتك فلا تجعلني خائباً محروماً فعلمه الأمير الحرز، فذهب به إلى الوطن فما مضى عليه زمان قليل إلا وقد وصل الخبر بظفره على عدوه وهلاك العدو ونجا من الغم ووصل إلى السلطنة كما كان قال الشناوي وكذلك الولاية الخاصة حتى لو أراد صحبة الخضر عليه السلام وقع له ذلك فإن داوم العمل دامت صحبته ولم يستطع أن يقول له لن تستطيع معي صبراً وعلى هذا القدم كان صاحبنا الشيخ أبو بكر بن القطب يحيى المنيري قدس الله سره وكان له جيب من الغيب في زره ينفق منه ما أراد ولا يرى أحد معه شيئاً كان لا يقبل الصدقة ويقول الفقراء سلاطين الله في أرضه وكانت له اليد الطولى في الحديث والفقهاء والتفسير ومطارحات في طامات المسائل ومعضلات المشكلات مع سيدنا العالم صبغة الله عنهما اهـ.

ثم قال في الجواهر: ومن قرأه للسلامة في السفر وقت التوجه رجع إلى وطنه سالماً وأيضاً يقرأ لهلاك الخصم سبع ليالي من الجمعة كل ليلة سبع مرات يقرأ سورة طه مرة وهذا الدعاء مرة واحدة يظهر على خصمه ويكون مقهوراً البتة، بلا شك ولا ريب ولتسخير الخلاق يصوم ثلاثة أيام ويقرأ كل صباح مرة ويمسح بيده وجهه ولسلامته من السراق يقرؤه ويدور سبأته حوله ومن أكل سماً فليكتبه بمسك وزعفران ويمحوه ويشربه

يندفع عنه السم ويحصل له الشفاء ومن كان عقيماً فليكتبه بمسك وزعفران ويمحوه ويشربه ويصلي ركعتين ثم يقرأ هذا الحرز ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم ويجامع امرأته يرزقه الله تعالى ولداً كاملاً صالحاً ومن قرأه ونفث على يديه ومسح بها وجهه لم يزل وجهها وزاد ماء وجهه ومن أراد أن يذهب لمعركة فليصل ركعتين ويقرأ في كل منهما بعد الفاتحة والإخلاص ثلاثاً ثم يقرأ الحرز وينفث على يده اليمنى ثم يقرأ الحرز وينفث على يده اليسرى ثم يقرأ ويمسح بيده الوجه والصدر ويذهب إلى المعركة لم يصبه أذى من الجراحة ويقع روعه في روع العدو ويكون منصوراً مظفراً عليهم ومن وقع في صحراء ليس فيها ماء ولا طعام ينبغي له أن يتيمم ويصلي ركعتين ويقرأ في كل منهما بعد الفاتحة والإخلاص سبعاً، ثم يقرأ الحرز يرزقه الله الماء والطعام من الغيب ومن ابتلى بفقر يقوم قبل الصبح أربعين يوماً ويغتسل ويصلي ركعتين يقرأ في كل منهما الفاتحة آية الكرسي مرة والإخلاص ثلاثاً وبعد السلام يصلي على النبي ﷺ عشراً ثم يقرأ هذا الحرز مرة دائماً بلا انقطاع ولا تعطيل وإن وقع الانقطاع يتوب ويستأنف ومن قرأه لدفع العقدة عن الكنوز بعد العشاء سبعاً أو ثلاثاً وليكن موضع القراءة بحيث لا يكون بينه وبين السماء حائل ويصلي أولاً ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] سبعين مرة، ثم يقوم ويذكر ذكر الكرويين وهم سادات الملائكة يعني: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويقرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] إلى قوله: ﴿يُرْشِدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] منضماً إليه يا غيائي عند كل كربة، ومجيبني عند كل دعوة، ومعاذي عند كل شدة، ويا رجائي حين تنقطع حيلتي سبعاً ويعقد ويضع العمامة بين يديه ويقرأ الحرز مع الملاحظة القلبية ليستجاب له ويحافظ على هذا الترتيب أربعين ليلة متوالية يفتح له وإن لم يفتح يفعله ثلاث أربعينات أرجو الله أن يفتح له ما رامه.

وذكر سيدنا الشيخ أبو العباس التيجاني رحمته الله: وأرضاه وحشرنا تحت لوائه يوم لقاءه في وصية له ومن مكفرات الذنوب مداومة الحزب السيفي مرة في الصباح ومرة في المساء فإن من داومه لم يكتب عليه ذنب اهـ. وفي أخرى له لما تعرض فيها لمكفرات الذنوب ما نصه، وكذلك الحزب السيفي لمن يقدر على حفظه، وفي أخرى تعرض فيها لذلك أيضاً ما نصه ومنها الحزب السيفي لمن اتخذه ورداً صباحاً ومساءً وأقل ذلك مرة مرة وأكثر لا حد له اهـ.

فائدة وتنبية لكل طالب نبيه

قد وقفت على تقييد لسيدي عمر الفوتي رضي الله عنه على الحزب السيفي: فإذا هو مشتمل على بعض الخواص المتقدمة مع هذه الفائدة الجليلة ونصها، وأما مواضع الإجابة في هذا الدعاء فعشرة مواضع:

الأول: عند قوله ولم يكن إله سواك.

والثاني: عند قوله في ظلم الخفيات ضالة.

والثالث: عند قوله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

والرابع: عند قوله الكبير المتعال.

والخامس: عند قوله ما أوليتني به من إمتدادك وكرمك.

والسادس: عند قوله بالعزة والعلاء.

والسابع: عند قوله ولا أبلغ شكر شيء منها.

والثامن: عند قوله فيما مضى منه برحمتك يا أرحم الراحمين.

والتاسع: عند قوله ولا ينقص من جودك فيض فضلك.

والعاشر: عند قوله يا من قامت السموات والأرضون بأمره.

فهذه عشرة مواضع إذا وصل الداعي إلى إحداها فليطلب من الله تعالى ما أراد من أمور الدنيا والآخرة فإنه سبحانه وتعالى يستجيب له بفضله وكرمه والأصل كله في النية وحضور القلب وقت الدعاء واليقين بالإجابة والله هو الموفق سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومن خواص هذا الحرز المبارك: إشارات وحدوده ينبغي كتمها.

الأولى: عند قوله: أنت الله الملك الحق المبين يسجد، ويقول: سبحانك أنت الله

الملك الحق المبين ثلاث مرات ويذكر الاسم الأول من الأربعين الإدريسية وهو: سبحانك لا إله إلا أنت الخ، ثم يسأل الله كشف حجابيه ليشهد الأولياء.

الثانية: عند ورميت من رماني بسوء يقول: حسبي الله ونعم الوكيل سبع مرات، ثم يدعو بما شاء من دفع عدو وغير ذلك ويناسبه من الأذكار يا مذل سبع مرات.
الثالثة: عند يا رب يقوله ثلاث مرات ويدعو بما شاء.

الرابعة: عند وحدك لا شريك لك يقولها سبع مرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعند: ليس فيها أحد سواك يقول وأفوض أمري إلى الله أربع عشرة مرة ويذكر يا إله الآلهة الرفيع جلاله ثم يسأل رفع الدرجات ودوام النعم وما أشبهه.

الخامسة: عند فمن تفكر في إنشائك البديع وثنائك الرفيع إلى قوله: ﴿حَسْبُكَ﴾ [الملك: ٤] يقول: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ویتلو الآية إلى قوله: ﴿حَسْبُكَ﴾ ثم يقول: يا قدوس الطاهر من كل آفة بلا شيء يعادله من جميع خلقه سبع مرات ثم يتعوذ من أعين الظالمين وكذلك إذا كان خائفاً من ظالم أو قوم سوء يأخذ سبع حصيات ويرمي كل حصاة إلى جهة من الجهات ويضم السابع في مقدم عمامته ويذهب حيث شاء.

السادسة: عند قوله: لم تغب يقول يا دائم بلا فناء ولا زوال لملكه خمس عشرة مرة ويدعو بما شاء من صرف بلية أو عطف أو محبة أو جلب وما أشبه ذلك.

السابعة: عند قوله: كن فيكون يسجد، ويقول: يا عظيم ذا الثناء الفاخر والعز والمجد والكبرياء فلا يزال عزه سبع مرات ويسأل إصلاح حالة من أحوال الآخرة.

الثامنة: عند اللهم اغفر لي ما لا يسعه إلا مغفرتك، يقول: يا زكي خمس عشرة مرة ويسأل تطهير الذنوب وغفرانها.

التاسعة: عند اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، يقول: يا عزيز تسع عشرة مرة ويسأل ما صعب عليه من أمور الدنيا والآخرة وما أهمه ثم يقرأ أفعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده.

العاشرة: عند ولا يملكون منك إلا ما تريد يقول يا مبديء البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته سبع مرات ويسأل ما ذهب منه أو من أحد غيره نعمة أو ولداً أو دولة وما أشبهه.

الحادية عشر: عند قوله: حين رفعت صوتي بدعائك وتحميدك وتوحيدك يقول: يا الله سبع مرات، ثم يقول: يا الله المحمود في كل فعال سبع مرات، ثم يسأل ما أراد من توسيع رزق ومعيشة وتسهيل حاجة.

الثانية عشر: عند اللهم فتمم إحسانك يقول: يا مئان ذا الإحسان الخ، ويسأل قضاء دين عنه أو عمن يريد أو خلاص محبوس أو تفريج كربة وما أشبهه.

الثالثة عشر: عند قوله: وأن تحرمني رفدك يقول: يا رحيم كل صريخ ومكروب الخ سبعاً وعشرين مرة، ثم يسأله من جميع الحاجات الدنيوية والأخروية ثم يقرأ هذه الأسماء سبع مرات يقول: يا الله يا هو يا قيوم يا واحد يا أحد يا واجد انفحني بنفحات حيرتك تغني بها عمن سواك إنك على كل شيء قدير وهذه الأسماء الكبيرة ينبغي المواظبة عليها في كل وقت.

الرابعة عشر: وهي الخاتمة عند قوله: كن فيكون يفعل فيها كما فعل في الأولى ليكون ابتداء الدعاء اختتامه.

ولهذا سرٌ عظيم لهلاك الظالم، يقول إذا سجد: يا قهار ذا البطش الشديد الخ سبع مرات ويذكر الخصم، فوالله ما يمضي عليه أسبوع إلا عجل الله بهلكته والله على ما نقول وكيل، ويضيف إليه عند القيام من السجود: اللهم فرج همي واكشف غمي واهلك عدوي وانصرني على من ظلمني ولا تجعل مصيبتني في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط عليّ بذنوبي من لا يرحمني، اللهم شتته وفرق جمعه وخرّب دياره، اللهم نكسّ أعلامه وزلزل أقدامه واهدم أركانه وردّه على عقبه خائباً ذليلاً حقيراً لم ينل خيراً يا رب ثلاث عشرة مرة إني مغلوب فانتصر كذا ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر اللهم احلل ما يفعل وردّه على عقبه ذليلاً لم ينل خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً، اللهم بك أجول وبك أقاتل فاكفني سوء بما شئت وكيف شئت إنك على ما تشاء قدير نعم المولى ونعم النصير.

تمت الإشارات الأربعة عشر فاعتمدها فإنها عزيزة لا توجد في كثير من النسخ والله أعلم اه منه بلفظه.

وهذا غاية ما اشتمل عليه تقيّد الخليفة سيدي الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه على الحزب السيفي وهذا التقييد هو الذي أشار له في الرماح اه.

فصل: وأما سندنا في هذا الحزب فإننا أخذناه عن شيخنا ومفيدنا وواسطة عقدنا الفقيه العلامة، الحجة الدراكة الفهامة، وحيد العصر والأوان وفريد الدهر والزمان، المشارك في جميع الفنون، أبي عبد الله سيدي محمد فتحا كنون، وهو أخذه عن شيخ الشيوخ، ومعدن الثبات والرسوخ، الإمام الهمام حجة الله في الإسلام، أبي المواهب سيدي العربي ابن السائح الشرقي العمري وهو عن الغوث الهمام، ومصباح الظلام، أبي الحسن سيدي الحاج علي التمامني وهو عن القطب المكتوم والبرزخ المختوم الإمام الأشهر والعارف الأكبر، السر الرباني، أبي العباس سيدنا ومولانا أحمد التيجاني، وله أسانيد أخر أخذها شيخنا سيدي محمد المذكور لا بد لنا من إيرادها تبركاً بذكر رجالها، أخذنا هذا الحزب عن شيخنا سيدي محمد كنون وهو عن أبي المواهب سيدي العربي ابن السائح وهو عن سيدي محمد: السر أغني دفين عين ماضي، وهو عن سيدي محمد ابن سيدي عبد الواحد البناني المصري وهو عن خاتم الأولياء، وبرزخ الأصفياء، أبي العباس سيدي أحمد التيجاني وأخذنا هذا الحزب أيضاً عن شيخنا سيدي محمد كنون وهو عن الفقيه العلامة المشارك المحدث للفهامة، أبي العباس سيدي أحمد بناني وهو عن سيدي محمد بن بلقاسم بصري وهو عن الغوث الأشهر. خاتم الأولياء الأكبر، أبي العباس سيدنا أحمد التيجاني وأخذناه أيضاً عن شيخنا سيدي محمد كنون وهو عن أبي العباس سيدي أحمد بناني المذكور وهو عن العارف بالله سيدي عبد الوهاب بن الأحمر وهو عن الأقطاب، وغوث الأفراد والأنجاب، خاتم الأولياء، ونخبة الأصفياء، العارف الرباني سيدنا ومولانا أبي العباس التيجاني، وهو عن سيد الوجود، وعلم الشهود. مولانا رسول الله ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم.

تنبيه: ذكر سيدي غوث الله في جواهره رفعه إلى مولانا رسول الله ﷺ فقال: روى هذا الحزب أبو الفضل الكرمانني قدس الله سره وهو رواه عن طاهر بن محمد وهو عن تميم الثقفي وهو عن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو عن النبي ﷺ وهو عن جبريل عليه السلام.

فصل: وأما كيفية كتابته لحمله فقد قال بعض الفضلاء ومن شروط كتابته الإجازة فيها من شيخ كامل، ويكون الكاتب على طهارة مستقبل القبلة تحت السقف في موضع لم ير الشمس فيها ولم تلحقه ولا يتكلم مع أحد وقت الكتابة هذا شرط الكتاب، تكون

بمسك وزعفران وماء المطر وماء الورد ويحترز أن يمس القلم الدواة ولا يعور الحروف مثل الميم والحاء والعين وغيرها من الحروف ويكتب ببطن القلم ويكون القلم من شبر فإذا لزقت شعرة بالقلم لا يترعها بل يتركه ويعمل غيره وتندب الخلوة للكتابة فإذا أتمه يحسن طيه ويحترز على رأسه ويشمعه ويحترز من بطلانه بأن يجوز به على ماء راكد أو جار مطلقاً ظاهراً كان أو خفياً قبل تشميعه ولا يجامع به حامله ولا يحمله عليه وهو جنب اللهم إلا أن يكون مقزدرأ مجلد والاحتراز على كل حال أولى والمحافظة عليه من الأماكن الردية مثل: الخلا والحمام وغيرهما من مستحباته، ومنها: أن لا يخلط الكاتب حروف الكلمة بالأخرى أو يلاقي الحروف المتفرقة ببعضها، ومنها: إذا غرز أن يتحرى ثقب الحرز بالإبرة أو غيرها ويحافظ على ما ذكرناه كل المحافظة لمن أراد أن يحظى بخواصه وينتفع بكراماته اهـ.

وقال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الشامي: ينبغي أن تكون الكتابة يعني الأمور السرية بماء ورد ومسك وزعفران وإن زدت مع ذلك الكافور فلا بأس، ثم قال: واعلم أنه يجب أن يكون الكاغد صافياً من العيوب ليس فيه تقطيع ولا لمعة ولا أثر سواد ولا غير ذلك، ثم قال: فإذا رفعت الكاغد للكتابة فتحرز في وقت العمل من السهو والسقط والتوهم والغلط واترك وساويس الشيطان بعد تصحيحك العمل ولا تلتفت لشيء مما يشغلك عما أنت فيه اهـ.

وينبغي أن يتحفظ في الكتابة على طمس الحروف واجتناب نقطها أصلاً لأن بعض الصوفية ذكر أن نقط الحروف مبطل للحجاب، وقال العارف الشامي رحمته الله: ينبغي أن يبخر الحجاب بعد الفراغ من الكتابة بالطيب وذلك كالجاي والمصطكي والعود الهندي والند والعنبر الخام وغير ذلك من أنواع الطيب اهـ. بمعناه، وهذا أوان الشروع في المقصود، فنقول وبالله التوفيق، وهو الهادي بمته إلى سواء الطريق: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام عن البسملة بحر زاخر، خاض في لججه الأوائل والأواخر فلم يصلوا إلى غايته، ولا بلغوا إلى نهايته.

ولكن ما لا يمكن كله لا يترك بعضه أو جلّه وقد نص العلماء على أنه ينبغي لكل شارع في فن أن يتكلم عليها بحسب ما يتعلق بها في ذلك الفن لئلا يعد قاصراً ونحن بحول الله نتكلم على هذا الحزب وهو من أجل الأذكار وهو مفتتح بها فتكلم على ما ورد في فضلها وفضل ذكرها فنقول لما كانت البسملة مفتاح أشرف الكتب السماوية. ومصباح

بصائر أهل المعارف الربانية وهي مشتملة على علوم الأولين والآخرين لأنها قد جمعت معاني الفاتحة الجامعة لمعاني القرآن الجامع لمعاني الكتب الإلهية كان الابتداء بها سبباً للسعادة والموت على الشهادة كما أخبر به رسول الله ﷺ بقوله: «من أراد أن يجيء سعيداً أو يموت شهيداً فليقل عند ابتداء كل شيء بسم الله»، وفي الخطاب عن أبي بكر التونسي أنه قال: أجمع مشايخ كل ملة أن الله افتتح كل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتاباً فاكتبوها أوله وهي مفتاح كل كتاب أنزل ولما نزل علي بها جبريل أعادها ثلاثاً، وقال: هي لك ولأمتك فمرهم أن لا يدعوها في شيء من أمورهم فإني لم أدعها طرفة عين منذ نزلت على أبيك آدم عليه السلام، وكذلك الملائكة».

وقال بعض أهل المعرفة: البسمة كلمة قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع الولاية ووصلة قريبة لأهل العناية ورحمة خاصة لأهل الجنانية، وأخرج الدارقطني عن ابن عمر عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقي علي بسم الله الرحمن الرحيم»، وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي وأبو ذر الهروي والخطيب البغدادي عن ابن عباس عنهما، أن عثمان بن عفان سأل النبي ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: «هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب»، وقال عليه الصلاة والسلام: «ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فرح أهل السموات من الملائكة واهتز العرش لنزولها ونزل معها ألف ملك وزادت الملائكة إيماناً وخرت الجن على وجوههم وتحركت الأفلاك وذلت لعظمتها»، وروي في حديث مرفوع نقله العراقي فقال: قال ﷺ: «من قال بسم الله الرحمن الرحيم في مبدأ أقواله دخل الجنة ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة» وروي عمرو بن شرحبيل أن جبريل عليه السلام أول ما جاء به النبي ﷺ قال له: «قل بسم الله الرحمن الرحيم»، وقال ﷺ: «لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم». وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم من المشرق إلى المغرب وسكنت الريح وأهيج البحر وأصغت البهائم بأذانها ورجمت الشياطين من السماء وأقسم رب العزة جل وعلا أن لا يسمى باسمه على شيء إلا بورك فيه وفي رواية إلا كان ذلك الشيء شفاء.

ومن سنة النبي ﷺ، أنه كان يصدر بها كتبه والحديث المشهور الذي أخرجه أبو داود

والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» أي: كل أمر شريف لم يقل في ابتدائه بسم الله الرحمن الرحيم أو ما يفيد معناه فذلك الأمر ناقص البركة قليل الفائدة وفي رواية فهو أجزم وكالها متقاربة وهو من التشبيه البليغ والعيب المنفر لأن تقدير الكلام فهو كالأبتر أو كالأجزم أو كالأقطع والمعنى ناقص البركة. قال النووي في شرح مسلم: معناه لا بركة فيه وقيل معناه لا كمال فيه اهـ.

وأما فضل ذكرها، فقد أخرج أبو نعيم وابن السني عن عائشة عنها أنها قالت: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبحت الجبال حتى سمعها أهل مكة ومن بها فقالوا سحر محمد الجبال فبعث الله دخاناً حتى أظلم على أهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم موقناً سبحت معه الجبال إلا أنه لا يسمع منها»، وفي رواية: الجبال والأحجار ولكن لا يسمع الناس تسبيحهما». وأخرج ابن السني والديلمي عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً: «إذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن الله تعالى يصرف بها ما يشاء من أنواع البلايا». وفي الدر المنثور عن ابن عباس عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صرف الله عنه سبعين باباً من أنواع البلايا والهم والغم واللمم». وأخرج وكيع والثعلبي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف منها جنة، أي: وقاية من كل واحد الدر المنثور. أخرج الديلمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحا عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة»، وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له عبادة سبعمئة سنة».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو كانت الأشجار أقلاماً والبحار مداداً واجتمعت الجن والإنس والملائكة كتاباً وكتبوا معنى بسم الله الرحمن الرحيم ألفي ألف سنة لما قدروا على كتابة عشر عشرة»، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قالت الجنة: لبيك وسعديك اللهم إن عبدك فلاناً، قال: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أخرج من النار وأدخله جنتك»، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن في الجنة جبلاً يقال له جبل الرحمة وعليه قصر يقال له قصر الإسلام، وفي

القصر بيت يقال له بيت الجلال والقصر اثنا عشر ألف مصراع من أسكفة الباب إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام لا تفتح تلك الأبواب إلا لقائل بسم الله الرحمن الرحيم».

وحكي أن عيسى عليه السلام مر على قبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتاً فلما عاد من سياحته مر على ذلك القبر فوجد العذاب قد رفع عن صاحبه فصلى ودعا الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه يا عيسى كان هذا العبد عاصياً وقد مات محبوساً في عذابي وقد ترك امرأة حبلى فولدت ولداً وربته حتى كبر فسلمته إلى المعلم فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي أن أعذبه في بطن الأرض وولده يذكر اسمي على ظهرها وروي أنها أنزلت على عيسى عليه السلام في المهد فكان لا يذكر شيء أكثر منها إلى أن أوحى له يا ابن مريم الزم ذكرها لي لك ونهارك وإقبالك وإدبارك وجميع حركاتك وسكناتك فإنه من جاء يوم القيامة وفي صحيفته ثمانمائة بسم الله الرحمن الرحيم وهو موقن بربوبيتي بسطت عليه رحمتي وأفسح له قبره مد بصره وأملاه عليه بالنور والرحمة حتى يبعث منه ووجهه يتلألأ بالنور فأحاسبه حساباً يسيراً وأثقل له ميزانه وأعطيه النور التام على الصراط حتى يدخل الجنة وأمر منادياً ينادي عليه في عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة، فقال عيسى: يا رب هذا لي خاصة، قال: هو لك ولمن أخذ يأخذك إلى يوم القيامة.

وأخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله عز وجل لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية».

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن المنذر، والشيرازي، والخطيب عن سلمان وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يا أبا هريرة إذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فإن حفظتك لا تستريح أن تكتب لك الحسنات حتى تفرغ وإذا غشيت أهلك فقل بسم الله فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فإن حصل لك من تلك المواقعة ولد كتب لك الحسنات بعد أنفاس ذلك الولد وبعده أعقابه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد».

وذكر صاحب خزينة الأسرار الكبرى أن من ذكرها كثيراً في أي حاجة كانت خصوصاً في جلب الأرزاق رزقه الله تعالى اليسر من حيث لا يحتسب ورزقه الهيبة في قلوب الناس وعند العالم العلوي والسفلي، ومن خواصها أن من قرأها في وجه ظالم أو حاكم جائر خمسين مرة ذل له وخشع ودخل الرعب في قلبه وألقى على القارئ هيبة

وأمن من شرورهم وقال عليه الصلاة والسلام: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فلم يعورها كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيماً لله تعالى غفر له ومن رفع قرطاساً من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً لله تعالى أن يداس اسمه كتب عند الله من الصديقين».

وفي الدر المنثور أخرج الثعلبي عن طلحة ابن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله».

وكتب قيصر ملك الروم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن بي صداعاً لا يسكن فابعث لي دواء إن كان عندك فإن الأطباء عجزوا عن المعالجة فبعث له عمر رضي الله عنه قلنسوة فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه وإذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش القلنسوة فإذا فيها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فقال: ما أكرم هذا الدين وأعزه حيث شفاني الله عز وجل بآية واحدة فأسلم وحسن إسلامه ذكره الشنواني في حاشيته على مختصر ابن أبي جمرة وذكره في أول روح البيان.

وذكر جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة: روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بعث عمرو بن العاص أميراً إلى مصر وجد بحر النيل لا يفيض فسأل أهل مصر عن ذلك فقالوا: إن من عادة هذا الماء في كل سنة أن نلقي فيه جارية صبية بكرأ بإرضاء وليها فإذا ألقيناها فاض فابى عمرو، قال: إنها عادة الجاهلية فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب عمر الجواب بسم الله الرحمن الرحيم يا نيل إن كنت تجري بغير أمر الله فلا حاجة لنا فيك وإلا فاجر بإذن الله تعالى فلما ألقى فيه كتاب عمر فاض بإذن الله تعالى فبطلت تلك العادة القبيحة إلى يومنا هذا اهـ. وذكر سيدي عمر الفتوي في رماحه ما نصه من فاته سر بسم الله الرحمن الرحيم فلا يطمع أن يفتح عليه بشيء فإنه الباب المفتوح والسر الممنوح وفضائلها جمة يعرفها كل الأمة اهـ.

قلت: ولأجل هذا الفضل الوارد في هذه الكلمة الشريفة الرفيعة القدر المنيفة يتبدى بها سيدنا رضي الله عنه جميع أوراده اللازمة وغيرها وكذلك يفتح بها فاتحة الكتاب في جميع الصلوات ويحضر أصحابه على قراءتها فقد ذكر العالم العلامة سيدي عمر الفتوي أن شيخه الخليفة سيدي محمد الغالي أبو طالب أمره بقراءتها وهو في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام وأذن له في قراءتها وفي إعطائها وهو

عن سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا أبي العباس أحمد بن محمد التيجاني الحسني رحمته الله وأرضاه وهو أذن له سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له وهو في مكة المشرفة أن يقرأ البسمة متصلة بالفاتحة في نفس واحد في الصلاة وغيرها وهو عن الشيخ رحمته الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وأطلعه على أسرار، في ذلك منها أنه أعطاه ورقة فيها ما نصه:

قال الشيخ القاضي محيي الدين الفيروزآبادي رحمه الله والله العظيم: لقد أخبرني الشيخ صفي الدين البعلبكي عن الشيخ القاروني عن محمد بن العربي أنه قال: إذا قرأت الفاتحة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم في نفس واحد، فإني أقول: والله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضيل بن محمد الكاتب، وقال: بالله العظيم لقد حدثنا أبو محمد علي الشالسي من لفظه وقال: بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر الصرخاوي وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسين العلوي الزاهد، وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال بالله العظيم لقد حدثني عمر بن موسى البرمكي وقال: بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه وقال: بالله العظيم لقد حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقال: بالله العظيم لقد حدثني المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال: «بالله العظيم لقد حدثني جبريل عليه السلام، وقال: بالله العظيم لقد حدثني ميكائيل عليه السلام، وقال: بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل عليه السلام، وقال الله تعالى: يا إسرافيل وعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا عليّ أني قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة ومن الفزع الأكبر» اهـ.

وفي هذا القدر كفاية لأولي الألباب والله تعالى يلهمنا بمته إلى الصواب.



اللهم أنت الملك الحق المبين

معنى اللهم: يا الله الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی عجل إغاثتي وأجب دعوتي قال سيدي المهدي الفاسي: نقلاً عن الخروبي هو توجه للمطلوب وطلب لحصول المرغوب بالتوسل بالاسم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، ثم قال: وتعويض الميم من حرف النداء في لفظ الجلالة يقتضي قوة الهمة في الطلب والجزم به وإنما جعل هذا الاسم في أوائل الأدعية غالباً لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة وهو أصلها اهـ. وقال شيخ شيوخنا أبو المواهب سيدي العربي ابن السائح رحمته الله في بغيته: معناها يا الله الذي له الأسماء الحسنی وذلك لما قيل إن أصل اللهم يا الله، وإن الميم المفتوحة المشددة زادت لتشعر بأن هذا الاسم الأعظم اجتمعت فيه أسماء الله كلها فالاسم الأعظم الله هو المستغرق لجميع الأسماء الحسنی والصفات العلی والميم مشعرة ومعينة على كمال استحضار ذلك الاستغراق لأنها هي المستغرقة لجميع الأسماء فافهم اهـ.

ثم اعلم أن لأجل ما تضمنه هذا اللفظ من عظيم الثناء يؤثر ويرغب في التوجه به إلى الله تعالى في الدعاء، وقال سيدنا رحمته الله: كما في الجواهر اعلم أن هذه الكلمة تقولها العرب جرت في ألسنتها أنها تخاطب الله تعالى بها في جميع أعيانها وهي جارية منهم مجرى الاستغاثة والتضرع وشدة الابتهاج وطلب التعجيل في إجابة الدعاء كأنه يقول عجل إجابتي وعجل إغاثتي يا الله هذا المراد بها عند العرب اهـ. وقوله: أنت الله كرر هذا الاسم الشريف تلذذاً بذكره وانتبهاً وإيقاظاً لمناجاته وقوله: الملك الحق المبين فالملك بكسر اللام اسم من أسماء الله الحسنی معناها المستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود من ملك نفوس العابدين فأقلقها وملك قلوب العارفين فأحرقها وقيل: من إذا شاء أهلك وحظ العبد منه قبيل من لاحظ الملك فنى عن المملكة فالأعراض لا تشغله والشواهد لا تقطعه والعوائد لا تحجبه.

قال الإمام القشيري في كتابه «التحبير في علم التذكير»: إذا ثبت أنه جل جلاله مالك الملك فإنما يملك من عباده من سبقت له عنايته وحققت له في جميع الأحوال فيملك هواء ويعتقه من أسر نفسه ومناه ويحرره من رق البشرية ويخلصه من رعونة الإنسانية وفي معناه قيل:

من ملك النفس فهو حر والعبد يملكه هواه
 وحكي أن بعض الأمراء قال لبعض الصالحين: سلمي حاجتك؟ فقال: أولي تقول،
 ولي عبدان وهما سيداك؟ فقال: من هما؟ قال الحرص والهوى فقد غلبتهما وغلباك
 وملكتهما وملكاك ثم قال: من عرف أنه سبحانه هو المتوحد بالملك أنف أن يتذلل
 لمخلوق لأن المعرفة بملكه توجب التجرد له في التقرب وفي قصده وحكي عن بشر
 الحافي، أنه قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام فقلت: عظمي
 يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله وأحسن من
 ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله، ثم قال: ومن آداب من عرف أنه الملك سبحانه
 أن يثق بالله بما يرجوه من الله ويؤمله في جميع ما يتفق فيه ويفعله ويريده ويستعمله
 ويكون بما في حكم الله أوثق منه بما في يده اهـ.

حرام على من وحد الله ربه وأفراده أن يتخذوا حداً رافداً
 ويا صاحبي قفن مع الحق وقفة أموت بها وجداً وأحيا وجداً
 وقل لملوك الأرض نجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

والحق: هو اسم من أسماء الله أيضاً أي: المتحقق الثابت وجوده أزلاً وأبداً فلا
 يقبل الانتفاء بحال فمعناه يستلزم القدم والبقاء وقيل هو الحقيق بأن يعبده العابدون وحظ
 العبد منه فناؤه عن نفسه وعن إرادته وأن يرى الله تعالى حقاً وما سواه باطلاً في ذاته حقاً
 بإيجاده واختراعه وإن له حكماً ولطائف في كل ما يوجد وإن خفي عليه كنهه، وقال
 القشيري في كتابه المذكور: ومن عرف أنه الحق آثر حقه على حظه وحق الحق أحق
 وعلامة من آثر حقه على حظه أن يسخر له خلعه ويحق له حظه، ويحكي عن بعض
 الصالحين أنه قال: كان ابتداء توبته أنه كان تاجراً بزازاً فدخل السوق خادم من دار
 الخليفة بطلب ثياباً لهم فعرض هذا الرجل الثياب على الخادم فبينما هو في ذلك إذ أذن
 المؤذن فترك هذا الرجل الخادم واشتغل بالصلاة فقال الخادم: لا أحمل ثيابك وحمل
 الثياب من حانوت آخر إلى دار الخليفة فلم يرض ورجع الخادم إلى حانوت هذا الرجل
 شاء أم أبي وحمل ثيابه واشتروها بربح كثير وافر فلما أمسى الرجل رأى في المنام كأن
 قائلاً يقول له أثرت الصلاة على تجارتك فلا جرم قدمناه ثيابك على ثياب غيرك فلما
 أصبح الرجل سرّ بتلك الرؤيا وتصدق بجميع ماله وصار شيخ وقته، وأما المبين في
 وصفه سبحانه فهو الذي يوضح الحق ويعلنه ويقيم البرهان ويصححه ويظهر الحق من

الباطل بالعلامات التي ينصبها ويبين من مكتومات العبد ما لم يخطر ببال أحد من دقائق آثار الحكمة وعجائب متعلقات القدرة ويبين لقلوب المحبين على الخصوص شواهد الربوبية بما يزيل الشبهة ويعلي الحجة اهـ.

والمبين إما لازم فمعناه الظاهر أمره وألوهيته أو متعدد فمعناه المظهر المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم، قال الشناوي: ينبغي للطالب أن يسجد عند قوله: الحق، ثم يقول في سجوده: يا مالك يا حق عشر مرات لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين ثلاث مرات ويسأل الله في سجوده ما يليق بأمور الآخرة فقط وقد قيل إنه يسجد في هذا المحل سبعون ألف ملك.

القديم المتعزز بالعظمة والكبرياء

معنى: القديم: الذي لا أول له قال في المصباح لفظ القديم رواه البيهقي في الأسماء الحسنی عن النبي ﷺ وقال: في معنى القديم الموجود الذي لم يزل، وقال أيضاً: في كتاب الأسماء والصفات ومنها القديم قال: وقال الحلبي في معنى القديم: إنه الموجود الذي ليس لوجوده ابتداء والموجود الذي لم يزل، ثم قال ويقال الله تعالى قديم بمعنى أنه سابق الموجودات كلها ومعنى المتعزز المتقوي بالعظمة والكبرياء ومعنى العظمة كون الشيء في نفسه كاملاً شريفاً مستغنياً والكبرياء كناية عن كمال الذات وأعني بكمال الذات كمال الوجود وكمال الوجود يرجع إلى شيئين: أحدهما: دوامه أزلاً وأبداً، والثاني: أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود، قال الشيخ مرتضى في شرحه عن الأحياء وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته».

قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرک دون ذکر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم ورواه أبو هريرة بلفظ قال رسول الله ﷺ: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقته في جهنم ولا أبالي». قال العراقي رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له فقوله في الحديث: «فمن نازعني» أي: تشوّف إلى الاتصاف بهما أو بأحدهما قصمته، أي: ذلّته وأهنته أو قرّبت هلاكه، قال الزمخشري: هذا وارد عن غضب شديد ومناد على سخط عظيم لأن القصم أقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الكسر اهـ.

قال في الحكم العطائية: كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً

منك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين أفبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين، وقد أفاد هذا الوعيد أن التكبر والتعاضم من الكبائر، أخرج ابن عساكر إياكم والكبر على أن لا يسجد لآدم وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً فهذا أصل خطيئته اهـ. ذكره ابن حجر في الزواجر.

الْمُتَفَرِّدُ بِالْبَقَاءِ

معنى المتفرد أي: المخصوص بالشيء بحيث لا يشاركه فيه غيره والبقاء عبارة عدم الآخرة للوجود وللثبوت ووجوب البقاء خاص بذاته تعالى وصفاته لذاتية، وأما المستثنيات الثمانية التي لا تفني المشار إليها بقوله القائل:

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم
فبقاؤها جائز لا واجب بدليل حدوثها وهي باقية بإمداده فلو انقطع إمداده عنها
لاضمحلت.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْقَهَّارُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

ذكر ستة أسماء من أسماء الله الحسنى، فمعنى الحي: هو الذي لا يموت فهو الباقي أزلاً وأبداً وحظ العبد منه السعي في تحضير الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، قال الإمام القشيري في كتابه التحبير: فمن علم أنه حي أبداً علم أنه لا يجوز فناؤه وهلاكه وإن طال بقاؤه وملكه ومن علم أن المخلوق حي غير أبدي علم أنه لا بد من فناؤه وهلاكه وإن طال مدة بقائه وملكه. يحكى أن المأمون لما قربت وفاته فرش الرماد وكان يتمرغ عليه، ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه بل من علم أنه الباقي الذي لا يزول علم أن فيه خلفاً من كل تلف بل علم أنه لا يصل إلى مولاه إلا بعد موته اشتاق إلى وفاته، قيل لبعضهم: إن الدنيا لا تساوي مع الموت شيئاً فقال: بل الدنيا لو لم يكن الموت ما كانت تساوي شيئاً، وقيل: الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب اهـ.

ومعنى القيوم هو: القائم بنفسه المقيم لغيره أو الدائم الباقي فيكون تأكيداً للحي وقيل مبالغة في قيامه بتدبير خلقه وحصول الاستغناء به عن كل ما سواه القائم على كل

نفس بما كسيت وحظ العبد منه كمال تمكنه بأن يلتفت إلى الأسباب ويشهد أن المسببات صادرة عن عين القدرة وأن تربتها على الأسباب أمر ظاهر فقط واعلم أن من عرف أنه سبحانه هو القائم والمقيم والقيوم انقطع قلبه عن الخلق، وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى: حسبك من التوكل أن لا ترى لنفسك ناصرًا غيره ولا لرزقك خازنًا لغيره ولا لعلمك شاهداً غيره، ثم قال القشيري: وأما من عرف أنه القيوم بالأمر استراح من كد التدبير وتعب الاشتغال وعاش براحة التفويض فلم يبخل بكرمه ولم يجعل في قلبه للدنيا كبير قيمة. ويحكى عن الطرماح أنه قال: كنت عند الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما إذ جاء سائل فسأله شيئاً فأعطاه بلغته فقال: يا ابن بنت رسول الله الله أولى بعباده، فقال: اسكت يا طرماح فاني لأستحي من الله تعالى أن أسأله فيعطيني ثم لا أعطي من يسألني اهـ.

ومعنى القادر المقتدر: ذو القدرة الكاملة ولكن المقتدر أكثر مبالغة لما في التاء من معنى التكليف والاكْتساب فإن ذلك وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة ومن حقهما لا يوصف بهما مكلف غير الله تعالى فإنه القادر بالقدرة والمقتدر على جميع الممكنات وما عداه ليس كذلك وحظ العبد منهما التبري من الحول والقوة إلا به إياك نعبد وإياك نستعين لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والجبار صيغة مبالغة من ومنه الخير العظيم وهو في الأصل إصلاح الشيء بظرب من القهر فمعناه المصلح لحال العباد بردهم للتوبة أو بغير ذلك وقيل معناه الذي يقهر العباد على كل ما أراد يقال جبر الخلق وأجبرهم وجبر الكسر وحظ العبد منه أن يقهر نفسه على امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ثم قال الإمام القشيري: وإذا علم أنه يجبر الخلق على مراده وعلم أنه لا يجري في سلطانه ما يأباه ويتركه ترك ما يهواه وانفذ ما يحكم به مولاه فيستريح من كد الفكرة وتعب التدبير وفي بعض الكتب عبدي تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن رضيت مما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترض بما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد وقد قيل:

سيكون الذي قضى	سخط السعد أم رضى
فدع الهيم يسافى	كل هم سينقضى
قال المرید لمن يريد	ذر ما تريد لما أريد
فإذا أردت إرادتي	ظفرت يداك بما تريد

ولئن أردت ولا أريد فنيل من تهوى بعصيد
أو ليس من لؤم المحبب ة أن تريد ولا أريد
وفي معناه أيضاً أشدوا:

ملكنت نفسي وكنت عبداً فزال رقي وطاب عيشي
أصبحت أرضى بسحككم ربي إن لم أكن راضياً فإيشي

والقهاره: مبالغة في القهر وهو الغلبة وصرف الشيء عما طبع عليه على سبيل الإلجاء فيرجع إلى القدرة على المنع وقيل نفس المنع فمن قهره جمعه بين الطباع المتنافرة وإسكان الروح اللطيفة النورانية في البدن الكثيف المظلم ومن قهره تسخير الأفلاك الدائرة وجميع الخلائق في مشيئة ومنع العقول عن الوصول إلى كنه حقيقته ولا يحيطون به علماً، ومعناه: الذي يقصم ظهور الجبابرة فيقهرهم بالأمانة والإذلال والإهلاك فهو من أسماء الأفعال، وقيل: هو الذي قهر قلوب الطالبين فأنسها بلطف مشاهدته وقيل هو الغالب جميع الخلائق وحظ العبد منه قهر النفس الأمانة بالسوء والأضرار بالقوى الشهوانية والغضبية وتضييق مجاري الشيطان بالصوم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقوله: الذي لا إله إلا أنت أي الذي لا معبود بحق إلا أنت المتصف بالحياة الدائمة القيوم بجميع الخلائق القادر المقتدر على كل مخلوق الجبار لكل منكسر القهار لكل عاص.

أنت ربي وأنا عبدك عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي

فاغفر لي ذنوبي كلها فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت

هذا اعتراف من العبد الذاكر بأن الله تعالى هو له رب حقيقة فاعترف بربوبيته كما اعترف أيضاً بذل عبوديته ثم أقر أنه مصر على المعاصي مقبل السوء ظالم في ذلك كله لنفسه بذنبه مستشعر بأنه لا يغفر الذنوب العظام إلا الله العظيم وقد وصف الذاكر نفسه بالشق الأول من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢] عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ هذا الآية على المنبر فقال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وعنه عليه السلام: «السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة، وأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن أنه

لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة»، رواه أبو داود وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ فَمَا لَهُ مِنْ حِزْبٍ إِلَّا أَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُجْتَنِبُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] قال في الإحياء كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم»، وقال ﷺ: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب».

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، فإن زادت زادت حتى تغلف قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة، فيقول: يا رب أني لي هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك» اهـ. وقال ﷺ: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة».

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم».

قال سيدي عمر الفتوي رضي الله عنه في رماحة: اعلم أن الاستغفار من أهم الأبواب التي يعتني بها. ويحافظ على العمل بها. قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو اهـ. وفي ترغيب الطالب: قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إني عجبت ممن يشكو ضيق الرزق ومعه مفاتيحه، قيل له: وما هي؟ قال: الاستغفار وقد نبت عليه قوله تعالى: فقلت: استغفروا ربكم، قوله: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٢] وفيه أيضاً: روي أن رسول الله ﷺ قال: «اكثرُوا مِنَ الاستغفار فإن الاستغفار يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وكما تأكل الشاة الخضرة وإن صحيفة المرء إذا عرج بها إلى السماء ولم يكن فيها استغفار لم يكن لها نور وإذا طلعت فيها الاستغفار كان لها نور يتلألأ وإن لم يكن فيها إلا استغفار يسير وما جلس قوم بمجلس لهو ثم ختموه بالاستغفار إلا كتب مجلسهم ذلك استغفاراً كله» اهـ.

والأحاديث الواردة في الاستغفار كثيرة وفيما ذكر كفاية، قال الشناوي في شرحه على الجواهر: هذا محل الإشارة الأولى يقرأ يا غياثي عند كل كربة ومجيبني عند كل دعوى ومعاذي عند كل شدة ويا رجائي حين تنقطع حيلتي إلهي بحرمتي وبحق هذه

الأسرار وبحق كرمك الخفي وبحق اسمك الأعظم أسألك أن تقضي حاجتي كلها يا من أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

يا غفورُ يا شكورُ يا حلِيمُ يا كريمُ يا صبورُ يا رحيمُ

توسّل الذاكر بهذه الأسماء العظام لينال من مولاة بلوغ المرام فيحليه بحلّية أهل الله المحبوبين، ويكون عنده من المقرّبين الفائزين، واعلم أن هذه الأسماء ستة من أسماء الله الحسنی فمعنى: الغفور كثير المغفرة وهي: صيانة العبد عما استحقه من العذاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو الستر والمغفرة إلباس الله تعالى العفو للمذنبين وحظ العبد منه أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه ولا يفشي منه إلا أحسن ما فيه ويتجاوز عما يقبح منه ويقابله بالإحسان قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦] السيئة ويرحم الله القائل:

إذا شئت أن تحيي ودينك سالم وحظك مرفوع وعرضك صيّن
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فعندك عورات وللناس ألسن
وإن أبصرت عيناك عيباً فقل لها أيا عيني لا تبصر فللناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

ومعنى الشكور: الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل أو الذي إذا أعطى أجره وإذا أطيع بالقليل قبل أو الذي يقبل اليسير من الطاعات ويعطي الكثير من الدرجات وحظ العبد منه أن لا يستعمل نعمة في شيء من معاصيه وأن يكون شاكراً للناس معروفهم، قال الشيخ جسوس في شرحه على المرشد الشكر فعل الطاعة لا أنه مجرد اجتناب المعصية كما أفصح عنه الجنيد رضي الله عنه بقوله: كنت بين يدي السري وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: أن لا يعصى الله بنعمة، فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة اهـ.

ونقله سيدي ابن عباد وحمله إلا أنه قال: وما قاله الجنيد هو القدر اللازم من شكر النعم وهو على ثلاثة أقسام: شكر بالقلب وهو أن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى وأنها تفضل منه لا باستحقاق العبد، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وكان رضي الله عنه إذا أصبح قال: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر». وقد روي أن داود رضي الله عنه قال: إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن أين يكافيها فأوحى الله إليه

يا داود إني أعطي الكثير وأرضى باليسير وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني، وروي أنه قال: إلهي كيف أشكرك والشكر نعمة منك علي، قال: الآن شكرتني، وما أطف قول بعضهم:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مسّ بالسراء عمّ سرورها وإن مسّ بالضراء يعقبها الأجر
فما منهما إلا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والسر والجهر
وشكر باللسان وهو الثناء على الله وكثرة المدح والحمد له ويدخل فيه التحدث
بالنعم وإظهارها ونشرها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ومن شكر
اللسان شكر الوساط بالثناء عليهم والدعاء لهم، وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم
يشكر الله، وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح». قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا أَلْ
دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبا: ١٣] انتهى باختصار مع زيادة ومعنى الحلیم هو الذي لا يعجل بالعقوبة
وقيل معناه من كان صفوحاً عن الذنوب ستاراً للعيوب، وقيل: هو الذي يحفظ الود
ويحسن العهد وينجز الوعد، وقيل: هو الذي غفر بعد ما ستر، وقيل: هو الذي يحلم
على عباده ويتجاوز عن سيئاتهم وحظ العبد منه أن يتخلق بالحلم ويحمل نفسه على
كظم الغيظ وإطفاء نار الغضب بالحلم.

قال الإمام القشيري في التحبير: وإنما يلذ حلمه لرجاء عفو له لأنه إذا ستر في الحال
فالمأمول منه أن يغفر في المال بلطفه، وفي بعض الحكايات أن بعضهم رؤي في المنام فقيل
له: ما فعل الله بك، فقال: أعطاني كتابي بيمينني فمررت بزلة استحيت أن أقرأها، فقلت:
اللهم إلهي لا تفضحني فقال: حين عملتها ولم تستحي لم أفضحك فأفضحك الآن وأنت
تستحي، ومن حلمه أنه لا يستفزه عصيان العاصين ولا يحمله على سرعة الانتقام تهتك
المخطئين فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغبي أنه ليس يبصر اهـ.
ومعنى الكريم: هو الذي يعطي من غير مئة، وقال الجنيد رحمه الله تعالى:
الكريم الذي لا يحوجك إلى وسيلة والذي لا يضيع من توصل إليه ولا يترك من التجأ
إليه وحظ العبد منه أن يعفو عن ظلمه ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه وقد
أشار إلى هذا المعنى من قال:

مكارم الأخلاق في ثلاثة
إعطاء من يحرمه ووصل من
ولله در الإمام الشرنوبلي حيث يقول:

من كملت فيه فذاك الفتى
يقطعه والعفو عن اعتدى

خذ العفو عن جاهل قد بغى
وبالعرف فأمر وكن محسناً

عليك تفز بالمقام الأمين
وواصل واعرض عن الجاهلين

والصبور: فعول من الصبر وهو في اللغة حبس النفس وتوطئتها على المكاره

والمشاق ومعناه الذي لا يستعجل في مؤاخذة العصاة ومعاقبة المذنبين، وقيل: هو الذي

لا تحزنه كثرة المعاصي حتى تؤديه إلى تعجيل العقوبة، وقيل: هو الذي إذا قابلته بالجفا

قابلك بالعطيّة والوفا وإذا أعرضت عنه بالعصيان أقبل عليك بالغفران، قال بعض

العارفين: الصبر أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وهما أساس طريق

الاستقامة، وصبر على فضول الدنيا وهو طريق الزهد، وصبر على المصائب والمحن

وهو أساس الرضى والتسليم لله سبحانه وتعالى وحسن الظن به وهو أشق الأنواع على

النفس وحظ العبد من هذا الاسم الصبر على الأنواع الأربعة والمداومة على ذلك، وقال

أبو بكر الورّاق رحمه الله تعالى: احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما بينك

وبين الخلق والصبر فيما بينك وبين نفسك فهذا هو الذي يفيد النجاة ومعنى الرحيم هو

الغافر لجميع الذنوب في الآخرة ما عدا الشرك قال عبد الله بن المبارك معنى الرحيم هو

الذي إذا لم يسأل غضب وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يسأل الله

يغضب عليه» ونظم هذا الحديث من قال:

الله يغضب إن تركت سؤاله
وبني آدم حين يسأل يغضب

قال الشناوي في شرح الجواهر: يصلي الذاكر في هذا المحل ركعتين يقرأ بعد فاتحة

الكتاب سورة يس فإذا وصل إلى قوله: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] ركع ثم

ركعتين بتمام السورة وبعدها يقرأ يا قيوم يا عليّ يا عظيم يا كبير يا متمام يا فتاح يا رزاق

﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

الرَّزُقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤] مرة، يقول: سبحان المفرج عن كل محزون سبحان المنفس عن

كل مسجون سبحان الميسر لكل مديون يا من جعل خزائنه بين الكاف والنون إنما أمره إذا

أراد شيئاً الخ السورة يا خفي الألفاظ بحق سورة الأعراف أدركني في وقتي هذا ونجني مما

أخاف يا مفرج فرج يا فارج الهم ويا كاشف الغم ويا دليل المتحيرين ويا مجيب دعوة

المضطربين فرج همنا واكشف غمنا واهلك عدونا اللهم شئت شملهم وخرّب بنيانهم وبدّل أحوالهم وفرّق جمعهم وقلب تدبيرهم ونكس أعلامهم وزلّل أقدامهم وخذهم أخذ عزيز مقتدر اللهم بحق هذه الأسرار وبحق كرمك الخفي وبحق اسمك الأعظم أسألك أن تقضي حاجتي كلها يا من أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ وَأَنْتَ الْمَحْمُودُ وَأَنْتَ لِلْحَمْدِ
أَهْلٌ وَأَشْكُرُكَ وَأَنْتَ الْمَشْكُورُ وَأَنْتَ لِلشُّكْرِ أَهْلٌ

تقدّم الكلام على معنى اللهم، وقوله: إني أحمدك الخ هذا اعتراف من الذاكر بأن جميع النعم التي هي عليه من الله تعالى يجب الحمد عليها فأتى بهذه الجملة وفاء بما وجب عليه من حمد لله تعالى، ثم اعلم أن الحمد لغة هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم سواء تعلق بنعمة أو غيرها والحمد عرفاً هو فعل يبنى عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً وقوله: وأشكرك الخ، أراد أن يمثل قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ثم إن الشكر أيضاً يكون لغة وعرفاً، فالشكر لغة: هو الحمد عرفاً، والشكر عرفاً هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبين هذه التعارف نسب فلا نطيل بذكرها فإنها مذكورة عند جل المؤلفين ونتكلم على ما يتعلق بفضلها فنقول روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل يحب الحمد يحمد به ليشيب عليه حامده وجعل الحمد لنفسه ذكراً ولعباده ذخراً» روي عنه: «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده»، وروي عنه أيضاً: «ما أنعم الله تعالى على عبد من نعمة فقال: الحمد لله إلا أدى شكرها فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه»، وروي: «الحمد كلمة الشكر فإذا قال العبد: الحمد لله: قال الله شكرني عبدي»، وروي «الحمد لله ثمانية أحرف وللجنة ثمانية أبواب، فمن قال: الحمد لله، فتحت له أبواب الجنة الثمانية».

وأما الشكر فهو كما قال الشيخ زروق: فرح القلب بالمنعم لأجل نعمته حتى يتعدى ذلك إلى الجوارح فينطق اللسان بالثناء وتسخو الأعضاء بالأعمال وترك المخالفة اهـ. وسأل رجل أبا حازم، فقال له: ما شكر العينين؟ فقال: إذا رأيت بهما خيراً أعلنته وإذا رأيت بهما شراً سترته، قال: فما شكر الأذنين؟ فقال: إذا سمعت بهما خيراً وعيته، وإذا سمعت بهما شراً دفنته. قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لك،

ولا تمنع بها حقاً هو الله فيهما، قال: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله صبراً وأعلاه علماً، قال: فما شكر الفرج؟ قال كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج: ٢٩] قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن رأيت شيئاً غبطته استعلقهما فيه وإن رأيت شيئاً مقتته كفتتهما عنه وأنت شاكر لله، وقال بعض العارفين: من أعطى أربعاً لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخبرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب، لقوله ﷺ: «لا خاب من استخار ولا ندم من استشار» وما أطف قول بعضهم:

لئن شكرتم لأزيدنكم مقالة الله التي قالها
فالكفر بالنعمة يدعو إلى زوالها والشكر أبقى لها

على ما خصصتني به من مواهب الرغائب

هذا هو الباعث على حمد الذاكر وشكره لأن للحمد أركاناً خمسة: حامد وهو الداعي، ومحمد وهو الله تعالى، ومحمود به وهو الثناء باللسان، ومحمود عليه وهو استشعار النعمة، وصيغة وهي لفظ الحمد وقد عقدت هذه الأركان الخمسة بقولي: أركانه حامد محمود أنت ثم به عليه صيغة ثبت والتخصيص: هو الانفراد بالشيء، والمواهب جمع موهبة وهي العطية من غير عوض والرغائب جمع رغبة، وهي العطاء الكثير، أراد بمواهب مراتب الشهود في الدنيا إذ بها يحصل الاختصاص للطالب بالنسبة إلى سائر الناس.

وأوصلت إلي من فضائل الصنائع

هذا هو الباعث الثاني على إنشاء الحمد والشكر وهو إيصال النفع إلى العبد أي: أحمدك وأشكرك يا رب على النعم الفضيلة التي أوصلت إلي من غير استحقاق ولا طلب مني إليك فمراده بالصنائع النعم التي في جسد الحامد من العين والأذن واللسان وغيرها لأن هذه الجوارح هي أعظم النعم على الإنسان فلذلك يجب حفظها وهي سبعة كما أشار إليها بعضهم بقوله:

جوارحنا العينان سمع لساننا يدان مع الرجلان فرج بطوننا

وَأُولِيثَنِي بِهِ مِنْ إِحْسَانِكَ

أي: أعطيتني من النعم الكثيرة من سعة الرزق والمال واللباس والأمكنة، فأحسان الله إلينا في كل لحظة لا يعد ولا يحصى، فيجب على العبد أن يقابل هذا الإحسان بالشكر، قال ابن عطاء الله في حكمه: من لم يشكر النعم فقد تعرّض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها. قال ابن عباد رضي الله عنه: شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها، ثم قال: واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة، فقالوا: الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد للموجود، وصيد للمفقود وكان يقال النعم إذا روعيت بالشكر فهي أطواق، وإذا روعيت بالفكر فهي أغلال.

وَبَيَّأْتَنِي بِهِ مِنْ مَظِنَّةِ الصَّدَقِ عِنْدَكَ

أي: أسكنتني في الجنة على الدوام بقولك الصادق: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾ [الرعد: ٢٩] لأن التبوأ هو الإقامة على الدوام ومراده بمظنة الصدق الجنة لأن خلوص الصدق لا يكون إلا في الجنة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النبا: ٣٥] فالظن هنا بمعنى القول وهو كثير في كلام العرب.

وَأَنْلَتَنِي بِهِ مِنْ مَبْنِكَ الْوَاصِلَةِ إِلَيَّ

المن جمع منة وهي: النعمة العظيمة، أي: وأعطيتني من نعمك الكثيرة المتعددة التي لا حصر لها، وهي واصله إلى منك تفضلاً وامتناناً وجوداً وكرماً وإحساناً.

وَاحْسَنْتَ بِهِ إِلَيَّ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ دَفْعِ الْبَلِيَّةِ عَنِّي

استشعر الذاكر أن كل وقت يدفع الله تعالى عنه بلايا عظام ومصائب جسام، لأنه وإن كان المؤمن في الدنيا لا تفارقه الأحزان، ولا تفتك عنه المصائب فقد ورد ما من مصيبة تصيب المؤمن إلا هناك أعظم منها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ولا بلية ولا مصيبة أعظم من بلية الكفر، عياداً بالله قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، وأما البلايا التي تصيب العبد في الدنيا، فله عليها الثواب الجزيل كيف والله تعالى يجازي المؤمن على كل ما يصيبه من الهموم والأحزان فقد روي عن عائشة عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له من الأعمال ما يكفرها أدخل الله عليه الغموم والهموم فتكون كفارة لذنوبه».

وأخرج الشيخان عن عائشة عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»، وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه ذي شوكة فما فوقها إلا حط الله تعالى بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»، وأخرج مسلم عن عائشة عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب الله له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة» اهـ.

قال ابن عباد: اعلم أن البلياء وشيكة الزوال وعقد المصائب سريعة الانحلال فإن الله تعالى متعطف عن عبده بآلائه، وناظر إليه في حالتي شدته ورخائه، وكل ما يورده عليه من المحن والبلياء فظاهرها نقمة، وباطنها رحمة، وما أحسن قول ابن عطاء الله في الحكم، ليخفف ألم البلاء عليك، علمك سبحانه هو المبتلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار، وقال في التنوير، إنما يقويهم على حمل أقداره، شهوده حسن اختياره، ثم أنشد لنفسه:

وخفف عني ما ألقى من العنا
وما لامرئ عما قضى الله معدل
وأنشده غيره كما في التنوير:
ولما رأيت القضا جاريا
توكلت حقاً على خالقي
بأنك أنت المبتلي والمقدر
وليس له منه الذي يتخير
بلا شك فيه ولا مريّة
وألقت نفسي مع الحريرة

والتوفيق لي والإجابة لدعائي

التوفيق: تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد، لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] قاله في الخازن والإجابة أي: الثواب على دعائي، فاللام بمعنى على وإجابة الدعاء إنالته ما سأل من الله تعالى قال تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل»، قالوا: وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: «يقول دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب لي فيتحسر عند ذلك فيدع أي يترك الدعاء»، وعن سلمان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً»

خائبتين». أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع، وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من الشر مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»، فقال رجل من القوم: إذا نكث، قال: «الله أكثر» أخرجه الترمذي قوله: الله أكثر معناه، الله أكثر إجابة، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه». أخرجه الترمذي، وقال حديث غريب وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس بشيء أكرم على الله من الدعاء»، أخرجه الترمذي، وله عن أنس أن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة» وله عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من فتح له باب من الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية، وإن الدعاء، ينفع مما نزل ومما لم ينزل»، وله عن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا تزيد في العمر إلا البر» اهـ. ويرحم الله علي بن عبد الله بن محمد بن داود الطبري حيث يقول:

يا من ألح عليه الهم والفكر
أما سمعت بما قد قيل في مثل
ثم للخطوب ذا أحداثها طرقت
وكل ضيق سيأتي بعده سعة
وغيّرت حاله الأيام والغير
عند الإيأس فأين الله والقدر
واصبر فقد فاز أقوام لها صبروا
وكل فوت وشيك بعده الظفر

حين ناديك داعياً وانا جيك راعياً وأذعوك متضرعاً مضافياً صارعاً

طلب من الله إجابة دعائه حين يناديه بالدعاء، ويناجيه راعياً، اعلم أن النداء بالدعاء دأب الأخيار والمناجاة إلى الله عند الاضطرار بالتضرع والمصافات حالة الأبرار، قال بعض الحكماء: إن الله يمتحن العبد ليكثر التواضع له والاستغاثة به، ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذ بيده في شدته لأن دوام النعم والعافية تبطر الإنسان حتى يعجب بنفسه ويعدل عن ذكر ربه، ووصف الحسن بن سهل المحن، فقال: هي تمحيص من الذنوب وتنبية من الغفلة، وتعرض للثواب بالصبر، وتذكير بالنعمة واستدعاء للتوبة وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار، وقال شريح: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمدته إن لم تكن أعظم مما هي، وأحمدته إذ رزقني الصبر عليها، وأحمدته إذا ذكرني نعمه السابقة واللاحقة، وأحمدته إذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه في مصيبتني من الثواب وما أحسن قول بعضهم:

توكل على الرحمن في الأمر كله ولا ترغبين في العجز يوماً عن الطلب
 ألم تر أن الله أوحى لمريم فهزّي إليك الجزع يساقط الرطب
 ولو شاء أجنى الجزع من غير هزه إليها ولكن كل شيء له سبب
 فقوله: وأناجيك راغباً، أي: فزعاً إلى الله تعالى في ثوابه ومصافياً من الصفو، وهو
 الخلوص من الكدر والمعنى أدعوك على طريق التضرع وإخلاص القلب وصفاته عما
 سوى الله تعالى.

وَحينَ أَرْجُوكَ رَاجِياً فَأَجِدُكَ كَافِياً وَأَلُوذُ بِكَ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا

قال الشيخ زروق شرح الحكم، الرجاء هو الطمع فيما عند الله بشرط العمل في سبب الوصول إليه وما ورد فيه خارج عن الحصر قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، قال في الحكم: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية، قال سيدي محمد بن عباد: الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد في الأعمال لأن من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه، وأما الرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب، فليس هذا برجاء عند العلماء، ولكنه أمنية واغترار بالله تعالى.

قال معروف الكرخي رضي الله عنه: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال أيضاً: رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق اهـ. باختصار، فقوله: فأجدك وألوذ بك، يعني إذا حصل رجائي فيك تحقق وجداني لك ولياذي بك.

روى الإمام الشافعي عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: سمعت نافعاً يقول: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب بهذا الدعاء فكفي، وهو: «اللهم أني أعوذ بك، وبنور قدسك، وبركة طهارتك، وعظم جلالك من كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير، اللهم أنت غيائي، فبك أغوث، وأنت عيادي فبك أعوذ، وأنت ملاذي فبك ألوذ، الخ» انظر تمامها في كتاب الأرواح في أدعية الفرج للعلامة جلال الدين السيوطي رضي الله عنه.

فَكُنْ لِي بَجاراً حَاضِراً

المراد بالجار هنا: هو الذي يجير غيره، أي: يؤمنه مما يخاف قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ

يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴿[المؤمنون: ٨٨] وقوله: حاضرأ، أي: قريباً مني قرب مكانة، لا قرب مكان تعالى الله عن الزمان والمكان.

حَفِيًّا بَارَاً وَوَلِيًّا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا نَاطِرًا

طلب من الله أن يكون حفيماً له أي برأ لطيفاً، والمراد به يستجيب له لأن الله أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، والله لا يخلف الميعاد، قال في القاموس: مع شرحه للشيخ مرتضى وحفي كغني وتحفي به تحفياً واحتفي به بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح يقال هو حفي أي: ير مبالغ في الكرامة والتحفي والكلام الحسن واللقاء، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا﴾ [مریم: ٤٧] لطيفاً، يقال: حفي فلان بفلان حفة إذا برؤوا لطفه، وقال الفراء أي عالماً لطيفاً، يقال: حفي فلان بفلان حفة إذا برؤوا لطفه وقال الفراء أي عالماً لطيفاً يجيب دعوتي إذا دعوته، وقال غيره أي معيناً بي، وقال الليث الحفي هو اللطيف بك يبرك ويلطفك ويحتفي بك، وقال الأصمعي: حفي به حفاوة قام في حاجته، وأحسن مثواه، وقوله باراً أي مبالغاً في إكرامي والملاطفة بي، والإحسان إليّ والرفق بي، وقوله: ولياً، أي: ناصرأ أو مریداً لي في أموري كلها وقائماً بشؤوني كلها قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقوله: ناظرأ حافظأ، قال الشناوي: ينبغي للطالب أن يقرأ: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣] سبعاً.

وَعَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّهِمْ نَاصِرًا

طلب من الله النصر على جميع الأعداء وأعدى الأعداء، النفس الهوى والشيطان، قال ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك»، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وإلى هذا المعنى أشار بعضهم بقوله:

إليك رسول الله أشكو بعليتي
وأشكو لك الشيطان والنفس والهوى
بالنبل عن قوس له توتير
وقال آخر:

إني بليت بأربع يرميني
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
بالنبل عن قوس له توتير
يا رب أنت على الخلاص قدير

وللخطايا والذنوب كلها كافراً وللغيوب كلها ساتراً

اعلم أن هذا مطلب العقلاء، ومحط رجال أهل الله الأتقياء، إذ لا أهم عند العاقل من مغفرة ذنوبه وستر عيوبه ويرحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا جود وعفو ورحمة تجود وتعفو منه وتكرماً

روى البخاري ومسلم عن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما ابن عمر يطوف بالبيت إذ عرض له رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله ﷺ في النجوى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته»، وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد، وفي رواية فينادي بهم رؤوس الأشهاد من الخلائق، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين اه، ذكره الخازن.

وفي الإحياء جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لي في مالي صدقة، ولا حج، ولا تطوع، أين أنا إذا مت»، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «نعم، معي إن حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد، ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب، وعينيك من اثنتين النظر إلى ما حرم الله، وأن تزدري بهما مسلماً، دخلت معي الجنة على راحتني هاتين»، وفي الحديث الطويل لأنس أن الأعرابي قال: يا رسول الله من يلي حساب الخلق، فقال: «الله تبارك وتعالى»، قال: هو بنفسه، قال: «نعم» فتبسم الأعرابي، فقال ﷺ: «مم ضحكت يا أعرابي؟» فقال: إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح، فقال ﷺ: «ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين»، ثم قال: فقه الأعرابي اه.

لَمْ أَغْدِمْ عَيْنَكَ وَبِرِّكَ وَخَيْرِكَ وَعِزِّكَ وَإِحْسَانِكَ

ظَرْفَةَ عَيْنٍ مِنْذُ أَنْزَلْتَنِي دَارَ الْاِخْتِبَارِ وَالْفَكْرِ وَالِاعْتِبَارِ

العون: الظهور على الأمر والاستعانة طلب المعونة قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وأشار بهذا إلى أساس السلوك الذي تنبني عليه قواعده أن يجعل السالك معتمداً أمره الاستعانة بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه

ولا قوتها في كثير عمله ولا في قليله فإن من المعلوم عن القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب كما قال سيدي ابن عباد، أن من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ إليه، وتوكل في أمره عليه، كفاه كل مؤنة وقرب إليه كل بعيد، ويسر عليه كل عسير، ومن سكن إلى عمله وعقله واعتمد على قوته وحوله، وكله الله تعالى إلى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تيسر مآربه اهـ. وقال بعض العلماء: من ظن أنه يصل إلى الله تعالى بغير الله قطع به، ومن استعان على عباده بنفسه، وكل إلى نفسه وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال:

إذا لم يعنك الله فيما يريد
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك
وقال آخر:

تهياً له من كل صعب مراده
فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده
فالقيام بالأوراد إنما يستقيم ويتيسر لأهل اليقظة وهم الذين يرجعون في مبادئ الأمور إلى الله ويعتمدون عند إرادة افتتاح التصرفات والتلبس بها على الله ويستحضرون قبل الشروع في الأشياء أن لا حول ولا قوة إلا بالله لأن الله جل جلاله حينئذ يكفيهم مهمات أمورهم محاول على تحصيل هذه النكتة في سبحات أيامك، تحصل إن شاء الله على مرامك اهـ. ذكره جسوس في شرحه على تصوف المرشد، وقوله: وبرك - بكسر الباء - أي: فضلك وخيرك عطف تفسير عليه لأن البراسم جامع لكل خير ومنه قول الشاعر:

بني إن البر شيء هين
وهو مثل الباء والمعنى مختلف، قال صاحب مثلثان العرب:

لصادق مع ضد بحر بر
والصدق والخير كذا والبر
وقوله: وعزك وإحسانك عطف لازم على ملزوم لأن من لازم البر والعز والإحسان، وقوله: منذ أنزلتني دار الاختبار، والفكر، والاعتبار، اعلم أن دار الاختبار هي الدنيا، لأنها دار الامتحان، يقال: اختبرته بمعنى امتحنته ذكر السيوطي في كتابه بشرى الكئيب بقاء الحبيب، ما نصه أخرج ابن المبارك في الزهد والطبراني في الكبير

عن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «الدنيا سجن المؤمن فإذا فارق الدنيا فارق السجن». وأخرج ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو قال: «إن الدنيا جنة الكافر، وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه، فجعل يتقلب في الأرض ويتفتح فيها»، وأخرج ابن أبي الدنيا من مراسيل سليمان بن عامر الجباري مرفوعاً: «إن مثل المؤمن في الدنيا كممثل الجنين في بطن أمه، إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه، حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه، وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا مضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا، كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه» اهـ منه ومن لازم السجن الفكر، وهو شدة الحزن والاعتبار، بمعنى الاختبار.

قال في المصباح والاعتبار: يكون بمعنى الاختبار والامتحان، مثل اعتبرت الدراهم فوجدتها ألفاً ويكون بمعنى الاتعاض نحو قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] اهـ منه: وطرفة العين هي لمح البصر، ومنذ بمعنى وقت أي: وقت أنزلتني في صلب آدم وبطن حواء، واعلم أن النزول كان إكراماً من الله لسيدنا آدم ﷺ، لأنه سبب في وجود هذا النسل العظيم وفي ظهور سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ المخصوص من الله بالإجلال والتعظيم عليه من الله أفضل صلاة وأزكى تسليم.

لَتَنْظُرَ مَا أَقْدَمَ لِدَارِ الْخُلُودِ وَالْقَرَارِ

يعني أن من لم يعدم عون الله وبره وخيره وإحسانه طرفة عين فإنه يوفق للأعمال الصالحة التي يقدمها المرء ويدخرها ليوم القيامة، وهي دار الخلود والقرار ومراده أنه يتسبب عن الأعمال الصالحة سكنى الجنة قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨].

والمقامة مع الأخيار

أشار بهذا إلى أنه إذا من الله عليه بسكنى الجنة يكون مقيماً مع الأخيار الأصفياء الأبرار قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] وسبب نزول هذه الآية كما ذكره الخطيب الشرييني في تفسيره، قال: روي أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ، قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه،

يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله ﷺ: «ما غير لونك» فقال: يا رسول الله ما بي مرض، ولا وجع، غير أنني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ﴾ [النساء: ٦٩] إلى آخرها.

فأنا عندك فاجعلني يا رب عتيقك يا إلهي ومؤلاي خالصني من النار

هذا اعتراف منه بذل العبودية لمقام الربوبية وهو أرفع المقامات وأشرف الحالات وبسبب أنه عبد حقيقة علم أن له رباً يغفر الذنوب، ويخلص أحبائه من النار، والكرب فطلب من الله تعالى أن يجعله عتيقاً من النار، ومخلصاً من الشدائد والأغيار، وفي الحديث إذا أذنب العبد ثم استغفر، قال الله تعالى: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، قد غفرت له..

وَمَنْ جَمِيعِ الْقَضَارِ وَالْمَضَالِ

طلب من الله تعالى أن يخلصه من جميع ما يضره في دنياه، فيكون سبباً لغضب الله يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم وطلب أيضاً النجاة، معنى ارتكاب الأمور التي تكون سبباً لضلاله، قال تعالى: «من يضل الله فلا هادي له، اللهم اهدنا بهديك ووفقنا لطاعتك حتى تبعثنا وأنت راض عنا، فتدخلنا جنتك يا أرحم الراحمين».

وَالْقَصَائِبِ وَالْقَعَائِبِ

المصائب: جمع مصيبة، ولا مصيبة أعظم من مصيبة الدين، أخرج السيوطي في الجامع الصغير عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك» إلى أن قال فيه: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا» قال العريزي: أي لا تصبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام، واعتقاد سوء وفترة في العبادة وإلى هذا المعنى أشار فقال:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزكي بعضهم بعد
ابنني أن من الرجال بهيمة
والمنكرون لكل أمر منكر
ضأ ليدفع معور عن معور
في صورة الرجل السميع المبصر

فطناً بكل مصيبة في ماله فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل اللبيب تكن لبيباً مثله من يسع في علم بلب يظفر
وقوله: المعائب جمع عيب بمعنى العيوب، والمراد به ما يعيب الإنسان بين يدي
الله تعالى من المعاصي والذنوب، طهرنا الله من ذلك وأصلح أحوالنا هناك.

وَالنَّوَائِبُ وَاللَّوَاظِمِ

النوائب، جمع نائبة، وهي: المصيبة ونوائب الدهر شدائده، واللوازم جمع لازم،
واللازم ما يختص بالشيء ولا ينفك عنه، والمراد به هنا البلايا التي لا تنفك عن
الإنسان، ومعنى كلامه طلب الذاكر من الله خلاصه من المصائب وشدائد الدهر التي لا
تنفك عن الإنسان غالباً:

إليك رسول الله أشكو نوائباً من الدهر لا يقوى بها المتحمل
وإني لأرجو أنها بك تجلني فإنك لي جاه وحصن ومعقل

وَالهَمُومِ الَّتِي قَدْ سَاوَرْتَنِي فِيهَا الْغَمُومُ بِمَعَارِضِ أَصْنَافِ الْبَلَاءِ

الهموم، جمع هم، وهو: الحزن والمساورة المغالبة، والغموم جمع غم، قال في
المصباح: غمه الشيء غماً غطاءً، ومنه قيل للحزن غم لأنه يغطي السرور والحلم اهـ.
وقوله: بمعارض جمع معرض وهو ما يعرض للإنسان من حمى وغيرها وأصناف جمع
صنف بكسر الصاد قال في المصباح، قال ابن فارس فيما ذكره عن الخليل الطائفة من
كل شيء، وقال الجوهري الصنف هو النوع والضرب اهـ. والبلاء قال في المختار البلية
والبلوى والبلاء واحد، يقال: بلاء جرّبه واختبره، وفي المصباح بمعنى امتحنه ومعنى
الكلام أن الذاكر طلب من الله أن يخلصه من الهموم التي غالبته بسببها الغموم والأحزان
بما عرض له من أنواع البلاء فقوله التي قد ساورتني صفة المضار وما عطف عليها
والضمير في قوله فيها عائد على الوصول والمراد به جمع ما ذكر من المضار وغيرها من
العطوفات.

تنبيه: يجب على المرید إذا نزلت به مصيبة واعترتة هموم وأحزان، أن يتلقى ذلك
بالصبر الجميل لينال من الله الثواب الجزيل، ففي الحديث النصر مع الصبر، والفرج مع
الكرب، واليسر مع العسر، وقال علي بن الجهم رضي الله عنه:

فما تجرّع الصبر مغتصم بالله إلا أتاه الله بالفرج

وقال محمد بن بشار رضي الله عنه:

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تِيَأْسُنْ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبَةُ
أَخْلَقَ بِنَدَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ
وَمَنْ جَزَعُ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَاضْطْرَابَ عِنْدَ وَقُوعِ النَّوَائِبِ، كَانَ عَامِلًا فِيمَا يَكْسِبُهُ
وَزَرًا، وَنَاهِيكَ خَسْرًا، وَلِلَّهِ فِي الْقَائِلِ:

وَإِنْ تَصَبَّكَ فَاصْبِرْ لَهَا
وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْإِمَامَ الْقَاضِيَّ التَّنُوخِيَّ حَيْثُ يَقُولُ:

هُوَ عَلَى قَلْبِكَ الْهَمُومُ فَكَمْ
مَا الشَّرُّ مِنْ حَيْثُ تَتَّقِيهِ وَلَا
وَقَالَ بَعْضُ الشَّرَفَاءِ مِنْ أَهْلِ وَازَانَ رضي الله عنه:

كَمْ كَرِبَةٌ قَدْ نَزَلَتْ بِجَيْشِهَا
حَتَّى إِذَا أَبَسَتْ مِنْ زَوَالِهَا
وَضَاقَ صَدْرِي مِنْ لِقَائِهَا وَانزَعَجَ
جَاءَتْ لِي الْأَلْطَافُ تَسْعَى بِالْفَرْجِ

وَضُرُوبُ جَهْدِ الْقَضَاءِ

ضروب: جمع ضرب - بفتح الضاد وسكون الراء - الصنف والنوع والجهد بفتح فسكون التعب والمشقة، قال في المصباح: وجهده الأمر والمرض جهداً أيضاً إذا بلغ منه المشقة، ومنه جهد البلاء اهـ. والقضاء الحكم والمراد به هنا حكم الله على عباده.

إِلَهِي لَا أَذْكَرُ مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ

هذا من الذاكر تضرع ومناجات والإله هو المعبود بحق، وإضافه إلى نفسه لشدة احتياجه إليه كما قيل:

إِنِّي إِلَيْكَ مَدَى الْأَنْفَاسِ مُحَاجٍ
وَقَوْلُهُ: لَا أَذْكَرُ مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ، أَي: لَا أَعْهَدُ مِنْكَ إِلَّا إِسْدَاءَ الْمَعْرُوفِ، وَتَوَالِي
النَّعْمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [القمان: ٢٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ
نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وَقَالَ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]
وَالْجَمِيلُ ضِدُّ الْقَبِيحِ، قَالَ الْقَشِيرِيُّ فِي كِتَابِهِ: التَّحْبِيرُ الْجَمِيلُ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ
اللَّهِ تَعَالَى، وَرَدَ بِهِمَا التَّوْفِيقُ، ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا الْجَمِيلُ فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ

بمعنى الجليل وجماله هو جلاله وعظمته سبحانه واعلم أن الله سبحانه يكشف القلوب مرة بوصف جلاله ومرة بوصف جماله فإذا كاشفها بنعت جماله صارت أحواله عطشاً في عطش، وإذا كاشفها بوصف جلاله صارت أحواله دهشاً في دهش، فمن كاشفه بجلاله أفناه ومن كاشفه بوصف جماله أحياء وكشف الجلال يوجب احتياجاً وثبوراً، وكشف الجمال يوجب ارتياحاً وسروراً، والعارفون كاشفهم بجلاله فغابوا والمحبون كاشفهم بجماله فطابوا اهـ، منه:

وَلَمْ أَر مِّنكَ إِلَّا التَّفْضِيلَ

أي: لا تعاملني إلا بالإحسان، وأنا مصرّ على الإساءة والعصيان، فهذا كمال فضلك وجميل سترك والتفضيل مصدر فضل بتشديد الضاد، يقال: فضّلته على غيره صيرته أفضل منه.

خَيْرُكَ لِي شَامِلٌ

أي: كرمك وجوده شامل لي في كل وقت، والخير ضد الشر، وشامل أي: جامع لما تفرق من أمره، قال الشناوي لدفع الفقر يكرر: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩] الآية، يقرؤها ثلاثاً.

وَصُنْعُكَ لِي كَامِلٌ

الصنع - بضم الصاد-: مصدر قولك صنع إليه معروفك وإحسانك تام لي في كل حالة من الأحوال.

وَلَطْفُكَ لِي كَافِلٌ

اللفظ - بضم اللام-: الرفق يقال لطف الله بنا أي: رفق ربنا، والكافل هو الذي يكفل إنساناً يعوله ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] واعلم أن قول الذاكر لطفك الخ، كأنه ينادي الله تبارك وتعالى باسمه اللطيف، قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه: نضار الذهب ومن أسمائه تعالى الحسنی بإجماع الأمة اللطيف وهو في اللغة على وجهين: أحدهما: أنه مأخوذ من لطف يلطف إذا وفق بغيره، والثاني: مأخوذ من قولهم لطف بضم الطاء إذا صغر ودق هذا الوجه لا يليق بمعنى اللطيف في صفات الله تعالى وإنما يقال الله اللطيف على الوجه الأول وهو كونه لطيفاً في فعله بإنعامه وإفضاله فيصير بذلك من صفات أفعاله اهـ.

تنبيه: اعلم أن لهذا الاسم الشريف تأثيراً عجبياً في قضاء الحاجات، ونيل جميع الرغبات من خالق الأرض والسماوات في جميع الأوقات.

قال سيدنا وسندنا القطب الرباني العارف الصمداني سيدنا أبو العباس التيجاني في بعض رسائله كما في جواهر المعاني: ومن كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها أو كثرت عياله واشتد فقره وتغلقت عليه أسباب المعاش فليفعل ما ذكرنا يعني بأن يلزم ألفاً من قوله: يا لطيف خلف كل صلاة إن قدر وإلا ألفاً في الصباح وألفاً في المساء فإنه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته وينبغي أن يلزم قبله مائة من صلاة الفاتح لما أغلق ويهدي ثوابها للنبي ﷺ وينوي بهما أعني باللطيف والصلاة على النبي ﷺ أن ينفذه الله تعالى من جميع وحلته ويعجل خلاصه من كربته فإنه تسرع له الإغاثة في أسرع وقت ويرد الفرج من الله عن قريب ومن دعاء خوف هلاك متوقع نزوله به من خوف ظالم ولا يقدر على مقاومته أو خوف من صاحب دين لا يجد منه عذراً ولا إمهالاً ولا يجد من المال ما يؤديه له ومن كل مخوف فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أو هما معاً فإنه ينقشع عنه عن قريب اهـ. منها بتقديم وتأخير واختصار وإيضاح.

فائدة: نقل أن أبا المواهب سيدي العربي ابن السائح رحمته الله ذكر لهذا اللطيف زجراً وهو أن تتلوا ألفاً من يا لطيف فإذا كملته.. فأتل صلاة الفاتح مرة ثم يا لطيف أربعاً، ثم اللهم بسر اسمك اللطيف بي في الأمور كلها، وأسلك بي مسالك النجاة والطف بي يا لطيف ثم يا لطيف أربعاً، ثم اللهم بسر اسمك اللطيف أطف بي فيما جرت به المقادير عندك يا لطيف أربعاً، اللهم بسر اسمك اللطيف أدخلني في دائرة اللطف والحفظ والنجاة والأمان يا لطيف ثم يا لطيف أربعاً، ثم اللهم بسر اسمك اللطيف أطف بي لطفاً خفياً من دقائق لطفك الخفي الذي إذا لطفت به لعبد كفى يا لطيف ثم صلاة الفاتح ثلاثاً أو سبعاً أو أحد عشر اهـ. من خط بعض الأصحاب الثقات، وقال صاحب المنهج الحنيف في معنى اسمه تعالى اللطيف: هذا الاسم ما أسرعه لتفريج الكرب في أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره يظهر من أثره العجب العجاب ولا يذكره من يؤلمه شيء في نفسه أو بدنه إلا أزاله الله عنه في أثناء الذكر ولا يذكره أحدها له في نفسه أمر عظيم ومثل ذلك الأمر في مخيلته، ثم أقبل على الذكر وهو يلاحظ تلك الكيفية إلا شاهدها كيف تنجلي وتضمحل، فلا يقوم من مقامه وبقي شيء يرهبه البتة، قال تاج الدين بن عطاء الله رحمته الله:

أصبحت أطلب منك اللطف مجتهداً واللفظ يطلبني لو كنت أعقله
وما تحملني عما تشاء به إلا وأنت بلطف منك تحمله
وروى السمعاني عن والده قال: سمعت سعد بن نصر الواعظ يقول: كنت خائفاً
من الخليفة لحادث نزل بي واشتد الطلب فرأيت في المنام كأنني في غرفة وأنا أكتب شيئاً
فجاء شخص فوقف بإزائي وقال اكتب ما أملي عليك وأنشدني:

دافع بصبرك حادث الأيام وترج لطف الواحد العلام
لا تياس وإن تضايق كربها ورمباك ريب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة تخفى عن الأبصار والأوهام
كم من نجى بين أطراف القنا وفريسة سلمت من الضرغام
وفي هذا القدر كفاية ومن أراد استيفاء الكلام على هذا الاسم الشريف فعليه
بالمنهج الحنيف وبإقناع العفيف كلاهما في اسمه تعالى اللطيف، وقال أبو العباس
السرجمي عن أبي الفضل الناظم قال: وقعت في شدة عجز عن دفعها أرباب الجاه
فعملت هذين البيتين وعلقتهما تجاه القبلة فكشف تلك الشدة عني:

يا رب ما زال لطف منك يشملني وقد تجدد بي ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرماً فمن سواك لهذا العبد يرحمه

وَبِرِّكَ لِي غَامِرٌ

البر - بالكسر - : الخير والفضل والغامر الكثير أي: خيرك وفضلك كثير كثير لي
في جميع حركاتي وسكناتي.

وَفَضْلِكَ عَلَيَّ دَائِمٌ مُتَوَاتِرٌ

الفضل: الزيادة فوق الحاجة والتواتر والتتابع، قال في المصباح: قال الأزهري في
التوتيرة: المداومة على الشيء، والملازمة وهي مأخوذة من التواتر وهو التتابع اهـ. المعنى
أن فضل الله دائم متواتر أي: متتابع على ذاكره قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وِنِعْمَتِكَ عِنْدِي مُتَّصِلَةٌ

النعم - بكسر النون وفتح العين - : جمع نعمة، وهي عبارة عن كثرة المال واتساع
الحال في الأكل والشرب والنكاح واللباس، يقال: فلان واسع النعمة أي: واسع المال،
قال في الخازن في قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] يعني من نعمة

الإسلام وصحة الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى، إنما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع أنعامه اهـ.

لَمْ تَخْفِزْ لِي جَوَّارِي

الإخفار: نقض العهد، قال في المختار: أخفزه نقض عهده وغدره، فقوله تخفر بضم التاء وكسر الفاء مضارع أخفر الرباعي وليس بفتح التاء مضارع خفر الثلاثي والجوار بكسر الجيم الذمة والمعنى طلب الذاكر من الله تعالى أن يؤمنه، ولم ينقض عهده وذمته قال الشناوي والجوار إما بمعنى الأمان فالمعنى لم ينقض أمانني من لذتك الذي هو بمنزلة العهد في عدم التبدل وهو عصمة الدم والمال والولد بسبب الإسلام، وأما بمعنى المقارنة في السكنى فالمعنى لم تنقض وعدك بقربي عندك في الجنة يوم القيامة أو لم تنقض وعدك بقربي عندك في الدنيا اهـ.

وَأَمَّنْتَ خَوْفِي

أي: إذا لم تنقض عهدي وذمتي فقد أمنتني من خوف عذابك وسطوة انتقامك لكن هذا في الآخرة فقط، وأما في الدنيا فيجب على المؤمن أن يكون بين الرجاء والخوف كالطائر بين جناحين قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] والخوف كما في الأحياء عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وهو من أخلاق المؤمنين ومقامات أهل اليقين قال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وقال: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠] فجعل فضائل الذكر مخصصة بالخائفين، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [٤١] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] وقال عليه السلام: «رأس الحكمة مخافة الله تعالى»، وقال عبد الله بن مسعود: المؤمن يرى ذنوبه كأنه تحت جبل يخاف أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فأطاره.

قال الشيخ جسوس في شرح المرشد: والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله لا تنحصر وكلها ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينافيه وضد الخوف الأمن اهـ. قال في الحكم: لا يخرج الشهرة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مفلق، وقال أبو علي الدقاق عليه السلام: صاحب الحزن يقطع من طريق الله عز وجل

في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين اه، أي: لأن من حقيقته التهمم بالمحزون عليه والتهمم يقضي النهوض في طلبه، قال ابن جزري في تفسيره والناس في الخوف على ثلاث مقامات، فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها اه.

وفي لطائف المنن عن الشيخ أبي العباس المرسي رحمته الله قال: العارف إذا خوّف خاف قال الله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم، يريد الشيخ رحمته الله أن العارف لا يقطعه نظره إلى فضل الله عن شهود عدله ولا يحجبه شهود لطفه عن خوف ما بطن في مشيئته ونقل عن الإمام الشاذلي رحمته الله أنه قال قيل لي لا تأمن من مكري وإن أمنتك فإن علمي لا يحيط به محيط اه. وقال رحمته الله: «من خاف الله خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله خوّفه من كل شيء» ونظم بعضهم هذا الحديث فقال:

ومن يخاف الله رب العالمين يخافه كل قوي ومتين
ومن يخاف الله خاف مؤلماً خوف منه خلقه فلتعلما
والعكس بالعكس كما في الخبر فانظر لنفسك وحقق النظر

تنبيه: لأجل ما ورد في خوف الله وعدم الأمن من مكره بنيت طريقتنا الحمديّة الأحمديّة التجانية الإبراهيمية الحنيفية على عدم الأمن من مكر الله تعالى قال سيدنا رحمته الله كما في جواهر المعاني: أبشروا أن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الأمن على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله وفيها أيضاً وسألته عن حقيقة المنكر فأجاب بقوله حقيقة المنكر هو إظهار النعمة على العبد وبسطها له ثم يدرجه إلى غاية الهلاك في تلك النعمة اه، وقد كان سيدنا رحمته الله كثيراً ما ينشد للفقراء:

وآمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف
ولا جاهل إلا من آمن ولا عارف إلا من الله خائف

وَصَدَقْتَ رَجَائِي

أي: أعطيتني ما رجوته يوم القيامة من قبول الحسنات والعتق عن السيئات ورفع الدرجات في أعلى الغرفات وحقيقة الرجاء هو ارتياح القلب لانتظاره ما هو محبوب عنده وإن شئت قلت الرجاء طمع يصحبه عمل في المطموع فيه بوجه يحصله بحكم سنة الله سبحانه قال الشيخ زروق في شرح الحكم وقال أيضاً هو الطمع فيما عند الله بشرط العمل في سبب الوصول إليه وما ورد فيه خارج عن الحصر قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴿الزمر: ٥٣﴾ الآية، وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] قال: لا يرضى محمد ﷺ وواحد من أمته في النار وعنه عليه السلام أممي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة، عجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل واحد من أممي رجل من أهل الكتاب فقيل له هذا فداؤك من النار وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً، للقيته بقراب الأرض مغفرة ما لم يشرك بي شيئاً وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى أن إبليس لتناول رجاء أن تصيبه.

تتمة: ذكر شيخنا القطب الرباني والنور والعرفان أبو العباس سيدي أحمد التيجاني أن صفة العبد المؤمن أن يكون دائماً خائفاً من ربه لا يأمن على نفسه بحال ولا يطمئن قلبه من خوف عذاب الله تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والإيمان له جناحان كالطائر جناح وهو الأول من الخوف: وهو توجع القلب من شدة الوعيد، والجناح الثاني: هو الرجاء في الله سبحانه وتعالى بأن يغفر له ولا يعذبه ولا يتوقع فيه الأمان، فإذا تمحض الرجاء وحده بلا خوف كان آمناً، والأمن من مكر الله تعالى عين الكفر بالله تعالى، فإذا تمحض الخوف وحده كان يأساً من الله عز وجل واليأس من الله عز وجل عين الكفر بالله والسلام اهـ. نقله سيدي عمر الفتوي في الرماح، وقال في الإحياء: فإن بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك، عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء ولذلك قيل الرجاء كله لأهل الخوف إلا الأمن والخوف كله لأهل الرجاء إلا اليأس. وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: من عبد الله بمحض الخوف تاه في بحار الأفكار، ومن عبد الله بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار، ومن عبد الله بالخوف استقام على محجة الأذكار اهـ.

وفي ابن جزري: الرجاء ثلاث درجات: الأولى: رجاء رحمه الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود، والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور، والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمن فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة ثواب الله، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله، ومقام خاصة الرجاء لقاء الله حباً فيه وشوقاً إليه اهـ.

وَحَقَّقْتُ أَمَالِي

الآمال: جمع أمل كما في المصباح هو الترقب إلى الشيء، وانتظاره والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله ولهذا يستعمل بمعنى الخوف فإذا قوي الخوف استعمل استعمال الأمل والمعنى أن من لم يخفر الله جواره يؤمن من خوفه ويصدق رجاءه ويحقق مأموله وذلك بكرمه وفضله وجوده وامتنانه أمن الله خوفنا وصدق رجاءنا وحقق مأمولنا بجاء سيدنا محمد ﷺ.

وصاحبنتني في أسفاري وأكرمتني في أحضاري

المصاحبة: الملازمة وكل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه، والمعنى طلب الذاكر من الله تعالى أن يرافقه في سفره بالألطف الخفية ويحفه بأنواع السلامة والعافية وأن يحفظه من كل مخوف ويؤمنه من كل مؤذ وأن يكرمه في حضره بأنواع الخيرات ويفيض عليه من مواهب المنح والعطيات.

وعافيت أمراضي وشفيت أوصابي

والعافية: زوال الأسقام يقال: عافاه الله محا عنه الأسقام وإذا محا الله عن العبد الأسقام زال عنه المرض وحصل له الشفاء، والأوصاب جمع وصب والوصب الوجع ومعنى هذا أن الذاكر طلب من الله أن يعافي أمراضه ويشفي أوصابه لكن المراد بالعلل والأوصاب علل القلوب بكثرة الخطايا والذنوب ووجع الجوارح بالتكاسل عن عبادة علام الغيوب لأن هذا هو المطلوب الأهم والمقصود الأتم وإلا فالأمراض الظاهرة إن تلقاها المؤمن بالصبر والرضى نال من الله الأجر الجسيم والثواب العظيم. ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاركها إلا كفر الله بها خطاياها» وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة»، أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه وعن أم الدرداء رضي الله تعالى عنها أنها كانت تقول إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى لهم رضوا به لهم في الجنة منابر تغبطهم بها الشهداء يوم القيامة، وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء

بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي الدنيا وصححه الترمذي اهـ.

انظر برد الأكباد لجلال الدين السيوطي رحمه الله، وقال ابن عباد: إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به، ومستعطف عليه، وناظر إليه فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي له أن لا يكثر بذلك ولا يباله فإنه لم يتعد إلا خيراً له فليحسن به ظنه وليعتقد أن ذلك اختبار له وأن في ذلك مصالح خفية لا يعلمها إلا هو كما قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] قال أبو طالب المكي في هذه الآية، فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر، وهو خير له في الآخرة، وقد يحب الغني والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى وأسوأ عاقبة، وفي معنى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [القمان: ٢٠] قيل: ظاهرة العوافي وباطنه البلايا لأنها نعمة في الآخرة فإذا كل ما يصيب المؤمن فهو نعمة كائناً ما كان فله الحمد على نعمه اهـ.

فائدة: قال الجنيد رضي الله عنه: كنت نائماً عند سري السقطي رضي الله عنه فنبهني، وقال لي: يا جنيد رأيت كأنني قد وقفت بين يدي الله تعالى فقال لي: يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي، فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم، وبقي معي عشر العشر وخلقت الجنة، فهرب مني تسعة أعشار العشر، وبقي معي العشر وخلقت النار فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر، فسلبت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر، فقلت للباقيين معي لا الدنيا أردتم، ولا الجنة أخذتم، ومن النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون قالوا إنك لتعلم ما نريد، فقلت لهم: أني أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسي أتصبرون، قالوا: إذا كنت أنت المبل فافعل ما شئت فهو لاء عبادي حقاً اهـ. وقد أنشد جعفر بن مكي البغدادي رضي الله عنه:

إلهي يا مولى الموالى وخير من
تمد إليه الراح عند سؤالي
قطعت رجائي عن سواك لأنني
رجوتك إذ كنت العليم بحالي
ومن يك في كل الأمور مفوضاً
إليك فقد جاز المنى بكمال
وقال الإمام أبو علي الحسين بن محمد المروزي رضي الله عنه:

إذا ما رماك الدهر يوماً بنكبة
فأوسع لها صدرأ وأوسع لها صبرا
فإن إله العالمين بفضله
سيعقب بعد العسر من فضله يسرا
وقال بعض الشعراء:

إذا بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تياسن فإن الصانع الله

تنبيه: قال الشناوي رحمه الله يقرأ لدفع الأمراض الروحانية والجسمانية: بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ويقرأ إحدى وأربعين مرة ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون اهـ.

وأحسنن مُنْقَلِبِي وَمَثْوَايَ

المنقلب: الرجوع من حالة إلى أخرى، والمثوى الاستقرار، والمعنى طلب من الله أن يحسن منقلبه أي رجوعه إلى دار الآخرة، وأن يحسن استقراره فيها قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] اهـ.

وَلَمْ تُشْمِتْ بِي أَعْدَائِي وَحَسَّادِي

الشماتة: الفرح ببلية العدو، قال في المصباح: شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت به، والأعداء جمع عدو والعدو خلاف الصديق، المولى والحساد جمع حاسد، والحاسد هو الذي يتستى زوال النعمة عن المحسود واتخاذها لنفسه وهو حرام كتاباً وسنة وإجماعاً وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله عند قوله: وحسد كل حاسد، وقد طلب من الله أن لا يشمت به أعداءه وحساده. روى الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه للمؤمن أربعة أعداء: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وشيطان يضلّه، وكافر يقاتله، وأنشد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة:

ألم تر أن ربك ليس تحصي أياديه الحديدية والقديمة
تسل عن الهموم فلبس شيء يقيم ولا همومك بالمقيمة
لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمة

قال الشناوي: يقرأ اثني عشرة مرة رب إني مغلوب فانتصر ويصلي ركعتين بنية تفرقة الأعداء يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة تبت الخ إحدى وأربعين مرة ثم يسجد ويقول في سجوده: حسبي الله ونعم الوكيل إحدى وسبعين مرة، وما رميت إذ رميت

ولكن الله رمى يا مذلّ كل جبار عنيد بقهر عزيز سلطانه إحدى وعشرين مرة فسيكفيكم الله وهو السميع العليم إحدى عشرة مرة.

وَرَمَيْتَ مَنْ رَمَانِي بِسُوءٍ

أي: أطلب منك يا رب أن تهلك من أذاني ورماني من كل بسوء سواء كان الرمي بالقول أو بالفعل:

وَكَفَيْتَنِي شَرَّ مَنْ عَادَانِي

طلب من الله أن يكفيه شر من عاداه وأعدى الأعداء هي النفس كما في الحديث «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» ثم يليها في العداوة الشيطان والهوى ولا أحد ينفعك عن الثلاثة إلا من حفظه الله منهم.

فَأَنَا أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ أَنْ تَدْفَعَ عَنِّي كَيْدَ الْحَاسِدِينَ وَظُلْمَ الظَّالِمِينَ وَشَرَّ الْمُعَانِدِينَ

توسّل إلى الله تعالى أن يدفع عنه كيد كل حاسد، وظلم كل ظالم، وشر كل معاند، وصرح باسم الجلالة لأنه في مقام التضرّع والابتهال، وقرع باب الكبير المتعال والكيد لغة الخديعة والمكر والظلم، وضع الشيء في غير موضعه والمعاند هو المخالف للحق والمعارض له بالعصيان.

وَأُحْمِنِي تَحْتَ سُرَادِقَاتِ عِزِّكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ

طلب من الله أن يحميه أي: يمنعه تحت سرادقات عزه لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، الحماية لغة الدفع يقال حماه يحميه حماية دفع عنه وهذا شيء حمى أي محظور لا يقرب والسرادق ما يمد على صحن البيت، وقال الجوهري: كل بيت كرسف سرادق، وقال أبو عبيدة: السرادق الفسطاط قاله في المصباح والمراد به هنا الستر بالعز والنصر والمنعة من كل مؤذ ومضر وذلك بفضل الله وكرمه وجوده وإحسانه.

وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَعْدَائِي كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

البعد: ضد القرب، والمعنى أن الذاكر طلب من الله أن يباعد بينه وبين أعدائه كما باعد بين المشرق والمغرب، والمراد بالمشرق موضع شروق الشمس وبالمغرب موضع غروبها وقدر ما بينهما هو اليوم بتمامه أو الليل بتمامه.

وَأَخْطَفَ أَبْصَارَهُمْ عَنِّي بِنُورِ قُدْسِكَ

الخطف: الاستلاب وهو بفتح الطاء فعل أمر من باب فهم وهي اللغة الجيدة، وفيه لغة أخرى من باب ضرب وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف والنور ضد الظلمة، ومعناه طلب من الله أن يخطف أي يستلب عنه أبصار الأعداء بنور قدسه ويفيض عليه شعاع أنسه حتى لا يقدر أحد أن ينظره بسوء في جميع لحظاته.

وَأَضْرِبْ رِقَابَهُمْ بِجَلَالِ مَجْدِكَ

هذا دعاء أيضاً على الأعداء بأن يضرب رقابهم بجلال مجده، وجلال الله عظمته والمجد والعز والشرف والكرم، ومعناه طلب من الله أن يضرب رقاب أعدائه ويهلكهم بعظمتهم وعزّه وكرمه.

وَأَقْطِعْ أَعْنَاقَهُمْ بِسَطَوَاتِ قَهْرِكَ

هذا أيضاً دعاء على الأعداء بقطع أعناقهم، ومحقق أثرهم بسطوات قهر الله الذي لا يطاق انتقامه ولا يدرك عزّه وسلطانه، والسطوة: البطش بشدة، يقال: سطا به وعليه قهره وأذله والقهر الغلبة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وَأَهْلِكُهُمْ وَدَمَرَهُمْ تَدْمِيرًا كَمَا دَفَعْتَ كَيْدَ الْخُسَادِ عَنِ أَنْبِيَائِكَ

هذا تعميم بعد تخصيص والمراد طلب هلاك أعدائه وتدميرهم والدمار الهلاك فهو مرادف لما قبله وقد طلب من الله أن يكون هلاك أعدائه وتدميرهم كهلاك وتدمير أعدائه الأنبياء وحسادهم، وقد أهلك الله قوم عاد والريح العقيم، وقوم نوح بالغرق، وبني إسرائيل بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وغيرهم من الأمم كل واحد بنوع من أنواع الهلاك كما قصّ الله علينا ذلك في كتابه الحكيم قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وَضَرَبْتَ رِقَابَ الْجَبَابِرَةِ لِأَصْفِيَانِكَ

الجبابة: جمع جبار، والجبار هو المتكبر، يقال: جبار من الجبرية لأن التكبر في وصف الخلق مذموم وفي وصف الحق سبحانه محمود والأصفياء جمع صفي وهو الخالص من الكدر والمراد به هنا أولياء الله المختارون لقربه ومشاهدة أسرارهم وشراب حبه سقانا الله من شراب خاتمهم شيخنا القطب الأكبر والكبريت الأحمر العارف الرباني

أبي العباس سيدنا أحمد التيجاني بجاء جدّه صفوة الله من خلقه سيدنا محمد حبيبه
ونبيه ﷺ وعلى آله .

وخطفت أبصار الأعداء عن أوليائك

خطف - بكسر الطاء- : فعل ماضٍ من باب فهم كما سبق وتقدم معنى خطف
أبصار الأعداء، والأولياء جمع ولي، والولي فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به
ومنه الله ولي الذين آمنوا والجمع أولياء قاله في المصباح، وقال أبو القاسم القشيري
في رسالته قال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بعد
المكابدة واعتقوا الروح بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية، ثم قال: وقال أبو
علي الجوزجاني: الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق سبحانه تولّى
الله سياسته فتوالت عليه أنوار التوالي لم يكن على نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار
ثم قال: وقال يحيى بن معاذ: الولي ريحان الله في الأرض يشمه الصديقون فتصل
رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم
انظرها ففيها ما يشفي ويكفي وقد أشار إلى معناه شيخنا العلامة سيدي الحاج محمد
كنون جدّد الله عليه الرحمات بقوله:

ثم الولي مؤمن قد قربا من ربّه قرب اصطفاء واجتبا

وقطعت أعناق الأكاسرة لأتقيائك

الأكاسرة: جمع كسرى - بكسر الكاف - كما في اللغة الفصيحة وهو لقب كل من
ملك الفرس، كما إن قيصر لقب لكل من ملك الروم، والمراد به هنا كل من جار في
حكم الله وتجبر على خلقه، والأتقياء جمع تقي، والتقوى هي رأس كل خير قال تعالى:
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣] وقد أشار إلى حقيقتها صاحب الرشد بقوله:
وحاصل التقوى اجتناب وامتنال الخ.

وقد ذكر الله لفظ التقوى في كتابه ما يقرب من مائتي مرة وذلك دليل على تعظيمها
فليشتمر العاقل فيها عن ساعد جدّه، ويعمل في تحصيلها بغاية جهده، قال الشيخ زروق
وكان بعض السلف يوصيني ويقول التقوى عز والعلم كنز وترك الشر حرز وصدق رحمه
الله قال ابن جزري في تفسير درجات التقوى خمس: تقوى الكفر وهو مقام الإسلام،
وتقوى المحرمات وهو مقام التوبة، وتقوى الشبهات وهو مقام الورع، وتقوى المباحات

وهو مقام الزهد، وتقوى خطور غير الله على القلب وهو مقام المشاهدة وإلى هذه الدرجات أشار سيدي عبد القادر بن شقرون فقال:

مراتب التقوى لخمسة قسمت
ثم مباح لحظ غير الله
إسلامنا الأول ثم توبة
والبواعث عليها عشرة جمعها شيخنا المحقق سيدي التهامي كنون حفظه الله وأدام
النفع به آمين بقوله:

ثم البواعث عليها عشرة
كذا رجاء الثواب فيهما وزد
خوف الحساب ثم صدق الحب
وقد أكثر السلف والخلف في مدحها
السلام بن مشيش رضي الله عنه:

عليك بتقوى الله في السر والجهر
لأن التقى أصل إلى الخير كله
وخير جميع الزاد ما قال ربنا
وكن صابراً إن شئت تظفر بالمعنى
وكن خاشعاً لله بالعلم والرضى مع
وكن ورعاً وأرض القناعة حرقة
وداوم على القرآن إن كنت قارئاً
خالف قوى النفس اللئيمة إنها
ولا تطمعن في الخلق وأرض بخالق
وأيت بها بطولها لاشتمالها على فوائد
كثيرة ومواعظ جميلة، وقال آخر:

ولا تترك التقوى انكالا على النسب
وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب
وقال آخر:

بتقوى الإله نجا من نجا
ومن يتق الله يجعل له

ويرزقه من غير حسابانه وإن ضاق أمر به فرجا
 ولا بن الوردى رحمه الله :
 واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرىء إلا وصل
 ليس من تقطع طرقاً بطلاً لما من يتقى الله البطل
 قال بعض العارفين : من أخرج الله من ذل المعصية إلى عز التقوى أغناه بلا مال ،
 وأعزه بلا عشيرة ، وأنسه بلا أنيس ، ومن رضي من الله بيسير الرزق رضي منه باليسير من
 العمل ومن زهد في الدنيا أثبت له الحكمة في قلبه ، وأنطق به لسانه وبصره بعيوب الدنيا
 وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام وما أطف ما قيل :
 ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى التقوى وترتاح الذكر
 اهـ ، انظر شرح تائية السلوك للشرنوبى ، وفي هذا القدر كفاية لأولى الأبواب والله
 يلهمنا إلى طريق الصواب .

وأهلكت الفراعنة ودمرت الدجاجة لخواصك المقربين وعبادك الصالحين

الفراعنة : جمع فرعون وهو لقب لكل مشغل بالباطل جاحد للحق مخالف للشرع
 وفي الأصل علم على ثلاثة أشخاص ، قال ابن الجوزي : فرعون الخليل واسمه سنان ،
 وفرعون يوسف واسمه الريان بن الوليد ، وفرعون موسى واسمه الوليد بن مصعب اهـ .
 وهذا هو الذي أغرقه الله في البحر كما قال تعالى : ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة: ٥٠]
 والدجاجة جمع دجال وهو علم على كل من يغطي الحق ويستتره ويتلبس بالباطل ويموه
 عليه حتى يظن من لا علم عنده أنه حق ولذلك سمي به الجنس الذي يخرج في آخر
 الزمان كما في الحديث وقد سماه النبي ﷺ كذاباً بقوله : « لا تقوم الساعة حتى يبعث
 دجالون كذابون ولا يخلو منهم زمان » ، وقد رأينا كثيراً ممن اتصف بهذه الخلال ونبذ
 الحق وتمسك بالضلال حفظنا الله منهم بجاه مولانا رسول الله ﷺ وخواص الله المقربون
 هم الأنبياء والمرسلون والملائكة المكرمون وعباده الصالحون هم أولياؤه المتقون
 وجميع هذه الجمل المعطوفة بالواو دعاء على الأعداء بهلاكهم وتدميرهم كما أهلك
 ودمر أعداء الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين .

يا غياث المستغيثين اغثني على جميع أعدائك

اعلم أن هذا الاسم كثيراً مما يذكرونه الأولياء ويجري على السنة الخواص فالذاكر

طلب من الله واستغاث به أن ينجيه من أعدائه ويعينه على دفع كيدهم وضررهم وإذابتهم، ومن استغاث بالله والتجأ إليه لا شك أنه ينجو من كل ورطة ويخلص من كل شدة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] ثم رتب على هذا الدعاء ما هو واجب عليه وهو أن الله إذا قبل دعاءه على أعدائه ودمرهم وأهلكهم فإن هذه نعمة عظيمة يجب الحمد عليها فقال:

فحمدي لك يا إلهي واجب

حمد الله هو الثناء عليه بجميع محامده والتلبس بطاعته وأن لا يعصى الله بنعمه وأن يصرف العبد جميع جوارحه فيما خلق لأجله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فائدة: قال الشناوي: إشارة عقد اللسان ودفع الأعداء يقرأ يا مبدئي البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته أربعاً وثلاثين مرّة واسم يا واحد الباقي أول كل شيء وآخره اثنين وأربعين مرة.

وثنائي عليك متواتر دائباً من الدهر إلى الدهر بألوان التسبيح والتقديس

يعني أن الثناء على الله واجب على العبد في كل لحظة من اللحظات لأن الإنسان منغمس في النعم والشهوات وكل نعمة يجلب عليها الشكر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] فلذلك قال دائباً، يقال دأب في عمله جد وتعب فهو دائب وقوله: دائماً عطف تفسير على ما قبله لأنه بمعناه ومعنى الدوام على الشيء الثبوت عليه وقوله: من الدهر إلى الدهر أي: من السنة إلى السنة لأن الدهر يطلق على الزمان قل أو كثير. قال الأزهري: والدهر عند العرب يطلق على الزمان وعلى الفصل من فصول السنة وأقل من ذلك ويقع على مدة الدنيا كلها قاله في المصباح، وقال في المختار: الدهر الأبد وفي الحديث: «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله» لأنهم كانوا يضيفون النوازل إليه، فقيل لهم: لا تسبوا فاعل ذلك بكم فإن ذلك هو الله تعالى اهـ. والحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»، وفي جواهر المعاني ما نصه: وسألته ﷺ عن معنى الدهر فأجاب ﷺ بقوله: معنى حقيقة الدهر هو استمرار وجود

الحق بلا بداية ولا نهاية وهو المعبر عنه بالبقاء سبحانه وتعالى وهو معنى قوله في السيفي دائماً من الدهر إلى الدهر بألوان من التسييح، وأما معنى من وإلى فلا يطلع عليه في هذا الميدان ولا يبحث فيه لأنه ألفته أي جمعته البصيرة النافذة التي لا يطرقتها الباطل بوجه من الوجوه ﷺ اهـ. منها والألوان جمع لون أي أنواع التسييح والتقديس أي تنزيه عما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

وَصُنُوفِ اللُّغَاتِ وَأَصْنَافِ التَّنْزِيهِ

الصنوف: جمع صنف - بفتح الصاد - وأصناف: جمع صنف - بكسرهما. قال ابن فارس فيما ذكره عن الخليل الطائفة من كل شيء، وقال الجوهري: الصنف هو النوع والضرب بكسر الضاد وفتحها لغة حكاهما ابن السكيت وجماعة وجمع المكسور أصناف مثل حمل وأحمال وجمع المفتوح صنوف مثل: فلس وفلوس واللغات جمع لغة وهي الكلمة ثم فسرهما وبينها بقوله المادجة أخرج بها القادحة والتنزيه بيان للتقديس السابق.

خَالِصاً لِدِذْكَرِكَ وَمَرْضِيّاً لَكَ بِنَاصِعِ التَّحْمِيدِ وَالتَّمْجِيدِ

أي: جعلت هذا الورد خالصاً لذكرك حالة كونه مرضياً لك بناصع أي: خالص التحميد والتمجيد أي التعظيم، والناصع: هو الخالص من كل شيء يقال أبيض ناصع. وأصفر ناصع، قال الأصمعي: كل ثوب خالص البياض أو الصفرة أو الحمرة فهو ناصع اهـ. قاله المختار فقوله: بناصع حال من المتكلم في قوله فحمدي لك والمعنى حال كوني متلبساً في ذلك الحمد بخالص توحيد ذاتك اعتقاداً وبياناً ويحتمل أن يكون متعلقاً بقوله مرضياً والياء للسببية تأمل.

وَخَالِصِ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ التَّقَرُّبِ وَالتَّقَرُّبِ وَالتَّفْرِيدِ

هذا عطف تفسير على قوله: بناصع والمعنى أنه أقر له تعالى بإخلاص التوحيد الغير المشوب بشبهة من شبه المعتزلة وغير معتقد لاعتقاد الطوائف الضالة لمبتدعه بل هو معتقد لمذهب أهل السنة موافق لما عليه الأمة المحمدية وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: «افتترقت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين الناجية منها واحدة والباقي كما في النار وهي ما أنا عليه وأصحابي» طالباً بذلك من الله إخلاص التقرب إليه وكمال التقرب والتفريد لديه.

وامحاض التمجيد بطول التعبد والتمديد

الإمحاض: هو الإخلاص يقال أمحضته الود أخلصته، والمعنى أن الذاكر أخلص لله التمجيد والتعظيم بطول أي بدوام التعبد لله تعالى وهو التذلل والخضوع والانقياد إليه والتعديد أي الدخول في عدد الموحدين المخلصين.

لم تكن في قدرتك

أي لم تحتج إلى إعانة في نفوذ قدرتك على شيء، واعلم أن قدرة الله تعالى صفة أزلية يحصل بها التمكن من الفعل بلا واسطة ولا معالجة ولا تعارض من المقدر ولا تراخ ولا توقف على وفق الإرادة فقولنا على وفق الإرادة إشارة إلى أن فعله تعالى للكائنات إنما هو بطريق الاختيار لا بطريق اللزوم كفعل العلة والطبيعة عند الفلاسفة والطبائعين قال في شرح المقدمات.

تنبيهان:

الأول: قال الشيخ زروق في بعض شروحه للحكم: اعلم أن من قوي إيمانه بالقدرة لا يكون عنده شيء أغرب من شيء واستغراب الخوارق من ضعف اليقين بالقدرة ولذلك قال عليه السلام في حديث البقرة: «أعنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر حين قال الناس سبحان الله بقوة تتكلم»، قال الشيخ أبو العباس: أنا وأبو بكر وعمر بلا عجب وأنتم مع العجب وإلا فالكل مؤمنون اهـ. ذكره خسوس في شرح توحيد المرشد.

الثاني: قال سيدي الطالب بن الحاج في حاشيته على المرشد: تتعلق القدرة بوجود الممكن اتفاقاً تعلق تأثير وكذا تعلق بعدمه الطارئ بعد وجود تعلق تأثير على ما اعتمده ميارة وهو الصواب وأما عدم الممكن في الأزل فلا تتعلق به القدرة اتفاقاً لأنه واجب لا جائز وإلا لجاز وجودنا في الأزل، وهو باطل لما يلزم عليه من تعدد ذوات القدماء، وأما عدمه فيما لا يزال قبل وجوده كعدمنا في زمن الطوفان وكذلك استمرار عدمه الطارئ بعد فنائه واستمرار وجوده فتعلق بها القدرة تعلق قبضة بمعنى أن المولى إن شاء قطع ذلك العدم بقدرته وأبدله بالوجود وإن شاء أبقى ذلك العدم بقدرته وكذا استمرار الوجود إن شاء المولى أبقاه بقدرته وإن شاء قطعه وأبدله بالعدم بقدرته فالأقسام سنة اهـ.

ولم تشارك في الوهيتك

أي: لم يشاركك في عبادتك بالحق أحد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾ [النساء: ١٧١] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] أي نظير ومماثل.

فائدة: اعلم أن اسم الجلالة هو أعرف المعارف بالإنفاق زاد الهلالي أن سيبويه علق ذلك بقوله لأنه لا يقبل الشركة بوجه اهـ. وحكى ابن جنى أن سيبويه روي بعد موته فسئل عن حاله فذكر كرامة عظيمة فسئل بم؟ فقال: بقوله إن اسم الجلالة أعرف بالمعارف ثم إن بعضهم يقول: إن هذا الاسم مشتق فنقول وبعضهم يقول إنه علم مرتجل وهو مذهب الأصوليين قال الفخر الرازي المختار: عندنا أن هذا اللفظ اسم لله تعالى أي علم شخص وأنه ليس بمشتق وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء قال السيد في شرح المواقف وهو المروي عن أبي حنيفة والشافعي والخطابي والغزالي اهـ، كلام الفخر ولفظ الغزالي كل ما قيل في اشتقاقه فهو تعسف اهـ.

وبه قال الشاشي والقفال وإمام الحرمين شيخ الغزالي والزجاج واختاره ابن العربي تلميذ الغزالي واختاره أيضاً ولي الدين أبو القاسم القشيري وأبو زيد البلخي والحسن بن الفضل بل عليه الأئمة الأربعة وكذا اختاره شيخنا وسيدنا ومن عليه من الله اعتمادنا الغوث الرباني أبو العباس أحمد التيجاني نفعنا الله بمحبته وسقانا من خالص عطفته ونفحته أمين ووجه ذلك بأن الاشتقاق يقتضي قصر اسم الجلالة على الصفة المناسبة للمشتق مع أنه جامع لجميع الكمالات اهـ.

ولم تعلم لك ماهية فتكون للأشياء المختلفة مجانيساً

ماهية الشيء: حقيقته، والمعنى أن الله تعالى لا يعلم حقيقته إلا هو لأنه تعالى مغاير لجميع الأشياء ومخالف لجميع الأجناس ولا يعرف الله تعالى إلا بالصفات لا بالحقيقة والذات، وفي المراصد:

وليس يعرف حقيقة الإله
وقد أتى النبي عن التفكر
وقال ابن ذكرى رحمه الله:

على الأصح دون تقييد سواء
فيها فخلق راشداً في الأثر
وما لربنا من الكمال
لا العقل فالحد له والغاية
وللشريف المقدسي في مفاتيح الكنوز من قصيدة:

ظننت جهلاً بأن الله تدركه
أو العقول أحاطته بديهتها
نواقب الفكر أو تدريه إيقانا
أو هل أقامت به لولاه برهاننا

الله أعظم قدراً أن يحيط به علم وعقل ورأى جل سلطانا
هذا اعتقادي وإن قصرت في عمل فأسأل الله توفيقاً وغفراناً

ولم تعاین إذ حبست الأشياء على العزائم المختلفة

أي: ولم ينظر إليك بالعين نظر الأغراض فضلاً عن المقابلة معك والاعتراض عليك باللسان إذ حبست الناس على العزائم المختلفة ومنعتهم عن مخالفة تلك العزائم فعلى هذا يكون المراد بالعزائم الأوامر والنواهي ووقع في بعض النسخ إذ حبست الأشياء عن العزائم المختلفة بلفظة عن ومعناه على هذه النسخة لم ينظر إليك بالعين نظر الاعتراض إذ حبست الناس ومنعتهم عن تناول العزائم المختلفة فعلى هذا يكون المراد بالعزائم المحرمات والمكروهات التي تقصدها النفس والعزائم جمع عزيمة وهي القصد قال في المصباح: عزم على الشيء من باب ضرب عقد ضميره على فعله انتهى.

فائدة: العزم هو أحد الأمور الخمسة الواقعة في النفس وقد أشار إليها شيخ شيوخنا سيدي الحاج محمد كنون جدد الله عليه الرحمات بقوله:

وقسموا الواقع في النفس إلى خمسة أقسام فخذها بالولا
هاجس خاطر حديث للنفوس هم وعزم خاتم للخمس
وكلها غير مؤاخذ بها سوى الأخير عنه وكن منتبها
وقد ذيل الأبيات شيخنا سيدي محمد القادري حفظه الله بقوله:

ولا ثواب في الثلاث الأول سوى الأخيرين فاحفظ وحصل
فإن قلت: ما معنى عزم النظر إليه تعالى بالعين نظر الاعتراض؟ قلت: هو كناية
عن كمال عجز العبد ومغلوبيته بإنفاذه إذا حبسه الله على شيء أو عن شيء هذا ويمكن
أن يقال إن معنى العبارة ولم ير كنهك بالبصر ولا بالقلب إذ حبست الخلق ومنعتهم عن
طلب حصول الكنه بكلامك العزيز ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد لا تدركه
الأبصار وهو يدرك الأبصار وطلب حصول الكنه على أنواع كثيرة أحدها طلب حصوله
بالبصر، وثانيها: طلب حصوله بالقلب والكشف، ولذا عبر عنهما بالعزائم المختلفة
بصيغة الجمع وهذا المعنى أحسن من المعنى السابق قاله الشناوي رحمه الله وقد قال
الصديق الأكبر رضي الله عنه:

العجز عن درك الإدراك إدراك والخوض في كنه في ذات الله إشراك

وعقده من قال :

لا يعرف الله إلا الله فاتئدوا فالدين دينان إيمان وإشراك
والعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك

ولا خرق الأوهام حجب الغيوب إليك فاعتقد منك مخدوداً في مجد عظمتك

الأوهام: جمع وهم، وهو ما يقع في القلب، أي: ولم تخرق الأوهام حجبت
المغيبات عنا حق تصل إلى كنهك وحقيقتك فتعتقد حداً وجهة ومكاناً لأنك ارتفعت في
مجد عظمتك وعلو سلطانك وعظيم قدرك لأن الله تعالى تقدس وتنزه عن الحد والحصر
والمكان والجهة قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني بعلمه.

فائدة: جميع ما ورد في القرآن العظيم وفي أحاديث النبي الكريم مما يوهم الجارحة
والحلول كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] وكقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾
[المائدة: ٦٤] وكقوله: ﴿وَبِئْتَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] وكقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ
بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وكقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وفي الدر المنثور أخرج
الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن مردويه،
والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى
فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض
وتقول قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر
فيسكنهم في قصور الجنة». فالعلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب: مذهب الإمام
الأشعري: وهو أنها صفات تليق بجلاله، ومذهب السلف: وهو أسلم وهو التفويض في
ذلك إلى الله تعالى فيقولون آمنا بالله وبما جاء عن الله على وفق مراد الله، ومذهب
الخلف: وهو أعلم أي يحتاج إلى مزيد علم وهو التأويل، فيقولون: في يده جوده
وقدرته وفي الوجه جوده وفي معين شهوده وفي الاستواء القهر والغلبة وقد أشار إلى
المذاهب الثلاثة من قال:

وكل ما يخطر في الجوانح من التصورات والجوارح
فربنا الله العظيم المالك جل وعز بخلاف ذلك
جل عن التمثيل والتشبيه وعن مكان يستقر فيه
تتمة: قال سيدي رضوان الجنوي رحمته الله: يجب على كل مكلف أن يعتقد أن العرش
سقف الجنان لا مستقر الرحمن، وأن الكرسي آية القدم لا موضع القدم، وأن السماء

معدن المَلِك - بفتح اللام - لا مسكن الملك - بكسر اللام - استواؤه سلطانه ونزوله امتنانه وضحكه غفرانه ومحبته رضوانه ووجهه وجوده ويده جوده وعينه شهوده ومن لم يعتقد هذا فالصنم معبوده اه، وقد عقدت هذه المسائل العشرة بقول:

العرش سقف جنان الخلد معتقدي	لا مستقر الإله الواحد الصمد
والكرسي آية القديم فقل	لا موضع القدم الكريم زد
ثم السما معدن الملائكة التي	سما قدرهم لا مسكن الفرد
ثم استوى الله بالقهر الذي خضعت	لعزّه كل ذي ملك وذي شرد
ثم النزول منه امتنانه وكذا	غفرانه فسرّن الضحك في الرشد
كذا محبته ورضوانه وكذا	وجه الوجود بلا حد ولا عدد
ثم اليد بالجد المؤبد قل	وعينه بالشهود ذي المدد
هذا الذي يجب اعتقاده وعلى	كل الخلائق طراً خذ معتقد
من يعتقد غير هذا ربه صنم	جل الإله عن التشبيه والعدد

لا يَبْلُغُكَ بَعْدُ الِهِمِّ

الهمم: جمع همة وهي العزم القوي والكلام على المجاز لا على الحقيقة لأن البالغ ليس هو الهمة، وإنما البالغ في الحقيقة الكشف وبعد الهمة سبب البلوغ فيما يمكن فالمعنى لا يبلغ كنه ذاتك كشف ذوي الهمم العالية لما مر في الأوهام من العلة، قال الإمام الجنيد رضي الله عنه: سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ويرحم الله القائل:

ولا يحيط به عقل فيدركه	جل المهيمن عن إدراك مفتقر
تامت عقول ذري الأبواب فيه وقد	كَلَّتْ وَضَلَّتْ مجاري العقل والفكر

ولا يِنَالُكَ غَوْصُ الفِطْنِ

الفتن - بكسر الفاء وفتح الطاء -: جمع فطنة، وهي الفهم القوي وإسناد إلى الغوص مجاز لأن النائل ليس هو الغوص وإنما النائل في الحقيقة العقل والغوص سبب للنيل فيما يمكن فالمعنى لا ينال كنه ذاتك العلية عقل أهل الفتن الغائص في المعارف ولو غاص ما غاص.

ولا ينتهي إليك بصر ناظر في مجد جبروتك

يعني : أنه لا ينتهي إلى ذاتك العلية بصر ناظر في عظمة صفاتك الجليلة فإذا لم يحط العبد بصفات نفسه فكيف بصفات باريه تعالى كما قيل :

حقيقة المرء ليس يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم

ازتفتت عن صفات المخلوقين صفات قدزتك

اعلم أن صفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين بل هي أجل وأعلى من صفاتهم لأن صفاته تعالى قديمة لا أول لها مطلقة منبسطة وصفات المخلوقين حادثة مقيدة محدودة، واعلم أن معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام بالصفات التي نصب الله عليها الآيات أي : أقام عليها البراهين والأدلة واجبة كتاباً وسنة وإجماعاً إذا الجهل بالصفة جهل بالموصوف قال في لطائف المنن : وما أكرم الله في الدنيا والآخرة كرامة بمثل الإيمان والمعرفة بربوبيته لأن كل خير من خير الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الإيمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة من جريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار أو كان به أهلها فيها من رضى عن الله ورضى من الله عز وجل ورؤية الله فكل ذلك إنما هو نتائج الإيمان ووجود آثاره وإمداد أنواره جعلنا الله تعالى وإياك من المؤمنين بربوبيته الإيمان الذي رضيه لخاصة عباده وبسطنا للتسليم له في مراده اهـ، نقله جوس في شرحه على توحيد المرشد المعين .

وعلا عن ذكر الذاكيرين كبرياء عظمتك

أي : ارتفع جلالك وكبرياء عظمتك عن أن يصفه الذاكرون وأن يعبر عن حقيقته العارفون أو ينطق بفهمه المتكلمون بل لا يعرف عظمته وكبرياؤه إلا هو تبارك وتعالى قال في جمع الجوامع حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، قال المحققون : ليست معلومة الآن واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة اهـ، الصواب عدم إمكان ذلك في الآخرة كما أن الصواب عدم إمكانه في الدنيا وكذا الصواب أن ذلك لا يقع في الآخرة كما أن الصواب أن ذلك لا يقع في الدنيا كما يدل لذلك قول الغزالي في المقصد والحق قول الجنيد لا يعرف الله إلا الله في الدنيا والآخرة اهـ. ذكره شيخنا المحقق سيدي محمد القادري في حاشيته على شرح الشيخ الطيب بن كيران على توحيد المرشد .

فَلَا يَنْتَقِصُ مَا أُرْذِتَ أَنْ يَزْدَادَ وَلَا يَزْدَادَ مَا أُرْذِتَ أَنْ يَنْقُصَ

أي وإذا كانت أوصاف الله تعالى مخالفة لسائر أوصاف المخلوقات وأفعاله لا تدرك حقيقتها بأنواع الإدراكات فكل ما أراد الله وجوده وظهوره لا محالة كائن وكل ما أراد الله إعدامه فلا سبيل لوجوده وحينئذ فيجب على العبد التسليم له فيما قضاه عليه والرضى بما أقامه فيه ما لم يكن مخالفاً للشريعة المطهرة قال في الحكم العطائية ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه، قال ابن عباد رضي الله عنه: إذا أقام الله تعالى العبد في حال من الأحوال التي لا يذمها الشرع فليلتزم حسن الأدب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها. قال أبو عثمان رضي الله عنه: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطه اهـ. وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فإن سخط تلك الحال وتشوف إلى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله فقد بلغ غاية الجبل بربه وإساءة الأدب في حضرته وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير إليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة.

لَا أَحَدٌ شَهِدَكَ حِينَ فَطَرْتَ الْخَلْقَ

أي: لا أحد من المخلوقات كان شاهداً وقت بدء خلقك قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت: «يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه»، قال: «كان في عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء وخلق عرشه على الماء»، أخرجه الترمذي وقال: قال أحمد يريد بالعماء أنه ليست معه شيء، قال أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات له: قوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما»، وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء» اهـ، ذكره الخازن في تفسيره.

وَلَا نِدًّا وَلَا ضِدًّا حَضَرَكَ حِينَ بَدَأْتَ النُّفُوسَ

الند - بكسر النون - : هو المثل، والضد - بكسر الضاد - : هو النظير والكفاء، والمعنى لا مثل لك ولا نظير ولا كفاء حضرَكَ وكان معيناً لك حين أي وقت بدأت النفوس واخترعتها بل هو الفاعل المختار يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الروم: ٢٧].

كَلَّتِ الْأَلْسُنُ عَنْ تَفْسِيرِ صِفَاتِكَ وَانْحَسَرَتِ الْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِكَ وَصِفَتِكَ
 الألسن: جمع لسان وهو الجارحة المعروفة والكل بفتح الكاف التعب والعياء
 وقوله: وانحسرت بالسين أي: عيبت وكلت وانقطعت ومعنى كلامه أن الألسن كلت عن
 تفسير صفات الله وعن فهم حقيقتها وإدراك معناها وانحسرت العقول أي كلت وانقطعت
 عن الوصول إلى حقيقة معرفته وكنه صفته ويرحم الله الإمام ابن غانم المقدسي حيث
 يقول:

قل لمن يفهم عني ما أقول
 ثم سر غامض من دونه
 أنت لا تعرف أباك ولا
 أين منك الروح في جوهرها
 أين منك العقل والفهم إذا
 أنت لا تدري صفات ركبت
 أنت أكل الخبز لا تعرفه
 هذه الأنفاس لا تحصرها
 فإذا كانت طواياك التي
 كيف تدري من على العرش استوى
 إن تقل كيف فقد مثلته
 هو لا أين ولا كيف له
 وهو فوق الفوق لا فوق له
 جل ذاتاً وصفاتاً وسماً
 اه، وذكرتها بطولها لاشتمالها على فوائد كثيرة ومسائل عزيزة.

وَكَيْفَ يُوصَفُ كُنْهُ صِفَتِكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ الْقُدُّوسُ

أي: وكيف يثنى عليك حق الثناء يا رب والحال أنت الذات الجامع لجميع صفات
 الكمال الغير المتناهية وإذا كان سيد العارفين وإمام المرسلين ﷺ يقول: «لا أحصي ثناء
 عليك كما أثنيت على نفسك» مع أنه أفنى عمره في الثناء عليه فكيف بغيره وقوله:
 وأنت الله الملك الجبار القدوس تقدم الكلام على معنى الأسماء الأربعة فلا حاجة

لإعادته والمعنى أنني أعتز بعجزتي وقصوري عن الثناء عليك وكيف يشني عليك وأنت الله الجامع لجميع الصفات المستحق لجميع الكمالات المنزه عن النقائص والآفات الذي لا شريك له في المخلوقات مالك الملوك الجبار أي المصلح لجميع الخلائق وقيل القاهر لهم القدوس أي المنزه عن النقائص والمطهر عن سمات الحدوث.

الأزلي الذي لم يزل ولا يزال أزلياً باقياً أبدياً سرمدياً في الغيوب وخذك لا شريك لك

الأزلي: ما لا أول له والأبدي ما لا آخر له والمعنى أن الله تعالى لا أول لوجوده وآخر لبقائه بمعنى أن الله قديم باق، قال في شرح الصغرى الأصح: أن القدم صفة سلبية ليست بمعنى موجود في نفسها كالعلم مثلاً وإنما هي عبارة سلب العدم الساق على الوجود وإن شئت قلت هو عبارة عن عدم الأولية للوجود وإن شئت قلت هو عبارة عن عدم افتتاح الوجود والعبارات الثلاث بمعنى واحد اهـ. قال جسوس ويعبر عن القديم بالأزلي وأما البقاء فالحق في تفسيره أيضاً أنه صفة سلبية فيكون عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود أو هو عدم الآخريّة للوجود أو هو عدم انتهاء الوجود والعبارات الثلاث بمعنى واحد وقوله: دائماً في الغيوب وخذك لا شريك لك يعني أن كنه ذاتك مختم في حجب الغيوب دائماً لا يدركه أحد أبداً، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام ابن عرفة رحمته الله بقوله:

إلا أن إدراك الحقيقة معجز
لذا ثبت التكليف في متكرر
فكل كمال بالحقيقة كائن
وليس لأنواع الكمال نهاية
وإدراك نفس العجز عين الحقيقة
وبالله أكبر فانتبه لمقالتي
له وانتفاء النقص قل باستحالة
في الآثار إمكان التسلسل حجة

اهـ، قال الشناوي: يكرر سبعا وعشت الوجوه للحي القيوم ويضرب بيده اليمنى وعلى الأرض ويقول: شامت الوجوه ويضرب باليسرى على الأرض لتفرقة الأعداء الظاهرة والباطنة اهـ.

ليس فيها غيرك ولم يكن إله سواك

أي: ليس في الغيوب أحد غيرك ولم يكن ولا هو كائن إله سواك وهذا يشير إلى قوله سبحانه: «كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان» بمعنى أن الموجودات سواء إنما يقال موجودة به لا موجودة معه لما تقتضيه المعية في بادئ الرأي من الاستقلال والمشاركة في الوجود الذاتي ودوام المصاحبة وليس شيء من ذلك بثابت تعالى الله عن الشريك والنظير اهـ.

حَارَتْ فِي بَحَارِ بَهَاءِ مَلَكُوتِ عَمِيقَاتِكَ مَذَاهِبِ التَّفَكُّرِ

يعني: حارت في سلطنتك وتصرفك العقول لكون مذهب تفكرها عميقة يقال عمق النظر من باب ظرف فهو عميق أي دقيق اهـ، والتفكر الاعتبار.

فائدة: قال في الإحياء اعلم أن الله قد أمر بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 191] الآية، وقد قال ابن عباس: إن قوماً تفكروا في الله عز وجل، فقال النبي ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره» وقد نظم بعضهم معنى هذا الحديث فقال:

قد جاءنا عن النبي الصادق تفكروا في الخلق لا في الخالق
ثم قال: وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم أبي ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر، وعن الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وعن الفضيل قال: الفكر مرآت تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العمل، وكان سفيان بن عيينة كثيراً ما يتمثل ويقول:

إذا المرء كانت له فكرة
ففي كل شي له عبرة
اهـ باختصار وما أطف قول بعضهم:
كل ما ترتقي إليه بوهم
فالذي أبدع البرية أعلى
من جلال وقدره وسناء
ولله در القائل حيث يقول:
تأمل في نيات الأرض وانظر
على أطرافها الذهب السبيك
عيون من لجين شاخصات
إلى آثار ما صنع المليك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

وتواضعت الملوك لهيبتك

الهيبة: الإجلال والخوف، والمعنى: جميع الملوك تواضعوا لأجل هيبة الله وإجلاله وخوفه لأن الملك حقيقة إنما هو الواحد القهار.

وَعَنْتِ الْوُجُوهُ بِذِلَّةِ الْاِسْتِكَانَةِ لِعِزَّتِكَ

أي: ذلت وخضعت للواحد القهار دون غيره وذكر الوجوه وأراد المكلفين، لأن عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه، وإنما خص الوجوه بالذكر لأن الخضوع بها يتبين وفيها يظهر، وقوله: بذلة، بيان وإيضاح لقوله: عنت وهو مضاف والاستكانة مضاف إليه ما قبله والإضافة للبيان لأن معنى الاستكانة التذلل والخضوع، واللام في قوله: لعزتك للتعليل أي لأجل عزة الله وجلاله وسلطانه وقهره عنت الوجوه بذلة الاستكانة.

وَانْقَادَ كُلِّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ

الانقياد: الخضوع والمعنى انقاد أي خضع كل شيء لعظمة الله تعالى، وعظمته تعالى لا يعبر عنها لسان ولا يفصح عنها بيان. قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه نضار الذهب: سئل بعض المشايخ عن عظمة الله تعالى فقال: ما نقول فيمن له عبد واحد يسمى جبريل له ستمائة جناح - وفي رواية: ستمائة ألف جناح - لو نشر منها جناحاً لسد ما بين الخافقين اهـ.

وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِكَ

الاستسلام: الانقياد وقدرة الله تقدمت معناها أي انقاد كل شيء لقدرة الله التي هي محيطة بالأكوان ولا يخرج عنه إنس ولا جان وكل مخلوق داخل تحت حيطته ومحصور في هيكل قدرته وإرادته.

وَخَضَعْتَ لَكَ الرِّقَابَ

أي: ذلت وتواضعت، والرقاب - جمع رقبة - يعني أن الأعناق تخضع وتذل وتتواضع لعظيم هيبتك وجلالك ولا تخضع لأحد غيرك حقيقة وكل ما يقع من التذلل والخضوع بين المخلوقات فإنما هو مجاز. خلص الله لوجهه أعمالنا وطهر من شوائب الشركة أفعالنا بجاه أشرف الورى عند سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وَكُلٌّ دُونَ ذَلِكَ تَخْبِيرُ اللَّغَاتِ

الكل - بفتح الكاف - : العيا والتعب، والتخبير: التزيين والتحسين، والمعنى: أن تحسين اللغات وتزيينها تكل عن التعبير عن عظمة الله تعالى وقدرته وكمال سلطنته بحيث لا يتأتى لأحد بيان كنه هذه الصفات بلغة من اللغات.

وَضَلَّ هُنَالِكَ التَّدْبِيرُ فِي تَصَارِيفِ الصِّفَاتِ

الضلال: ضد الرشيد والتدبير هو فعل الشيء عن فكرورية، يقال: تدبرت الأمر نظرت في دبره وهو عاقبته وآخزه قاله في المصباح، والمعنى: أن من أراد أن يتصرف في صفات الله تعالى ويبين كنه حقيقتها ويفصح عن معانيها فإنه يضل ويميل عن الطريق ولا يدرك تدبير رشده ولا يميز طريق الاهتداء من طريق الغنى والردى وهذا هو الذي أشار إليه الصديق الأكبر عليه السلام بقوله: «العجز عن درك الإدراك إدراك» كما تقدم.

فائدة: يجب على المؤمن الصادق والمريد العاشق أن يسقط تدبيره مع مولاه وأن لا يدبر لنفسه شيئاً إلا ما دبره له الإله، وعلى هذا المقام تكلم العارفون ونصحوا العباد وهم لله مخلصون، فقد ألف تاج الدين بن عطاء الله كتاباً سماه «التنوير في إسقاط التدبير» قال في صدره: قال عليه السلام: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد عليه السلام نبياً»، وقال عليه السلام: «اعبد الله بالرضى فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير» إلى غير ذلك فليراجعه مبتغيه ولما ألفه بعث به إلى أخيه في الله سيدي ياقوت العرشي لأنها تلميذا أبي العباس المرسي عليه السلام فطالعه واستحسنه وكتب على ظهره جميع ما اشتمل عليه هذا التأليف صحيح وليكني جمعته في بيتين فقلت:

ماتم إلا ما أراد فاخلع همومك وانطرح
واترك شوغلك التي شغلت فؤادك تسترح

فَمَنْ تَفَكَّرَ فِي إِثْنَانِكَ الْبَدِيعِ وَثَنَانِكَ الرَّفِيعِ وَتَمَعَّنَ فِي ذَلِكَ رَجَعُ
ظَرْفُهُ إِلَيْهِ خَاسِئاً حَسِيراً وَعَقْلُهُ مَبْهُوتاً وَتَفَكَّرَهُ مُتَحَيِّراً أُسِيراً

تقدم معنى التفكير وإنشاء الله البديع يدل عليه كل ما سواه. قال في الإحياء: اعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقته وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب. قال شارحه الشيخ مرتضى: ومصاعد للأفكار ومراقى الاعتبار، ثم قال في الإحياء: تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مداداً لذلك - قال شارحه: والأشجار أقلاماً للكتابة - لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره. اهـ.

فمن أراد بيان التفكير فعليه بمراجعته في الكتاب المذكور والثناء الرفيع لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله وعز كماله كما قال سيد الوجود وعلم الشهود: «لا أحصي ثناء عليك

أنت كما أثنت على نفسك». والتمعن: المبالغة في الشيء والطلب باستقصاء، والطرف: العين يقال طرف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر، وخاصاً: اسم فاعل من خساً البصر إذا سد، والحسير: مصدر حسر البصر حسوراً من باب قعد كل لطول مدى ونحوه فهو حسير، وقوله: مبهوتا اسم مفعول من بهت إذا دهش وتحير، وقوله: وتفكره متحيراً اسم فاعل من حار يحار حيرة وحيراً بسكون الياء فيهما تحير في أمره فهو حيران، وقوله: أسيراً أي كالأسير لأن الأسير متحير في أمره مبهوت في عقله وميزه، والمعنى: أن من تفكر في إنشاء الله البديع الذي لا يقدر على صنعه وأحكامه إلا العلي القدير قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٧] وأراد ثناءه الرفيع، رجع طرفه: أي كر النظر إليه خاصاً أي صاغراً ذليلاً مبعداً لم ير ما يهوى حسيراً أي كليلاً منقطعاً لم يدرك ما طلب وعقله مبهوتاً أي داهشاً متحيراً وتفكره متحيراً لا يدري ما يصنع في أمره كالأسير إذا ضاقت عليه المسالك وانسدت دونه الأبواب. فإن قلت: كيف يترتب على التفكير الحسيات والتفكر لا يكون إلا بالعقل، قلت: التفكير في القدرة والسلطنة ليس إلا بعد النظر فيهما بالبصر أو بعد الاستماع، فعلى تقدير إرادة البصر بالطرف يكون المعنى أن من نظر في ذلك بالبصر ثم تفكر فيه رجع بصره حسيراً وعقله مبهوتاً فصح الترتيب.

فائدة: قال الشناوي: ويقرأ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت إلى حسير سبع مرات ويقرأ يا قدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعادله على سبعة أحجار صغار على كل حجر مرة ويرمى كل حجر في جهة من الجهات الست ويحمل السابع على رأسه فكل مكان توجه إليه لا ينظره أحد من الأعداء اهـ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا مُتَوَالِيًا مُتَوَاتِرًا

اعلم أن الكلام على الحمد بحر لا قعر له ولا نهاية لآخره، وقد أفرد العلماء بالتأليف وما لا يدرك كله لا يترك جله. قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه فتح الورود: أول من قال الحمد لله بعد الحمد الذي حمد الله به نفسه أولاً سيدنا آدم عليه السلام. أخرج الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين». وأخرج ابن عساكر والديلمي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو أن الدنيا بحدافيرها بيد رجل من أمتي» ثم قال: «الحمد لله، لكant الحمد لله أفضل من ذلك كله». وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنعم الله على عبد

نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة وإن عظمت». وروي أن ناقته عليها السلام سرقت فقال: «لئن ردها الله علي لأشكرن ربي» فردت فقال: «الحمد لله» فانتظروا هل يحدث صوماً أو صلاة فظنوا أنه نسي فقالوا له في ذلك، فقال: «ألم أقل الحمد لله». وروي أن قوماً يبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً، فيقول صبي صبيانهم: الحمد لله رب العالمين، فيرفع عنهم بذلك أربعين يوماً.

فائدة: نص الحافظ ابن حجر على أن الحمد أفضل من التسبيح ويؤيده حديث: «سبحان الله نصف الميزان والحمد لله يملؤه»، وحديث: «من قال لا إله إلا الله فله عشر حسنات، ومن قال: سبحان الله فله عشرون حسنة، ومن قال: الحمد لله فله ثلاثون حسنة»، ونص الغزالي على أن الحمد أفضل من التهليل، وبين ذلك بما حاصله: أن الحمد فيه تنزيه الله وزيادة شكر نقله عنه يس اهـ. وفي شرح الحكم لسيدي محمد بن عباد عنهما نصه: قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه: ما من نعمة إلا والحمد أفضل منها والنعمة التي ألهم بها الحمد أفضل من الأولى لأن بالشكر يستوجب المزيد. وفي ابن حجر الهيتمي على الأربعين النووية ما نصه: أخرج ابن ماجه: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ»، وأخذ منه بعض العلماء أن الحمد أفضل من النعم اهـ. قوله: دائماً أي ثابتاً، وقوله: متوالياً أي متابعاً بعضه بعضاً وقوله: متواتراً أي مداوماً عليه وملازماً له. قال في المصباح: ليس في عمله وتيرة أي فترة. قال الأزهرى: التوتيرة المداومة على الشيء والملازمة وهي مأخوذة من التواتر وهو التابع، يقال: تواترت الخيل إذا جاءت يتبع بعضها بعضاً اهـ.

مُتَضَاعِفًا مُتَسَبِّحًا مُتَسَبِّحًا

يعني أنه طلب من الله أن يضاعف حمده تضعيفاً لا حد له ولا نهاية ويوسع دائرته اتساعاً لا يحصره حد منتظماً بعضه مع بعض فالألفاظ الثلاثة كلها أسماء فاعل فالتضاعف في اللغة الزيادة، والاتساع بمعنى الوسع وهو خلاف الضيق والاتساع التابع.

يَدُومُ وَيَتَضَاعَفُ وَلَا يَبِيدُ

طلب من الله أن يدوم حمده وكلما حمده تضاعف له تضعيفاً لا انقضاء لحدده ولا غاية لانتهاؤه، ثم أكد بقوله: ولا يبید أي لا يهلك ولا ينقضي يقال باد يبید بید أهلك قاله في المختار والمصباح فهو بفتح الياء مضارع باد الثلاثي.

غَيْرَ مَفْقُودٍ فِي الْمَلَكُوتِ

أي غير منقطع في عالم الأرواح والملائكة وهما المراد هنا بالملكوت، وأصل الملكوت زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة.

وَلَا مَطْمُوسٍ فِي الْمَعَالِمِ وَلَا مُنْتَقَصٍ فِي الْعِرْفَانِ

أي غير ممحو الأثر ودارس الطريق، فقوله: معالم جمع معلم وهو الأثر يستدل به على الطريق التي تكون في المفاوز لأنها أعلام يعلم بها كونها مواضع المرور، وقوله: منتقص اسم مفعول من انتقص أي ذهب منه شيء بعد تمامه، وقوله: العرفان مصدر عرف، ومعنى كلامه: طلب من الله أن لا يمحو أثر حمده ولا يدرس طريقه ولا ينقصه في مواضع تحصيل العرفان فهو على حذف مضافين، والمراد به هنا: أمكنة العارفين بالله من حجراتهم وغيرها.

فَلَا الْحَمْدُ عَلَى مَكَارِمِكَ الَّتِي لَا تُخْصِي وَنِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُسْتَقْصَى

هذا استشعار من الذاكر بما أنعم الله به عليه من النعم الظاهرة التي لا تحصى والباطنة لا تستقصى فلأجل هذا الحضور والاستشعار أتى بحمد الله تعالى. واعلم أن الحمد هو من جملة النعم أيضاً والتوفيق له من أجل النعم وأعظمها وقد روي أن سيدنا داود - علي نبينا وعليه الصلاة والسلام - قال: إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله إليه يا داود إني أعطي الكثير وأرضى باليسير وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني. وفي لطائف المنن: قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: قلت يوماً وأنا في منارة سياحتي إلهي متى أكون عبداً شكوراً فإذا النداء علي يقال لي: إذا لم تر في الوجود منعماً عليه غيرك فأنت إذا عبد شكوراً، فقلت: سيدي فكيف لا أرى منعماً عليه غيري وقد أنعمت على الأنبياء وقد أنعمت على العلماء وقد أنعمت على الملوك فإذا النداء علي يقال لي: لولا الأنبياء ما اهتديت ولولا العلماء لما اقتديت ولولا الملوك لما آمنت فالكل نعمة مني عليك اه. ويرحم الله القائل:

ومن أين لي شكر يقابل بركم
ولا قدرتي أهل لذاك ولا قدرتي
وقال الآخر:

لك الحمد مولانا على كل نعمة
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة
ومن جملة النعماء قولي لك الحمد
تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

في الليل إذا أذبر والضبح إذا أسفر وفي البر والبحار والغدو والآصال

والعشي والإبكار والظهيرة والأسحار وفي كل جزء من أجزاء الليل والنهار

إدبار الليل ذهابه وتوليه ومضيه، وقيل: دبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار وأسفر الصبح أي أضاء وتبين والبر بفتح الباء ضد البحر والبحار بكسر الباء جمع بحر والغدو بضم الغين والبدال من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والآصال جمع أصل بضم الهمزة والصاد جمع أصيل ويجمع آصال على أصائل فهو جمع جمع الجمع وألغز فيه الونشريسي بقوله:

أفدني أيها النحوي جمعاً له جمع يجيء بالاطراد
وجمع الجمع يجمع وهو أمر غريب ليس اللاذواق بباد
وأجابه بعضهم بقوله:

جواب اللغز يا بدر النجاة بدا للناظرين ذوي الزشاد
أصائل جمع آصال بدا جمع أصل للأصيل بلا مراد
وتسكين صاد أصل للوزن ومراد بفتح الميم أي شك فمرد إصال أصل ومفرده أصل وهو العشية والإيصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس والعشي هو ما بين زوال الشمس إلى غروبها ومنه سميت صلاتي الظهر والعصر صلاتي العشي والإبكار ما بين طلوع الفجر إلى الضحى والظهيرة الهجرة وذلك حين نزول الشمس عن كبد السماء والأسحار جمع سحر بفتحيتين مثل سبب وأسباب وهو الثلث الأخير من الليل قبل الصبح وقوله وفي كل جزء من أجزاء الليل والنهار تعميم بعد تخصيص.

فائدة: نظم الشيخ العلامة أبو علي سيدي حسن بن إبراهيم الجبرتي المصري رحمه الله تعالى ساعات النهار والليل بقوله:

إذا رمت ساعات النهار وحصرها
شروق بكور ثم غدوة ضحوة
ظهيرته ثم الرواح فبصره
وإن رمت ساعات ليل فأول
عسيق عشاء ثم عيمة جهمه
مرتبة فاقبل عليها بالاعتنا
فهاجرة ثم الهجيرة فظهرنا
أصيل غروب بالهنا أتى لنا
بها شفق يأتيك بالعيد بينا
فزلفته ثم الشريفة فافطنا

فبهرته ثم السفير فصبحه صباح فأسفار فخذها بلا عنا
 اهـ. ومعنى كلامه: لك الحمد أي أحمدك يا رب في هذه الأزمنة كلها وفي
 جميع الأمكنة براً وبحراً أما كونه في جميع الأمكنة فلأن كل مكان لا يخلو عن وجود
 شيء فيه وكل شيء يسبح بحمده قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]
 فيكون له الحمد في كل مكان، وأما كونه في جميع الأزمنة فلأنه إذا أريد بالحمد
 الدلالة على ثناء الله تعالى وتنزيهه وقدرته كما ذهب إليه بعض العلماء في تفسير الآية
 فلا شك أن تلك الدلالة ثابتة في كل شيء دائماً من غير انقطاع في وقت ما دام ذلك
 الشيء موجوداً فيكون له الحمد في جميع الأزمنة وإن أريد بالحمد الثناء حقيقة أعني
 باللسان القولي كما ذهب إليه أكثر العلماء المحققين في تفسير الآية فلا شك أن
 ذلك الثناء لو لم يكن عن شيء في وقت مخصوص يكون عن شيء آخر في ذلك
 الوقت باليقين ومع هذا يمكن أن يكون ذلك الثناء في بعض الأشياء دائماً من غير
 انقطاع في وقت فيكون له تعالى الحمد في جميع الأزمنة اهـ. ذكره الشناوي رحمه الله
 (تنبيه لطيف ومنزوع شريف).

قال الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي رحمته الله: اعلم أن سر الحياة سري في الماء فهو أصل
 العناصر والأركان ولذلك جعل الله من الماء كل شيء حي فإنه ما من شيء إلا وهو حي وما
 من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله تعالى ولا نفقه تسبيحه، وقال أيضاً: جعل الله تعالى صور
 العالم تسبح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم لأننا لا نحيط بما في العالم من الصور، وفي
 شرحه: لا نحيط عند الحجاب بما في العالم أي بشيء مما في العالم من الصور إحاطة
 تؤدينا إلى فهم ما يجري على ألسنتها في مراتبها الحسية والمثالية وأما إذا من الله سبحانه
 وتعالى بالكشف عن تلك الصور بالإحاطة بها فقد نعلم ألسنتها ونفقه تسبيحها اهـ. ذكره
 سيدي عمر الفوتي رحمته الله في الرماح اهـ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِتَوْفِيْقِكَ قَدْ أَحْضَرْتَنِي النَّجَاةَ وَجَعَلْتَنِي مِنْكَ فِي وِلَايَةِ الْعِصْمَةِ

طلب من الله تعالى أن يوفقه لحمده حين حضور هذه النعمة العظيمة على قلبه،
 والتوفيق هو خلق القدرة على فعل الطاعات واجتناب المنهيات، يقال: وقفه الله سدد أمره
 والنجاة، الخلاص من الهلاك والولاية بكسر الواو للقرب من الشيء والعصمة الوقاية من
 المكروه والحفظ منه، يقال: عصمه الله من المكروه حفظه ووقاه قاله في المصباح.

فَلَمْ أَبْرَحْ فِي سُبُوغِ نِعْمَائِكَ وَتَتَابِعِ الْإِنِّكَ

قوله: فلم أبرح بفتح الراء مضارع برح بكسرهما أي لم أزل قال في المصباح برح الشيء من باب تعب زال من مكانه اهـ. وسبوغ مصدر سبغ بمعنى اتسع يقال سبغت النعمة اتسعت والتتابع التوالي والآاء النعم، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠] وقد كرر الله تعالى ذكر النعم في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة وفي كل مرة يقول: ﴿فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] تقريراً للنعمة في التذكير بها. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقراً عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال لهم: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم - وفي رواية: كانوا أحسن منكم رداً - كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فِي أَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب اهـ. ذكره الخازن.

مَحْرُوساً بِكَ فِي الرَّدِّ وَالْإِمْتِنَاعِ وَمَحْفُوظاً بِكَ فِي الْمِنْعَةِ وَالِدَّفَاعِ عَنِي

الحرس: بالسين المهملة الحفظ والرد والانصراف الامتناع ضد الإعطاء، والمنعة بفتح الميم وسكون العز يقال فلان في منعة أي في عز قومه فلا يقدر عليه من يريده، والدفاع: بكسر الدال مصدر دفع عنه الأذى ونحوه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ومعنى كلامه في هذه الجملة يقول فلم أبرح أي فلم أزل في سبوغ أي تمام نعمائك وتتابع أي توالي آلائك محفوظاً من رد أوامرك والامتناع عن امتثالها ليحصل الشكر على تلك النعم ومحروساً بك في المنعة من سلب تلك النعم عني إذ جعلتني شاكراً عليها فلا تسلبها مني بفضلك وكرمك وجودك وإحسانك.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ إِذْ لَمْ تُكَلِّفْنِي فَوْقَ طَاقَتِي

حمداً لله تبارك وتعالى على عدم تكليفه بما لا طاقة له به والتكليف هو تحمل المشاق والطاقة الوسع يقال أطاق الشيء إطاقة وهو في طوقه أي في وسعه قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال في الخازن: وتكليف ما لا يطاق على وجهين: أحدهما: أن ما ليس في قدرة العبد احتمالاً كتكليف الأعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده بحال، الوجه الثاني: من تكليف ما لا يطاق وهو ما في قدرة العبد

احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الأعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الإسلام صلاة الليل واجية ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول إن تكليف ما لا يطاق جائز إذ لو لم يكن جائزاً لما حسن طلب تحقيقه بالدعاء من الله تعالى اهـ.

وَلَمْ تَرْضَ مِنِّي إِلَّا طَاعَتِي

يعني إنك لم ترض مني ولم تكلفني بشيء ليس في مقدرتي إلا بطاعتي لك والطاعة الانقياد إلى عبادة الله تعالى.

وَرَضِيَتْ مِنِّي مِنْ طَاعَتِكَ دُونَ اسْتِطَاعَتِي وَأَقَلَّ مِنْ وَسْعِي وَمَقْدَرَتِي

أي رضيت مني أقل ما يحب لحقك وعظيم جلالك فلو بلغ الإنسان ما أدى ما وجب عليه من عبادة ربه، وإلى هذا المعنى إشارة من قال:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له على شبا الشوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من مشار نعمته ولا العشير ولا عشراً من العشر

فَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ لَمْ تَغِبْ وَلَا تَغِيبُ عَنْكَ غَائِبَةٌ وَلَا تَخْفَى عَلَيْكَ خَافِيَةٌ وَلَنْ تَضِلَّ عَنْكَ فِي ظُلْمِ الْخَفِيَّاتِ ضَالَّةٌ

هذا اعتراف من الذاكر بأن جميع النعم الكائنة في الوجود والتوفيق للحمد على جميعها والطاعة لخالقها ومالكها وهو الله تعالى الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وكذلك لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وأن تضل أي لا تخفى عليه في ظلم جمع ظلمة مثل غرفة وغرف والخفيات جمع خافية والضالة الغائبة عن الأعين قالت مولانا عائشة عنها: من زعم أنه أي النبي ﷺ يعلم ما في غد فقد أعظم على الفرية اهـ.

فإن قلت: يرد على ما قالت مولانا عائشة عنها إشكالاً وهو نفي كرامات الأولياء قلت: الجواب عن هذا الإشكال هو أن مراد مولانا عائشة عنها بقولها في عد تعني يوم القيامة وهو علم خاص وأما كرامات الأولياء فهي ثابتة كتاباً وسنة وإجماعاً قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول يعني أو ولي. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون

من غير أن يكونوا أنبياء وأن يكون في أمي أحد فإنه عمر بن الخطاب» أخرجه البخاري : قال ابن وهب في تفسير محدثون ملهمون : ولمسلم عن عائشة عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول : «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم» ففي هذا إثبات كرامات الأولياء وقد قالوا كل معجزة للنبي فهي كرامة للولي وإلى هذا المعنى أشار البوصيري في همزيته :

والكرامات منهم معجزات نالها من نوالك الأولياء
وقال الشيخ يوسف النبهاني في همزيته التي حاذى بها همزية البوصيري :

والكرامات كلها معجزات منه كانت لها الغيوب وعاء
أظهرتها الأخيار كالقادح الزند متى احتاج بان منه الضياء

وقد أجمع العلماء العاملون والكمال المخلصون على ثبوتها حتى نسبوا من تفاهها إلى الاعتزال كالزمخشري وغيره انظر الخازن، وذكر الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر عن الإمام الياقعي ما نصه : والناس في إنكار الكرامات على أقسام فمنهم من ينكرها مطلقاً ومنهم يصدق بكرامات من مضى ويكذب بكرامات أهل زمانه فهؤلاء كبنو إسرائيل فإنهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد ﷺ حيث روه حسداً وعدواناً ومنهم من يصدق بأن الله تعالى أولياء في عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من جميع الإمداد في عصره، ثم قال : وبالجملة فلا ينبغي لأحد التوقف في الإيمان بكرامات الأولياء لأنها جائزه عقلاً وواقعة نقلاً أما جوازها عقلاً فلأنها من جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الإلهية وبذلك قال أهل السنة والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والأصوليين والفقهاء والمحدثين رضي الله عنهم أجمعين وأما وقوعها نقلاً فمن ذلك قوله تعالى : ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ۳۷] وقوله : ﴿وَهَزِيْءَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ۲۵] إلى آخر ما ذكره الشعراني فليراجعه مبتغيه .

إِنَّمَا أَمْرُكَ إِذَا أَرَدْتَ شَيْئًا أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

وهذا اعتراف بكمال قدرة الله تعالى وإن قدرته صالحة لكل شيء ولا يعجزه شيء والمراد بالأمر هنا الشأن وبالكون التكوين والحدوث أي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل أن جميع المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاده بقوله كن من غير

إن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد كأنه يقول كما لا يثقل كون كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم، قال الشناوي: ينبغي للطالب أن يقرأ عند قوله ﴿كُنْ﴾ [البقرة: ١١٧] قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ثم يسجد ويسأل في سجوده ما يريد وهي ثانية سجدة في هذا الدعاء وهي جامعة لكل خير وكل ما يريده فإذا رفع رأسه من السجود يقول فيكون فإذا قال ذلك يقول اللهم لك الحمد ولك الشكر وإليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم يسأل حاجته وهي إشارة ملاقات السلاطين وكفاية المهمات اهـ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِثْلَ مَا حَمَدْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَأَضْعَافَ مَا حَمَدَكَ بِهِ الْحَامِدُونَ

حمداً لله تبارك وتعالى حمداً يؤدي ما وجب عليه من المحامد على جميع النعم ولما علم الله تعالى عجز خلقه عن كمال حمده حمد نفسه بنفسه في أزله ثم إن كل مخلوق أراد أن يحمد الله بكمال حمده، حمده يمثل الحمد الذي حمد به نفسه قال رسول الله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، وقوله: وأضعاف ما حمدك به الحامدون، أي: وأحمدك حمداً متضاعفاً على حمد كل حامد وهو على الدوام فائق متزايد. واعلم أن الله تعالى أنزل على النبي ﷺ سورة الحمد من بين سائر الأنبياء لأنه أكمل الحامدين وخص بلواء الحمد الذي يستظل تحته كل حامد وخص بالمقام المحمود وشرع لأمة سنة وقرآناً أن تقول في ابتداء الأفعال وعند ختمها الحمد لله لأن كتاب الله تعالى مبدوء بها قال السهيلي لما كان الأول في الخلق والسابق في الأحمدية شرع الابتداء بالحمد وجاءت الفاتحة مفتحة به اهـ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله افتتح الخلق بالحمد وختم بالحمد وهو أول ما تكلم به آدم ﷺ فقد أخرج الحاكم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لما نفخ في آدم الروح مارت وطارت فصارت في رأسه فعطس فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك الله» قوله مارت أي دارت وترددت وأول كلام أهل الجنة إذا دخلوها قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ﴾ [الزمر: ٧٤] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤] الحمد لله الذي هدانا لهذا اهـ.

وَسَبِّحْكَ بِمِ الْمُسَبِّحِينَ

تسبيح الله تعالى هو تنزيهه عما لا يليق بعلى جنابه ورفيع كماله وقد حمد الله أيضاً بعدد كل من سبحه من المسبحين واعلم أن التسبيح فيه فضل عظيم وثواب جسيم أخرج

البخاري أن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» قال بعضهم كرر التسبيح في هذا الحديث الكريم اعتناء بشأنه من جهة كثرة الواصفين له بما لا يليق بجلاله بخلاف أوصاف الكمال فلا ينازع في ثبوتها له أحد وإنما وقع للنزاع في كيفية ثبوتها وقد روي أن أول من سبح الله تعالى حرفياً ييل وهو ملك له مائة ألف جناح من جناح إلى جناح مسيرة خمسمائة عام، خطر على باله هل فوق عرش ربنا شيء فعلم الله منه ذلك فزاده مثل أجنحته مائة ألف أخرى فطار مائة ألف سنة فلم ينل قائمة من قوائم العرش فأوحى الله إليه لو طرت إلى يوم ينفخ في الصور لم تبلغ ساق العرش فخر راکعاً وقال سبحان ربي العظيم فأخذ التسبيح في الركوع من ذلك الملك اهـ.

ومجّدك به الممجّدون

حمداً لله تعالى أيضاً بعدد من مجد الله تعالى وعظمه وشرفه من كل مخلوق والمجد في اللغة العز والشرف قاله في المصباح.

وهكبرك به المكبرون

أي: قال الله أكبر والتكبير والتعظيم فقد حمد الله تعالى أيضاً بعدد كل من قال من المخلوقات الله أكبر.

وهللك به المهللون

أي: قال لا إله إلا الله، وقد حمد الله تعالى أيضاً بعدد من قال لا إله إلا الله واعلم أنه ورد في التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد أحاديث كثيرة أخرج الإمام أحمد والديلمي في مسند الفردوس والترمذي وحسنه والمنذري عن رجل من بني سليم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ليس لهذا عدل من القول وهي الباقيات الصالحات، سبحان الله نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، ولا إله إلا الله تملأ ما بين السماء والأرض» قوله: «عدل» أي مثل، وأخرج النسائي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهم يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات، من فضائلها أنها أحب الكلام إلى الله

وأفضله عنده ومصطفاه ومقاليد السموات والأرض». وأخرج الإمام أحمد والحاكم والضياء عن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله اصطفى من الكلام أربعاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتبت له عشرة حسنة وحطت عنه عشرون خطيئة، ومن قال: الله أكبر مثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتب له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون خطيئة» إلى غير ذلك من الأحاديث وفيما ذكر كفاية.

وَقَدَّسَكَ بِهِ الْمُقَدَّسُونَ

أي: نزهك عما لا يليق بجمالك وجلالك وعلوك وكبرياتك المقدسون أي الموصوفون بهذه الصفة الرفيعة وهم أولياء الله العارفون الكمل المخلصون جعلنا الله منهم.

وَوَحَّدَكَ بِهِ الْمُوَحِّدُونَ

أي: أقروا لك بالوحدانية ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً ووحدانيته تعالى يجب اعتقادها في كل مؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وَعَظَّمَكَ بِهِ الْمُعَظِّمُونَ

أي: أقروا بعظمتك وجلالك، واعلم أن عظمة الله تعالى لا يصفها واصف. قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه نضار الذهب: العظيم اسم من أسماء الله تعالى فلا حد لعظم جلالته وكماله وعلو سلطانه وعظم شأنه وشمول قدرته ونفوذ إرادته وعموم علمه ووفور جلبيه اهـ. ومعنى العظيم هو الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصر، وقيل: هو الذي لا تكون عظمته بتعظيم الأغيار وجل قدره عن الحد والمقدار، وقيل: هو العظيم بوجوب وجوده والعظيم في قدره وسلطانه والعظيم بتنزهه عن صفات خلقه وحظ العبد منه أن يستحقر نفسه ويدلها للإقبال عليه تعالى بالانقياد لأوامره وأن يجتهد في ارتكاب ما يرضيه واجتناب نواهيه قاله الشبراوي في شرحه لأسماء الله الحسنى.

وَاسْتَغْفَرَكَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ

أي: طلبوا مغفرتك يا الله لجميع خطاياهم بالمواظبة على الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار وقد وردت آيات كثيرة وأحاديث شريفة في الحض على الاستغفار لمحو الخطايا والأوزار والفوز برضى الله في دار القرار قال تعالى: ﴿رَبِّكَ إِنَّا ءَامِنَا فَاعْفُرْ

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران: ١٦، ١٧] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقال حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢] إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الأحاديث فكثيرة معروفة لا يمكن استقصاؤها ولكن أشير إلى طرف منها، فأقول: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر». وروى أبو داود في سننه والطبراني في كتاب الدعاء وأبو يعلى وابن مردويه عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتاني آت من ربي فقال: من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً». وقد كانت شقت عليهم الآية التي قبلها ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فأردت أن أبشر أصحابي قال: قال: قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ثم استغفر له؟ قال: «نعم» ثم ثلثت، قال: «نعم على رغم أنف عويمر». ثم قال كعب ابن ذهل: وأنا رأيت أبا الدرداء يضرب أنف نفسه. وروى ابن جرير وابن المنذر من طريق عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ [النساء: ١١٠] قال: «أخبر الله تعالى عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال». وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ولو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم». وفي هذا القدر كفاية.

حَتَّى يَكُونَ مِثِّي وَخَدِي فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَأَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ مِثْلُ حَمْدِ جَمِيعِ الْحَامِدِينَ
لما حمد الله تعالى بعدد من سبحانه ومجده وكبره وهله وقدسسه ووحده وعظمه واستغفره بالغ في حمده وحده وطلب منه أن يكون حمده في كل طرفة عين أي تحرك العين وأقل من ذلك مما لا فتور عنه مثل حمد جميع الحامدين المستغفرين جميع أوقاتهم في حمد ربهم وإن صدر منهم حمد لغير فنيتههم مصروفة إلى حمده كما قيل:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نشني وفوق الذي نشني
 وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني
 اللهم يا مولانا اجعلنا بفضلك من الحامدين الشاكرين ولآلائك من الذاكرين واختم
 لنا بخاتمة الخير آمين .

وتوحيد أصناف الموحدين والمخلصين

حمداً لله تعالى أيضاً بعدد من أقر الله بالوحدانية المخلصين لله تعالى في عبادتهم
 وجميع أفعالهم وأقوالهم، قال الشناوي رحمه الله: إنما قال الأصناف بصيغة الجمع لأن
 من الموحدين من يقول بوحدة المعبود المستحق للعبادة ولا يقول بوحدة الوجود ومنهم
 من يقول بوحده مع وحدة المعبود، وهذا الصنف الثاني يتفرق إلى ثلاثة أصناف:
 أحدها: من يشاهد الخلق في الحق، وثانيها: من يشاهد الحق في الخلق وثالثها: من
 يشاهد الحق في الخلق والخلق في الحق بحيث لا يكون أحدهما مانعاً عن الآخر وهذه
 المرتبة الأخيرة مقام الأنبياء والأولياء الكاملين والمكملين رزقنا الله تعالى وجميع
 المسلمين هذا المقام بحرمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وتقديس أجناس العارفين وثناء جميع المهلئين والمصلين والمستجيبين

التقديس: تنزيه الحق جل جلاله وعز كماله وسلطانه عما يليق بعلى جنابه
 والعارفين جمع عارف وهو الكامل المعرفة بالله الفاني عن جميع الأكوان الذي لا يشاهد
 إلا الحق تعالى، وإلى هذا أشار من قال:

مذ عرفت الإله لم أر غيرا وكذا الغير عندنا ممنوع
 مذ تجمعت ما خشيت افتراقا وأنا اليوم واصل مسجموع
 وقال الآخر:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
 فالكل دون الله إن حقيقته عدم على التفصيل والإجمال
 واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال
 من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه غين محال
 فالعارفون فنوا بأن لم يشهدوا شيئاً سوى المتكبر المتعال
 ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال

قال ابن عباد رضي الله عنه: وقد سئل أبو سعيد بن الأعرابي رضي الله عنه عن الفناء فقال: الفناء أن تبدوا العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم عقله اه وأنشدوني في ذلك:

فيفنى ثم يبقى ثم يفنى فكان فناؤه عن البقاء
قال الشناوي رحمه الله: إنما قال الأجناس بصيغة الجمع عند أهل التصرف من يشاهد الحق شهوداً قلبياً وللشهود مراتب مختلفة بعضها فوق بعض وعلى حسب استعدادات العارفين يحصل لبعضهم أعلى المراتب ولبعضهم أوسطها ولبعضهم أدناها وبحسب اجتهادهم في التهليل والتسبيح وكثرة الصلاة على أشرف المخلوقات وسيد السادات مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات بعدد أنفاس المخلوقات ترتفع مقاماتهم وتصعد درجاتهم جعلنا الله منهم بمنه وكرمه أمين.

وَمِثْلُ مَا أَنْتَ بِهِ عَالِمٌ

حمد الله تبارك وتعالى بعدد ما أحاط به علم الله ومعلوم أن علم الله أحاط بكل شيء قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَأَنْتَ مَخْمُودٌ وَمَخْبُوبٌ وَمَخْجُوبٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ وَمِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَرَايَا وَالْأَنْامِ

يعني أنه حمد الله تعالى بعدد جميع الخلائق ومحبتهم فيه وحجبهم عن رؤيته بالبصر لا بالقلب وعمهم في خلقه كل الحيوانات جمع حيوان والحيوان هو كل ذي روح ناطقاً كان أو غير ناطق مأخوذ من الحياة يستوي فيه الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل قاله في المصباح، وقوله: البرايا جمع برية وهي الخلق وأصله الهمز ويجمع أيضاً بريات قاله في المختار، والأنام: الخلق فهو عطف تفسير على ما قبله.

إِلَهِي أَسْأَلُكَ بِمَسَائِكَ وَأَزْعَبُ بِكَ إِلَيْكَ فِي بَرَكَةٍ مَا أَنْطَقْتَنِي بِهِ مِنْ حَمْدِكَ

رجع إلى الله تعالى بالتضرع والابتهال وقرع بابه بالنداء والسؤال فقال إلهي وأضافه لنفسه لشدة احتياجه إليه في كل الأحوال وعدم التفاته لغيره في طلبه لكل نوال فقوله أرغب أي أطلب بك أي بوجهك الكريم إليك أي إلى كمال فضلك وجودك وإحسانك في بركة أي تمنحني بركة كل حمد أنطقني به وشكرتك على ما أسديت إلي من النعم ووهبتني من الإحسان فمن علي بفضلك بالمغفرة والرضوان بجاه سيد ولد عدنان...

وَوَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ شُكْرِكَ وَتَمَجِّدِي لَكَ

حقيقة الشكر عرفاً هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما يليق به. واعلم أن الشكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شكر بالقلب وهو اعتقاد أن النعم كلها من الله ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وشكر باللسان وهو الثناء على الله وتدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ومنه: شكر الوسائط الثناء عليهم والدعاء لهم من لم يشكر الناس لم يشكر الله أشكر الناس لله أشكرهم للناس، وشكر بسائر الجوارح وهو أن يعمل بها العمل الصالح قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبا: ١٣] قاله سيدي الطالب ابن الحاج محشر المرشد.

ثم اعلم أن الشكر على النعم هي درجة العوام كما في تفسير ابن جزري ودرجة الخواص الشكر عليها وعلى النقم وعلى كل حال ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن رؤية النعمة برؤية المنعم قال رجل لإبراهيم بن أدهم أن الفقراء إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا فقال إبراهيم هذه أخلاق الكلاب ولكن الفقراء إذا منعوا شكروا وإذا أعطوا آثروا اهـ. وقوله وتمجيدك أي تعظيمي لقدرك بالثناء على مقامك ورفيع جنابك.

فَمَا أَيْسَرَ مَا كَلَّفْتَنِي بِهِ مِنْ حَقِّكَ

أي: فما أخف علينا ما كلفتنا به من القيام بحقوقك الواجبة علينا حيث لم تكلفنا بما لا طاقة لنا به قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال ﷺ لأصحابه: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا». وقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وَأَعْظَمَ مَا وَعَدْتَنِي بِهِ مِنْ نِعْمَاتِكَ وَمَزِيدِ الْخَيْرِ عَلَى شُكْرِكَ

أي: فما أجزل عطيتك لنا وأكرم موعدهك إذ وعدت من مات على الإيمان بسكنى الجنان والمغفرة والغفران والأمان والرضوان وزيادة الثواب الجزيل على العمل القليل ذلك الفضل من الله والله ذو الفضل العظيم.

ابْتَدَأْتَنِي بِالنِّعَمِ فَضْلاً وَطَوَّلاً

أي: أنعمت عليّ بالوجود بعد العدم فضلاً أي منه منك وطولاً أي إحساناً قال تاج الدين بن عطاء الله في حكمه نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أنعم عليك أولاً بالإيجاد وثانياً بتوالي الإمداد اهـ. قال ابن عباد رحمته الله

ومما لا ينبغي أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس نعمة إيجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك وإمدادهما وكذلك كراهة الكفر والمعصية فإن ذلك من النعم التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة إليها ولولا قول الله تعالى له بتينك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلالات وغرق في بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل وعلى هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز من قائل: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧-٨].

ثم قال: قال الشيخ أبو طالب المكي بعد أن ذكر ما روي عن رسول الله ﷺ أحبوا الله لما أسدي إليكم من نعمة ولما يغذوكم به أيضاً فمن أفضل ما غذانا به نعمة الإيمان به والمعرفة وغذاؤه لنا من دوام ذلك ومدده بروح منه وثبتنا عليه في تصريف الأحوال إذ هي أصل الأعمال التي هي مكان النوال فلو قلب قلبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا في الأعمال أي شيء كنا نصنع وعلى أي شيء كنا نعول وبأي شيء كنا نطمئن ونرجوا فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإيمان توجب العقوبة اهـ. كلام الشيخ أبي طالب رضي الله عنه.

وأمرتني بالشكر حقاً وعدلاً

أي: طالبني بالشكر على هاتين النعمتين العظيمتين وتلك المطالبة بمحض الحق والعدل قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤] قال تاج الدين السبكي في كتابه مفيد النعم ومبيد النقم. اعلم أن النعمة لم تنزل عنك إلا لإخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها وهو الشكر فإن كل نعمة لا تشكر حرية أي حقيقة بالزوال ومن كلامهم النعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت، وقيل: لا زوال لها إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت اهـ منه. وفي الحكم العطائية من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها وقال الشاعر:

من شكر النعمة قد صانها بقيد شكر ياله من عقاب
ومن يغيب في زهوه غافلاً عن شكرها عرضها للزوال

وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ أضعافاً ومزيداً

أي: وعدتني في مقابلة شكر النعمة بالزيادة الكثيرة المضاعفة في قولك، وأنت

أصدق القائلين ﴿لَيْنَ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وذكر العارفون أن الرب تعالى قطع بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة، فقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُعْطِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال: ﴿فِيكَشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١] قال: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٢] ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨] وقال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: ٢٧] وقال في الشكر من غير استثناء: ﴿لَيْنَ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] قاله تاج الدين السبكي رحمته الله، ومما قيل في الحض على الشكر:

ومن الرزية أن شكري صامت عما فعلت وإن برك ناطق
أرى الصنيعة منك ثم أسرها إني إذا ليد الكريم لسارق
وقال الصفي الحلبي رحمته الله:

سأشكر نعماك التي لو جحدتها أقرب بها حالي وتم بها سري
وفي حسن حال المرء أعدل شاهد يقرب بما أسدت إليه يد القطر
وفي الحديث القدسي: «عبدى لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه». ولما دخل سفيان الثوري على جعفر الصادق، وقال له علمني: يا ابن رسول الله مما علمك الله قال له: «إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر وإذا تظاهرت الغموم فقل لا حول ولا قوة إلا بالله». فخرج سفيان وهو يقول ثلاث وأي ثلاث اه ذكره الشرنوبى في شرحه لتائية السلوك.

وأعطيتني من رزقك رزقاً واسعاً كثيراً اختياراً ورضى

اعلم أن الله تبارك وتعالى لا يجب عليه شيء وإنما منحنا الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة بالاختيار منه والرضى علينا وإلا فهو سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد قال الشناوي وأعطيتني نعمة الاصطفاء بالشهود القلبي في الدنيا ونعمة رضوانك علي في الآخرة قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] ويحتمل أن يكون المعنى وأعطيتني نعمة الاختيار وعدم للكراهة للبلايا والشدائد ونعمة الموافقة والرضى على تلك البلايا واعلم أن الاختيار والرضى بكلا المعنيين يجوز أن يطلق عليهما لفظ الرزق إلا أنهما من الرزق الباطني المعنوي اه.

وَسَأَلْتَنِي عَنْهُ شُكْرًا يَسِيرًا

أي: طلبت مني إذا أنعمت عليّ بالرزق الواسع الكثير أن لا أصرفه إلا فيما يرضيك وهذا هو شكر النعم. روي عن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أنه قال يوم الطور: «يا رب إن أنا صليت فمن قبلك وإن أنا تصدقت فمن قبلك وإن بلغت رسالتك فمن قبلك فكيف أشكرك قال: يا موسى الآن شكرتني». وفي لفظ: «إذا عرفت أن النعم مني فقد رضيت بذلك منك شكراً» ويتعين على ذي النعمة أن ينظر إليها وإن قلت بعين التعظيم لكونها من قبل الله تعالى فإن قليله لا يقال له قليل وإلى نفسه بالتحقير بالإضافة إليها معترفاً بأنه ليس أهلاً لها وأن أصله نطفة من منى تمنى وقد أوصله الله تعالى إليها لا باستحقاق عليه بل بفضل منه.

لَكَ الْحَمْدُ اللَّهُمَّ عَلَيَّ إِذْ نَجَّيْتَنِي وَعَافَيْتَنِي بِرَحْمَتِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ

أوجب الذاكر على نفسه حمد الله تعالى لأجل نجاته وعافيته وذلك برحمة الله له وسعة كرمه من جهد البلايا والجهد بفتح الجيم الغاية والنهاية والبلاء بالمد، التجربة والاختبار والامتحان وهو في الشر كثير والديرك بفتح الدال وسكون الراء وقد تفتح التتابع والشقاء بالمد ضد السعادة ولا مطلب أهم للعاقل من حمد الله على هذه النعمة العظيمة وهي نعمة الإيمان الذي به ينجو صاحبه من البلاء والخسران والشقاوة المؤذنة بالحرمان ختم الله لنا ولجميع المسلمين بحسن الخاتمة بجاه أشرف خلقه سيد ولد عدنان عليه من الله أفضل الصلاة والسلام في كل عصر وأوان.

وَلَمْ تُسَلِّمْ لِي لِسُوءِ قَضَائِكَ وَبِلَائِكَ

يعني: أن الله تبارك وتعالى يكون للذاكر معيناً على جميع الأمور حافظاً له من النقم والشرور لطيفاً بأحواله رؤوفاً به في جميع أفعاله فقوله ولم تسلمني بسوء القضاء مضارع أسلمه يعني خذله وسوء القضاء أي ولم تسلمني لسوء مقضيك وتخذلني ببلائك بمحض فضلك وإحسانك فإنك رؤوف حلیم جواد كريم وفي الحديث: «وأعوذ بك من كل شر حزائنه بيدك». وفي صحيح البخاري: «تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء». قال العزيز في قوله سوء القضاء أي المقتضى لأن قضاء الله كله حسن لا سوء فيه اه بلفظه.

وَجَعَلْتَ لِمَلْبَسِي الْعَافِيَةَ

أي: جعلت لباسي بفضلك وكرمك العافية أي المدافعة عني لكل ما يؤذيني في الدين والنفس والمال وقد حثَّ ﷺ على طلب العافية من الله تعالى بقوله إذا: «سألتم الله فسلوه العافية». والعافية من أعظم النعم على الإنسان أخرج البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن عبيد الله بن محصن أن رسول الله ﷺ قال: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». ذكره السيوطي في الجامع الصغير.

وَأَوْلَيْتَنِي التَّبَسُّطَةَ وَالرِّخَاءَ

أي: أعطيتني سعة وفضلة منه منك وفضلاً وكرماً وإحساناً والرخاء بالمداسم لاتساع العيش والتقلب في النعم، والشعور بأن ذلك من الله من النعم العظيمة، لأن التفكير في النعم يؤذن بالتفكير في المنعم وهو الله تعالى لكن التفكير في الله ممنوع. روى أبو الشيخ عن أبي ذر رضي الله عنه: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا». بكسر اللام لأن كل شيء يخطر بالبال فهو بخلافه، قال العزيزي قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

وَشَرَعْتَ لِي أَيْسَرَ الْقَصْدِ

يعني: أنك أكرمتنا بنبينا سيدنا محمد ﷺ حيث منّ علينا بالرخص في الشريعة فإنها أيسر من العزائم الشاقة فقد قال ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه». وقال ﷺ: «ما شدّ الله أحد إلا غلبه لكن لا ينبغي للمؤمن أن يتتبع الرخص ولا يرتكبها إلا لأجل الضرورة فالعمل بالعزيمة أولى من العمل بالرخصة».

وَضَاعَفْتَ لِي أَشْرَفَ الْفَضْلِ

يعني: أنك مننت علينا بمضاعفة الخير الجزيل وأسديت إلينا من النعم العظيمة جزاء على الشكر القليل والحمد اليسير ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

مَعَ مَا عَبَّدتَنِي بِهِ الْمَحَجَّةَ الشَّرِيفَةَ

يعني: أنك تفضلت علينا بالنعم العظيمة والخيرات الجسيمة مع ما أقمتني فيه وهديتني إليه من المحجة، أي الطريق الواضح وهو الإسلام، الشريفة بنسبتها إلى سيدنا

ومولانا محمد رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣] صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ثبتنا الله عليه إلى الممات وختم لنا بما ختم به لأوليائه وأصفيائه بفضلته وإحسانه.

وبشرتني به من الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ

يعني: أنك بشرت على لسان نبيك سيدنا محمد ﷺ من مات على الإيمان بسكنى الجنان والمراد بالدرجة العالية الرفيعة رؤية الله تبارك وتعالى التي هي أكمل وأعلى من الرؤية القلبية في الدنيا. روى أبو منصور والديلمي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثمن الجنة لا إله إلا الله وثمن النعمة الحمد لله». وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه: «ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى وجه الله عز وجل والجنة ثواب الأعمال» وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد بيان لفضل هذه الكلمة الشريفة ثبتنا الله عليها وجعلنا من خيار أهلها آمين.

واصطفيتني بأعظم النبيين دعوة

يعني: أنك اصطفيتني أي اخترتني وأكرمتني بأعظم النبيين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين دعوة أي إسلاماً، فإن ملته أفضل الملل، وأمته أحسن الأمم، كيف ونبينا ﷺ يقول يوم القيامة: «يا رب لا أسألك نفسي ولا أمانة التي ولدتني ولا حليلة التي أرضعتني ولا فاطمة ابنتي وإنما أسألك أمي، أمي وكل واحد يقول يا رب نفسي نفسي فالحمد لله الذي جعلنا من أمة هذا النبي الكريم رزقنا الله شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

وأفضلهم شفاعته

يعني: أن نبينا سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أفضل الأنبياء شفاعته بل هو أفضل الأنبياء على الإطلاق وقد فضله الله تعالى عليهم بأمور لا تعد ولا تحصى منها هذه المنقبة الجليلة والخصوصية العظيمة وهي الشفاعته لجميع الخلائق يوم القيامة عند شدة الهم والضيق.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل

تدرون بم ذلك يجمع الله والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس من رؤوسهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام، فيأتون آدم فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض قد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله عليه السلام فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليئه من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني كذبت ثلاث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام، فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً - وفي رواية: فيقول: إني عبدت من دون الله - نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتون فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فانطلق فأتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول أمي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما

سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذي نفسي بيده إن بين المصرعين من مصارع الجنة كما بين مكة وجيرا وكما بين مكة وبصرى» اهـ. حديث الشفاعة، وجلبته بطوله لبيان هذه الكرامة العظيمة المقدار، التي لم تعط إلا لمولانا رسول الله النبي المختار، رزقنا الله وجميع الأحبة شفاعته يوم الفراز، وسكنى الفردوس في جواره مع الأنبياء الأبرار والشهداء والصالحين الأخيار.

وأزفعهم درجة

يعني: أن نبينا ﷺ رفع الله درجته على سائر الأنبياء والمرسلين وهذه المزية أيضاً خصه الله تعالى بها دونهم، قال سيدي المهدي القاسي في شرحه لدلائل الخيرات: يعني برفع الدرجات الجنة أو درجات الفضل والمجد أو درجات المكانة أو علو المنزلة يعني أنه ارتقى وارتفع على الدرجات كلها فدرجته فوق الدرجات جميعاً أو يعني أن شأنه الارتقاء والارتفاع في الدرجات دائماً من غير وقوف ولا حد ولا نهاية، وإلى هذا المعنى أشار البوصيري في همزيته:

رافعاً رأسه وفي ذلك الرفـ ع إلى كل سؤدد إيـماء
رامقاً طرفه السماء ومرمى عـين من شأنه العلو العلاء

وأقربهم منزلة وأوضحهم حجة

اعلم أن نبينا ومولانا رسول الله ﷺ خصه الله أيضاً بهاتين الخصلتين الجليتين وهما كونه ﷺ أقرب الأنبياء إلى الله تبارك وتعالى مكانة ومنزلة وأوضحهم حجة أي دليلاً وبرهاناً لما يتكلم به، وأشار بقرب منزلته إلى ما روي في حديث الإسراء حيث قال فيه ﷺ كما في البخاري: «حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» الحديث، وفي حديث آخر عن سيدنا علي كرم الله وجهه: «فلما كانت ليلة الإسراء كان جبريل السفير بي إلى ربي إلى أن انتهى إلى مقام فقام عنده، فقلت: يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال إن تجاوزته احترقت بالنور» فقال النبي ﷺ: «يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك فقال: يا محمد سل الله أن أبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا علي». قال النبي ﷺ: «فلما كان اللقاء ذهلت عن حاجة جبريل، فقال الله تعالى: أين حاجة جبريل، فقلت: اللهم إنك أعلم، فقال: يا محمد قد أجبتك فيما سألت ولكن فيمن أحبك وصحبك» اهـ. ولابن رشيد رحمه الله:

بإقدامه في حضرة الحق قد سعى رسول له فوق المناصب منصب
 بأعلى السما أمسى يكلم ربه وجبريل ناء والحبیب مقرب
 قال مولانا رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم: «ثم زج بي في النور زجاً فخرق لي
 سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجاباً وانقطع عني حس كل ملك، فإذا
 أوني النداء من العلى الأعلى: أدن يا أحمد أدن يا محمد ليدن الحبيب، فأدناني ربي حتى
 كنت كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩] - يعني
 قرب مكانه لأقرب مكان - وأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى»
 الحديث، ويرحم الله ابن رشيد البغدادي إذ يقول في وترياته:

تداني فأدناه إلى العرش ربه ونادي تقدم يا وحيد محبتي
 تلذذ بنا واسمع لذيد خطابنا وعينك نزه في عجائب قدرتي
 ترى العرش والكرسي والحجب قد بدت لديك وأنواري عليك تجلت
 تأنس نبأ هذا الوصل وذا اللقا محب ومحبوب وساعة خلوة
 تقرب ولا تجزع وأقبل ولا تخف وسل تعط أنت سيد صفوتي
 تعاليت قدراً عندنا ومكانة وذكرك مرفوع فلا تنس نعمتي

اه. قال الشناوي في شرحه لهذا المحل ما نصه: أما كونه ﷺ أعظمهم دعوة فلأن
 كل رسول أرسل بدعوته إلى قومه خاصة ونبينا ﷺ أرسل بالدعوة إلى كافة الناس بل
 وإلى الجن أيضاً، وكذلك الملائكة على التحقيق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
 كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا: ٢٨]، وأما كونه ﷺ أفضلهم شفاعاً فقد تقدم في
 حديث الشفاعة وأنها خاصة به، وأما كونه ﷺ أقربهم منزلة فلأن مرتبته ﷺ الوحدة
 وهي المسماة بالحقيقة المحمدية ومراتب سائر الأنبياء الواحدية وهي المسماة بالحقيقة
 الإنسانية ومرتبة الوحدة فوق مرتبة الواحدية كما يعلم من كتب الحقائق، وأيضاً رأى
 نبينا ﷺ الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج بعين رأسه، وأما كونه ﷺ أعظمهم حجة
 فلأن معجزاته ﷺ أظهر وأعظم من معجزات سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اه.
 بزيادة للإيضاح وحذف للاختصار وقد قال بعض العلماء ما أعطى الله لنبي من الأنبياء
 معجزة إلا وأعطى نبينا معجزة مثلها وأعظم منها وأعظم معجزاته القرآن المتعبد بتلاوته
 على ممر الزمان، قال بعضهم:

أعظمها معجزة القرآن تبقى على تعاقب الأزمان

سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَعَلَىٰ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

لما ذكر النبي ﷺ ببعض أوصافه الجميلة وخصائصه الرفيعة صرح بأفضل أسمائه العلية الجليلة وهو اسم محمد ﷺ وقال محمد ولم يقل غيره من الأسماء أشار إلى أن لهذا الاسم الشريف خصائص، قال في المواهب اللدنية: منها: كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد ﷺ، فإن عدة الجلالة أربعة أحرف كمحمد، ومنها: أنه قيل إن مما أكرم الله به الآدمي وإن كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ، فالميم الأولى رأسه: والحاء جناحه، والميم سرته، والذال رجلاه. قال الزرقاني: زاد الشامي وباطن الحاء كالبطن وظاهرها كالظهر ومجمع الإيتين والمخرج كالميم وطرف الدال كالرجلين اهـ. وفي هذا المعنى قال بعضهم:

له اسم صورة الرحمن ربي خلائقه عليه كما تراه

له رجل وفوق الرجل بطن وتحت الرأس قد خلقت يده

ثم قال في المواهب نقلاً عن ابن مرزوق، قيل: ولا يدخل النار من يستحق دخولها أعادنا الله منها إلا ممسوخ الصورة إكراماً لصورة اللفظ اهـ. وفي المواهب أيضاً: ومنها أن الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها، قال الزرقاني: من قصور وغرف وعلى نحور الحور العين وورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين الملائكة، رواه ابن عساكر عن كعب الأحبار اهـ. انظر تقيدنا المسمى بالزهر الفائح في فضل صلاة الفاتح ثم سمي النبي ﷺ باسمه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كل وقت وحين اغتناماً لما ورد في الصلاة عليه ﷺ قال ﷺ لعنه العباس: «يا عم لما ولدت يوم الاثنين خلق الله سبع جبال في السموات السبع وملاها من الملائكة ما لا يحصيه إلا الله، يسبحونه ويقدمونه إلى يوم القيامة وجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم لعبد ذكرت عنده بين يديه فأزعج أعضاءه بالصلاة علي».

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه: «خلق الله في الجنة شجرة ثمرها أكبر من التفاح وألين من الزبد وأحلى من العسل وأطيب من المسك وأغصانها من اللؤلؤ الرطب وجذوعها من الذهب وورقها من الزبرجد لا يأكل منها إلا من أكثر الصلاة على سيدنا محمد»، وعن سيدنا عمر رضي الله عنه: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصلي علي النبي ﷺ»، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «إذا سألتم حاجة فابدؤوا بالصلاة على رسول الله فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي أحدهما ويرد الأخرى».

إذا أملت من مولاك قريباً فجدد ذكر خير الأنبياء
 وصل عليه أول كل قول وآخره بصبح والمساء
 اهـ. ومن أراد استيفاء الكلام على بعض ما يتعلق بفضل الصلاة على النبي ﷺ
 فليراجع تقييدنا المذكور ويدع الله لنا بالنجاة يوم النشور، قال الشناوي: وإذا وصل إلى
 لفظ محمد ﷺ يهلل إحدى وأربعين مرة ويسجد ويطلب حاجته لفتح الباطن هنا ينبغي
 أن يقبل إظفار إبهاميه ويضعهما على عينيه ثم قال: وينبغي للطالب أن يدعو عند قوله
 المرسلين إلهي بحرمة النبي ﷺ ثبتني على ما اصطفتيني بأعظم النبيين دعوة واحشرنني
 في مقر زمرة أفضل النبيين شفاعة آمين.

وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

لما صلى على النبي ﷺ وآله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين صلى الله على
 أصحابه الكرام الذين جاهدوا في الله حق جهاده ونصروه وآمنوا به، وأصحاب جمع
 صحب وصحب جمع صاحب وهو من اجتمع بالنبي ﷺ من جنس العقلاء ولو قبل
 إنذاره أو غير مميز اجتماعاً متعارفاً على وجه الأرض ولو لحظة مؤمناً به في حال حياته
 يقظة رآه أو لم يره ومات على ذلك، فعيسى والخضر وإلياس على صحابة المعتمد
 لأنهم اجتمعوا به في الأرض وعيسى آخر الصحابة وهو أفضل جميع الصحابة كما أشار
 له التاج السبكي بقوله:

من باتفاق جميع الحق أفضل من
 ومن علي ومن عثمان وهو فتى
 وجوابه:

ذاك ابن مريم روح الله حيث رأى
 فوق السموات ليلاً عندما اجتمعا
 وجبريل وكل الملائكة الذين اجتمعوا به في الأرض صحابة قطعاً، وكذا الجن على
 الراجح عند الحافظ ابن حجر، قال النبي ﷺ: «بعث إليهم قطعاً» فمن عرف اسمه منهم
 لا يبقى التردد في ذكره في الصحابة. وقوله: الطيبين: جمع طيب صفة لأصحاب،
 والطاهرين: جمع طاهر وهو البريء من العيب صفة بعد صفة.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

أعاد الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله تليداً بهذه العبادة ومحبة في هذه التجارة وتحل بترديد هذا الاسم الشريف طلباً ورغبة فيما وعد الله به المصلي من الثواب المنيف، أخرج ابن الملقن مرفوعاً قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى عليّ صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع والأشجار والنبات والطيور والسباع والأنعام إلا صلى عليه» اهـ.

وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْه إِلَّا مَغْفِرَتَكَ وَلَا يَمْحَقُهُ إِلَّا عَفْوُكَ وَلَا يَكْفُرُهُ إِلَّا تَجَاوُزَكَ وَفَضْلَكَ

لما أتى بالصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أعقبها بالاستغفار بجميع خطاياهم وطلب من الله تبارك وتعالى أن يكفرها عنه واعلم أن الاستغفار من أهم الأمور التي يعتني بها ويحافظ على العمل بها قال يحيى ابن معاذ رضي الله عنه ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو وقال ابن وهب من عظمت ذنوب نفسه لم يطمع في الرضى وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة وكان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كثير التلاوة والبكاء فبكى يوماً بكاءً شديداً فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم إن ربك يقول لك هل رأيت خليلاً يعذب خليله فقال يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وإذا كان هذا حال إبراهيم عليه السلام مع نبوته وخلته فما حال العاصي مع زنته وخطيئته فحاسب نفسك قبل أن تحاسب ومهد لها قبل أن تعذب وجاهدها الجهاد الأكبر وقل عند ذبحها بسم الله والله أكبر فالعاقل يقيم هذا الميزان على نفسه حتى يتبين له من أي الفريقين هو كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً اهـ.

قاله سيدي عمر الفتوي في الرماح فقوله: ما لا يسعه إلا مغفرتك أشار به إلى قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقوله: ولا يمحقه إلا عفوك أي لا يبطله ويمحوه إلا تركك له وعدم مؤاخذتك وقوله ولا يكفره أي لا يمحوه إلا تجاوزك أي عفوك وصفحك وفضلك أي إحسانك وكمال جودك وكرمك.

وذهب لي في يومي هذا وليلتي هذه وساعتي هذه وشهري هذا وسنتي هذه يقيناً صادقاً وطلب من الله تبارك وتعالى أن يهب له في جميع أوقاته من يوم وليلة وكل ساعة

وشهر وسنة يقيناً صادقاً واليقين الصادق هو كما في لطائف المنن عبارة عن استقرار العلم بالله من يقين الماء في الجبل إذا سكن فيه فكل يقين إيمان وليس كل إيمان يقيناً والفرق بينهما أن الإيمان قد يكون مع الغفلة واليقين لا تجامعه الغفلة اهـ، بأنه أخص من الإيمان. وقال أحمد بن عاصم الإنطاكي: اليقين نور يجعله الله في عبد القلب حتى يشاهد به أمور آخرته ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الآخرة كالمشاهد لها اهـ. قال في الأحياء، حكى عن بعض الأحداث: أنه راود جارية عن نفسها، فقالت: ألا تستحي فقال: ممن ولا يرانا إلا الكواكب، فقالت: وأين موكبها، وقال: عبد الله بن عمر خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي يعني شاة من الغنم فقال: إني مملوك فقال: قل لسيدك أكلها الديب فقال: فأين الله قال: فبكي عمر ثم غدا إلى المالك فاشتراه منه وأعتقه وقال أعتقك كلمتك في الدنيا وأرجو أن تعتقك في الآخرة وحكى أنه كان لبعض مشائخ هذه الطريقة تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيراً وقال أذبحه بحيث لا يراك أحد فرجع كل واحد بطيره مذبوحاً ورجع الشاب والطيور حي في يده فقال له: ما لك لم تذبح وقد ذبح أصحابك فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد إذ الله سبحانه مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق لك أن تكرمه وقيل في ذلك:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ألم تر اليوم يسرع داهباً وإن غداً لناظرين قريب

وفي الخبر أن الله جعل الروح والراحة في الرضى واليقين وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا استطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا على قدر يقينه لا يقصر عامل حتى يقصر يقينه وقد يكون عمل الرجل الضعيف إذا كان مستيقناً أفضل من عمل القوى الضعيف في يقينه ومن ضعف يقينه تغلبه المحقرات من الآثام اهـ. نقله جسوس في شرحه على تصوف المرشد، قال الشناوي في شرحه: ويقرأ اللهم ما قسمت في هذا اليوم من رافة ورحمة وعصمة ومغفرة وتجاوز وعافية وإيمان وحياء وطاعة وشكر وذكر وصبر وإخلاص ويقين وعلم وزهد ومراقبة فاجعل لي وللمن شئت عن المؤمنين فيه أوفر حظ ونصيب وما قسمت فيه وفي كل يوم من آفة ونقمة وبلية وخذلان واستدراج ومحنة

وعقوبة وسخط وقذف وزجر فاصرفه عني وعن جميع المسلمين فأنت على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين .

يَهْوَنُ عَلَيَّ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَحْزَانَهُمَا

هذا هو ثمرة اليقين وإن من تيقن أن كل كائن بقضاء الله وقدره هان عليه جميع ما أصابه في الدنيا وبسبب يقينه تزول عنه مصائب الدنيا والآخرة وأحزانهما أما مصائب الدنيا فإنها تهون بذكر الموت قال ﷺ: «اذكروا هاذم اللذات» يعني الموت فإنه ما ذكر في سعة إلا وضيقها ولا في ضيق إلا وسعه وما أحسن قول الأستاذ أبي القاسم الأصفهاني حيث يقول:

يضيق صدري فليسليني اعتلاق يدي حبلا من الله مشتد مرائره
إذا تبينت من الطاقة أثرا علي طليعة أمر هان سائره
وللإمام نصر بن أحمد الميكالي رحمه الله:

اتق الله لا الأعداء واعلم تيقناً بأن الذي لم يقضه لن يصيبك
وحظك لا يعدوك إن كنت قاعداً ولا أنت تعدو حين يعدو نصيبك
وأنشد بعض الأدباء لسيدنا عثمان بن عفان ﷺ:

خليلي والله لا من مله تدوم على حبي وإن هي جلت
فإن نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلى بنوائب فصابرهما حتى مضت واضمحلت
وكم غمرة ماجت بأمواج غمرة تلقيتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يا نفسي موتي كريمة فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وَيُشَوِّقُنِي إِلَيْكَ

أي: إذا تيقنت أن ما عند الله خير وأبقى لتشوقت إلى لقائه وأحببت ما عنده، قال تعالى: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» [الضحى: ٤] وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف - وهو اللبن المشوي - لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى، فكيف والأمر بالعكس؟»

وَيُرَغِّبُنِي فِي مَا عِنْدَكَ

يعني: أن اليقين الصادق يرغب صاحبه في طلب ما عند الله من الخيرات وسكنى الفردوس في أعلى الغرقات ويزهد في هذه الدنيا الفانية وفي الحديث: دخل سيدنا عمر على رسول الله ﷺ فوجده مضطجعاً على حصير مرمّل بشريط وقد أثر في جنبه الشريف فجعل عمر يبكي، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وقال: «ما يبكيك يا عمر؟» فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يوسع علي أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً، ثم قال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة، أولئك قوم عجلت طياتهم في الحياة الدنيا» الحديث. وروي أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن تشاء أعطيتك في الدنيا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وجعلت لك جبال تهامة ذهباً وفضة تسير معك حيث سرت قال: فقلت: يا جبريل أعمر في الدنيا أم موت، فقال: لا بد من الموت ومن لقاء الله عز وجل فقال: يا جبريل ما الرغبة في نعيم زائل ودنيا فانية إن الدنيا دار من لا دار له تغر من لا عقل له - وفي رواية: يجمعها من لا عقل له - لا صحيحها سالم ولا نعيمها دائم، فقال جبريل: تبارك الله رب العالمين أتاني إسرافيل عن الله عز وجل بهذا الكلام فإن لم ترد الدنيا يا محمد فإن الله تعالى معطيك في الجنة قبة عرضها ثلاثمائة عام قد حفتها رياح الكرامة لا يدخلها إلا من أكثر الصلاة عليك».

وَكَتَبَ لِي عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ وَبَلَّغَنِي الْكَرَامَةَ مِنْ عِنْدِكَ

لما طلب من الله أن يهبه اليقين الصادق الذي تهون بسببه مصائب الدنيا وينشأ عنه الشوق إلى الله والرغبة فيما عنده طلب منه أيضاً أن يكتب له المغفرة لجميع الذنوب الكبائر والصغائر وأن يبلغه الكرامة التي عنده ولا كرامة أعظم وألذ وأشهى من رؤية الله والنظر إلى وجهه الكريم من الله علينا بها في الجنة مع الأحبة وجميع المسلمين.

وَأَوْزَعَنِي شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ

أي: وألهمني الشكر على ما أنعمت به علي من النعم العظيمة والخيرات الجسيمة ومن أعظمها نعمة الإيمان والإسلام والإقرار بتوحيد باري الأنام واتباع سنة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

فإنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت

صرح بالإقرار لله بالوحدانية وأظهر اسم الجلالة بعدما قدرها في قوله أنت تلذذاً بذكره فإن هذا الاسم الشريف لا يزيد تكراره إلا حلاوة ولا أحلى على القلب والسمع واللسان منه .

أعدد ذكره إن القلوب تحبه وفي ذكره قوت لها وشفاء قوله : الذي لا إله إلا أنت ، قال في جواهر المعاني : اعلم أن الإله في لغة العرب هو المعبود بالحق وأطلقوها على غيره غلطاً منهم قال جل من قائل : الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، معناه لا معبود بالحق إلا هو والإله الذي قلنا أنه هو المعبود هو المتحقق فرتبة الألوهية وهو الذي خضع له كل الوجود كله بالعبادة والتذلل والخمود تحت قهره والتصاغر لعظمته وكبريائه وليس في الوجود شيء يشذ عن هذا قاصية ودانية فهو إله الحق الذي قهر جميع الموجودات بسطوته وقهره وانفراده بعظمته وكبريائه وعلوه وجلاله وقوله .

الواحد الأحد

صفتان لاسم الجلالة ومعنى الواحد المنفرد بالذات لا شريك له والأحد معناه المنفرد بالصفات لا مشارك له واعلم أن في جامع الأضول ثبوت لفظ الأحد بعد الواحد كما هنا وليس الأحد ثابتاً في جامع الترمذي وعلى كل حال فمعناهما أنه تعالى واحد من حيث إنه منزّه عن التركيب والمقادير لا يقبل التجزئة والانقسام أحد من حيث إنه متعال عن أن يكون له مثل فيتطرق إلى ذاته التعدد والاشتراك وقيل معناهما المنفرد بإيجاد المعدومات المتوحد بإظهار المخفيات .

الرفيع البديع

صفتان أيضاً لاسم الجلالة والرفيع ضد الوضيع وحظ العبد منه أن يرفع الحق ويوالي أوليائه فيرفعهم والبديع هو الذي لا مثل له في ذاته ولا نظير له في صفاته وقيل معناه الذي أظهر عجائب صنعه وأظهر غرائب حكمته وقيل الذي يفعل على غير مثال سابق وقيل معناه الخالق ابتداءً وهو المبدع وقال الشناوي : معنى البديع الآتي بما لم يسبق إليه يقرؤه أحد وأربعين مرة ثم يسجد ويطلب حاجته وهذا الاسم هو الكبريت الأحمر اهـ .

المُبْدِيءُ الْمُعِيدُ

صفتان أيضاً لاسم الجلالة فمعنى المبدىء الفاطر وهو الخالق ابتداءً والمعيد الخالق ثانياً فهما إشارة إلى النشاطين الأولى والآخرة وحظ العبد منهما استعمال حقائق الإيمان بالبعث فيما ينفع بعد الموت، وقال الشناوي: معنى المبدىء المظهر للشيء من العدم إلى الوجود وهو بمعنى الخالق للشيء.

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

صفتان أيضاً لاسم الجلالة قال في المقدمات السمع الأولى: صفة ينكشف بها كل موجود على ما هو به انكشافاً يباين سواه ضرورة وقيل معناه أنه تعالى يسمع دعوات عباده وتضرعهم إليه ولا يشغله نداء عن نداء ولا تمنعه إجابة دعاء عن إجابة دعاء وقيل هو الذي أجاب دعوتك عند الاضطرار وكشف محنتك عند الافتقار وغفر زلتك عند الاستغفار وقبل معذرتك عند الاعتذار ورحم ضعفك عند الذلة والانكسار وقيل هو الذي يسمع المناجاة ويقبل الطاعات ويقبل العثرات والعليم معناه البالغ في العلم وعلمه تعالى شامل لجميع المعلومات بها متعلق بقديمها وحادثها وهو من صفات الذات وقيل الذي لا تخفى عليه خافية ولا تعزب عن علمه قاصية ولا دانية قال الرازي وغيره اجتمعت الأمة على أنه لا يجوز أن يقال لله يا معلم وهذا من أقوى الدلائل على أن أسماء الله توفيقية لا قياسية اهـ.

الَّذِي لَيْسَ لِأَمْرِكَ مَدْفَعٌ وَلَا عَنْ قَضَائِكَ مُمْتَنِعٌ

هذا أيضاً من صفات الله تعالى الذي يجب اعتقاده وهو القضاء والقدر، قال جسوس في شرح عقائد المرشد: والإيمان بالقدر والتصديق بأن علمه تعالى وإرادته قد تعلقا في الأزل بجميع الكائنات على ما هي عليه فيما لا يزال فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فكل محدث خيراً كان أو شراً صادر عن علمه وقدرته وإرادته وقد بسط القول في مسألة القدر بقسميها في الرسالة فقال: والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقاديره الأمور بيده ومصدرها عن قضائه علم كل شيء قبل كونه يجري على قدره ولا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد، تعالى

أن يكون لأحد عنه غنى أو يكون خالق الشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم اهـ. منه، قال جسوس في شرحه: وعليها مراد المؤلف أن كل واحد مسوق إلى ما أراده الله سبحانه وما أحسن قول أبي عمرو الزاهد:

إذا أراد الله أمر بالفتى
أذهب عنه سمعه وعقله
وحيله يفعلها في دفع ما
حتى إذا أنفذ فيه حكمه
فلا تقل لما جرى كيف جرى
فالعبد وإن كان يحس من نفسه الاختيار فهو في الحقيقة مسوق بزمام القدرة إلى ما سبق له أولاً في علم الفاعل المختار اهـ.

وأشهد أنك ربي ورب كل شيء

أي: وأقر بربوبيتك لكل مخلوق إذ من لازم المخلوق أن يكون له خالقاً وليس ثم إلا الله تبارك وتعالى واعلم أن أهل الإيمان قسمان: عامة وخاصة، وإن شئت قلت أهل دليل وبرهان، وأهل شهود وعيان، أما أهل الدليل فيستدلون بالأثر على المؤثر وأما أهل الشهود فألاح الحق تعالى لهم من نوره ما لم يحتاجوا معه إلى تأمل دليل اهـ. قال الشيخ أبو الحسن: إنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان، والإيقان فأغنانا ذلك من إقامة الدليل والبرهان. وقال أبو بكر رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ

قوله: فاطر السموات والأرض يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وأصل الفطر الشق فطر ناب البعير إذا شق وظهر وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه وفي الإحياء تكاد فطرة النفوس تشهد، بكونها مقهورة تحت تسخيرها ومصرفه بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠٠] ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله ثم قال: ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] وقال: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] اهـ بح، وقوله: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما

يشاهدونه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود، وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس، وقوله العلي أي البالغ في علو الرتب إلى ما لا نهاية له من رتب الكمال والذي علا عن أن تدرك الخلق ذاته وعن أن يتصور صفاته بالكنه والحقيقة، والكبير أي العظيم الذي يصغر كل كبير، بالإضافة إلى عظمته وكبريائه فهو يعود إلى معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال والمتعالي المتمتزة عن صفات النقص المتعالي عن صفات الخلق. وفيه دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وميزه عن جميع النقائص اهـ. قال الخازن: قال الشناوي: وإذا وصل إلى الكبير المتعال يقرأ مرة: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ أَلَمِيكَاد﴾ [آل عمران: ٩] إحدى وعشرين مرة ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] الآية لدفع العدو ويكرر من قوله فإنك أنت الله إلى المتعالي أربعين مرة ثم يقرأ مرة ويسجد فأى حاجة طلب حصلت اهـ.

اللَّهُمَّ أَنِي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ

المراد بالأمر: اليقين الصادق والأعمال الصالحة، والمراد بالثبات: الدوام، قال الشناوي: والمراد بالثبات في الأمر الدوام على الدين ولزوم الاستقامة قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل».

وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ

العزيمة: القصد إلى الشيء يقال عزم على الشيء عقد ضميره على فعله والرشد. قال في المصباح: الصلاح وهو خلاف الغي والضلال، وهو إصابة الصواب اهـ. وقال العريزي: عزيمة الرشيد حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه.

وَالشُّكْرَ عَلَى نِعْمِكَ

الشكر على النعم واجب وأعظم الشكر هو أن لا يعصى الله بنعمة قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ويجب على المؤمن أن يعتقد أن كل نعمة من الله» ولذلك قال سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مناجاته: «إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف أشكرك؟ فقال الله عز وجل: علم أن كل ذلك مني، فكانت معرفته شكراً اهـ. ذكره الغزالي في الإحياء.

وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ

حسن العبادة هو إيقاعها على الوجه الحسن وذلك باستيفاء شروطها وأركانها ومستحباتها والمحافظة على أدائها في أوقاتها.

وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كُلِّ مَا تَعَلَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا تَعَلَّمَ

سأل من الله أن يمنحه من كل خير واستعاذ به أن يدفع عنه كل شر، وهذا من جوامع كلمه ﷺ، أخرج الترمذي والنسائي عن شداد بن أوس: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك لساناً صادقاً وقلباً سليماً، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب»، ذكره السيوطي في الجامع الصغير.

وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا تَعَلَّمَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

أي: أطلب مغفرتك لكل ذنب أنت عالم به منا فلا تؤاخذنا به وقوله: إنك أنت علام الغيوب، يعني أنك تعلم ما كان وما سيكون أي من الأشياء الخفية.

وَأَسْأَلُكَ أَمْنًا

أي: وأطلب منك يا رب أن تؤمنني من عذاب الدنيا وخزي الآخرة ومن الفرع الأكبر ومن عذاب النار.

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوْرِ كُلِّ جَائِرٍ

أي: وأستعيذ بك يا رب من ظلم كل ظالم يقال جار في حكمه يجور جوراً ظلم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أي الجائرون ﴿فَكَانُوا لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]، حكى أن الحجاج لما أحضر بين يديه سعيد بن جبير قال له: ما تقول في قال قاسط عادل فأعجب الحاضرين، فقال لهم الحجاج: ويحكم لم تفهموا جعلني جائراً كافراً ألم تسمعوا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: ١٥] إلخ، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

وَمَمَكِرٍ كُلِّ مَآكِرٍ

أي: أستعيذ بك يا رب من خدع كل مخادع، يقال: مكر مكرأ خدع، قال تعالى:

﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ۳۰] يعني يحتالون ويدبرون في أمرك ويمكر الله أي يجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكرراً لأنه في مقابلته.

وَوَظَلَمَ كُلَّ ظَالِمٍ

أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه والظلم حرام كتاباً وسنة وإجماعاً قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ۲۲۹] وقال ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الشعراء: ۲۲۷] أي منقلب ينقلبون وقال ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة» وفي بعض الكتب المنزلة: «يقول الله تعالى: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناضراً غيري» وقال ابن مسعود: لما كشف الله تعالى العذاب عن قوم يونس ترادوا المظالم حتى إن كان الرجل لا يقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه، وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب يا معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فإنهم إذا ذكروني ذكرتهم برحمتي وإذا ذكروني ذكرتكم بلعنتي، وقال أبو أمامة يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى يأخذوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا حسنات حملوا عليهم سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الأسفل من النار. ويروى: «أن يونس عليه السلام لما نبذ بالعراء وأنبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوي إلى ظلها، فبيست فبكي عليها، فأوحى الله تعالى إليه: تبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم. وما أحسن قول بعضهم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرأً فالظلم مصدره يفضي إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم
وقال آخر:

إذا ما المظلوم استوطأ الأرض مركباً ولج غلوا في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الزمان فإنه سيبدي له ما لم يكن في حسابه
وقال بعضهم: لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء، وقال ﷺ: «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لخرّب». وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم حراماً فلا تظلموا». وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا أظلم الظلمة إن لم أنتصف للمظلوم من ظالمه يوم القيامة». وعنه ﷺ: «من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة» وفي هذا القدر كفاية لأن من لم ينفعه القليل لم ينتفع بالكثير.

وَسِخْرِ كُلِّ سَاحِرٍ

أي وأستعيذ بك يا رب من سحر ساحر والسحر بكسر السين . قال ابن فارس : إخراج الباطل في صورة الحق ويقال : هو الخديعة ، قاله في المصباح ، قال في الخازن : حاصل السحر تمويه وتخيل وصاحبه لا يفلح أبداً اهـ ، وهو حرام قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُهُ بِالسِّحْرِ إِنَّا اللَّهُ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٨١] وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه : ٦٩] .

وَبَغْيِ كُلِّ بَاغٍ

البغي : ظلم ، قال في المصباح : بغى على الناس بغياً : ظلم واعتدى ، فهو باغ والجمع بغاة وبغى سعى بالفساد ومنه الفرقة الباغية لأنها عدلت عن القصد وهو أيضا حرام كالذي قبله .

وَحَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ

يعني : أن الذاكر استعاذ أيضا بالله من حسد الحساد ولا دواء للمحسود إلا التعوذ منه بالله المأمور به مع الصبر على ما يرى ويسمع وبذلك ينعكس الحال والبلاء على الحاسد فيموت غماً ويمتلىء غيظاً وكمداً كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١١٩] وينبغي للمؤمن أن يداري نفسه من هذه العلة الخبيثة فإن الحسود لا يسود وقال ﷺ : «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ، ويقال ثلاثة لا يهنا لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق» ، وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك فقال لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الحرفة ، فذكر جميع دواعي الحسد وقال أعرابي الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وقال الشاعر :

ألا قل من بات لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه إذا أنت لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

وقال ﷺ : «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل» واعلم أن الحاسد مضر بنفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية سوء الأدب مع الله عز وجل باعتراض عليه في فعله كما مر الثالثة كثرة تألم قلبه وتضاعف غمه كما قيل :

دع الحسود وما يلقاه من كمده
إن لمت ذا حسد نفست كربته
وقال آخر:

إني لأرحم حاسدي لفرط ما
نظروا صنيع الله بي فعيونهم
لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجد لها حاسداً

فلو كان الرجل أقوم من القدح لما عدم غامزاً وقد قال الشاعر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم
خدام لي ولهم ما بي وما بهم
أه واعلم أن الحسود عدو لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته ومسالمته كما قيل:
كل العداوة قد ترجى مودتها
إلا عداوة من عاداك من حد

ومن ثم استمرت عداوة إبليس لأبينا آدم عليه السلام ولذريته، وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يقول: نعوذ بالله من كل قدر وافق إرادة حاسد، وقيل لعبد الله ابن عروة لم لزمتم البدو
وتركت قومك، قال: وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة، والحسد
معجون في طينة الآدمي ومبتلى به ولا يسلم منه إلا من طهره الله تعالى عن أصفياه وقليل
ما هم ولم يزل ذو الفضل محسوداً وكلما كثر الفضل كثر الحساد فوجود الحساد دليل
على وجود الفضل وعدمهم على عدمه فإذا قيل للشخص كثر الله حسادك كان دعاء له
وإذا قيل له قلل الله حسادك كان دعاء عليه وقال معن بن زائدة:

إني حسدت فزاد الله في حاسدي
لا يحسد المرء إلا من فضائله
ما عاش من عاش يوماً غير محسود
بالعلم والظروف أو بالبأس والجود

وقال معاوية رضي الله عنه: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن

يصل إلى المحسود وقال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت
سرورك، وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى:

أصبر على كيد الحسود
فالنار تاكل بعضها
د فإن صبرك قاتل
إن لم تجد ما تأكل
وقال آخر:

إذا ما شئت إرغام الأعداي بلا سيف يسيل ولا سنان
 فزد من مكرماتك فهي أعدى إلى الأعداء من نوب الزمان
 وربما كان الحسد منبهاً على فضل المحسود ونقص الحسود كما قال أبو تمام الطائي:
 وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
 لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
 لولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النعمى على المحسود
 وقال الشناوي: الحسد إرادة زوال النعمة على المسلم بما له فيه صلاح وإن انتفى
 الصلاح فغيره إن أراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة والحسد حرام بخلاف
 الغيرة والغبطة، ومنه الحديث: «لا حسد - أي غبطة - إلا في اثنين: رجل أتاه الله مالاً
 فسلطه على هلكته في الحق، ورجل تعلم علماً فهو يعلمه الناس»، أو كما قال، وقد
 قال سيدنا زكريا عليه السلام: «قال الله تعالى: الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض
 بالقسمة التي قسمت بين عبادي» اهـ.

لا تحسد الناس على نعمة وكن أخاً حلیم سليم الحشا
 فذاك فضل الله في خلقه والله يؤتى فضله من يشا
 ولتمسك العنان، عما جمع بنا فيه القلم واللسان، واستغفر الله العظيم، من كل ذنب
 ذميم، إنه غفور رحيم.

وَعَذْرُ كُلِّ غَادِرٍ

الغدر: نقض العهد وهو أيضاً حرام قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا
 تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ [النحل: ٩١] بعد توكيدها، ومنه قول بعضهم:
 إذا قلت في شيء نعم فأتمه فإن نعم دين على الحر واجب
 وإلا فقل لا تسترح وتريحنا لئلا يقول الناس إنك كاذب
 اهـ

وَكَيْدِ كُلِّ كَائِدٍ

الكيد: الخداع والمكر، يقال: كاده خدعه ومكر به، وهو أيضاً حرام ولا يتصف
 به المؤمن وقد عده الله تعالى من أوصاف شرار خلقه إبليس لعنه الله، فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ
 الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، ثم قال:

وَعَدَاوَةٌ كُلُّ عَدُوٍّ

العدو: ضد الصديق الموالي، ولا عداوة أعظم من عداوة الدين فبقدر محبة الله تعظم عداوة الكفار والمنافقين قال ﷺ: «الحب في الله والبغض في الله من الإيمان وكذلك بغض الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وكذلك النفس». قال عليه الصلاة والسلام: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» قال البوصيري رضي الله عنه في برده:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

وَطَعَنَ كُلُّ طَاعِنٍ

الطعن - بفتح الطاء وسكون العين - : مصدر طعن بفتحهما من باب قتل ومن باب لغة القدح والعيب طعناً وطعناً وهو طاعن وطعان في أعراض، قاله في المصباح، وإلى هذه اللغة أشار بعضهم بقوله:

طعن يطعن بفتح في نسب وفي الرماح ضم تتبع العرب

وَقَدَحَ كُلُّ قَادِحٍ

القدح - بفتح القاف وسكون الدال - : العيب والتنقص ومنه قدح في نسبه وعدالته إذا عيبه وذكر ما يؤثر في انقطاع النسب ورد الشهادة، قاله أيضاً في المصباح.

وَحَيْلٌ كُلُّ مُتَحَيِّلٍ

الحيل - بكسر الحاء وفتح الياء - : جمع حيلة وهي الخداع في تدبير الأمور، وهو تقلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود، وأصلها الواو، واعلم أن الحيلة إذا كانت على أمر جائزة شرعاً فهي جائزة وإن دبرها صاحبها ليتوصل بها إلى باطل أو دفع حق ترتب عليه أو أخذ ما ليس له فهي حرام، قالت الحكماء: الحازم يحتال للأمر الذي يخافه لعل أن لا يقع فيه فليس من القوة التورط في الهوة، ومن لم يتأمل العواقب بعين عقل لم يقع سيف حيلته إلا على مقابله وأنشد لتأبط شراً:

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الأمر إلا وهو للقصد مبصر
ويقال إذا اتسع لك المنهج فاحذر أن يضيق عليك المخرج، وقال الشاعر:

وإذا هممت ورود أمر فالتمس من قبل مورده طريق المخرج
آخر:

إياك والأمر الذي إن توسعت موارد ضاقت عليك الصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر
ويقال تفكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم فإنه من لم ينظر في العواقب فقد
تعرض لحادثات النوائب.

وَشَمَاتَةٌ كُلُّ شَامِتٍ

الشماتة: الفرح ببلية العدو، وبإبه سلم يقال: شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت
به والاسم الشماتة وأشمت الله به العدو وفي دلائل الخيرات وأعوذ بك من شماتة الأعداء.

وَكَشْحٌ كُلُّ كَاشِحٍ

الكشح: مثال فليس ما بين الخاصرة إلى الضلع الحلف، قال المرادي: والكاشح
الذي يطوي كشحه على العداوة، وقيل: الذي يتباعد عنك، قاله في المصباح، وقال في
المختار: والكاشح الذي يضمرك العداوة يقال: كشح له بالعداوة من باب قطع،
واعلم أن الذاكر استعاذ بالله من جميع هذه الخصال الرديئة والأوصاف الخسيصة نعوذ
بالله من البلية، وأهلها والتخلق بها ثم قال.

اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْقُرْنَاءِ

توسل إلى الله تعالى أن يرزقه صولة بعناية الله على جميع أعدائه، يقال: صال عليه
استطال، والأعداء: جمع عدو ولا عداوة أشد من عداوة من يخالفك في الدين، أو
ينتهك حرمة المسلمين، والقرناء - بضم القاف وفتح الراء -: جمع قرين وهو من
يمثلك في العلم أو الشجاعة أو السن أو غير ذلك من الأوصاف.

وَإِيَّاكَ أَرْجُو وَوَلَايَةَ الْأَحِبَّاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْقُرْبَاءِ

أي: لا أرجو إلا إياك يا رب في ولاية بكسر الواو أي نصرة الأحباء جمع حبيب
وهو الصديق الملاطف وهو قليل في هذا الزمان بل لا يكاد يوجد وإلى عدم وجوده
أشار القائل:

لما رأيت بني الزمان وما بهم خل وفي للشدائد اصطفى

أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي
ووصفه بعضهم بقوله:

أن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك

ووصفه بعضهم بقوله: هو الذي يكون معك لا سر مكتوم، ولا مال مقسوم، وهو في هذا الزمان معدوم، ولكن لا ينبغي ترك الإخوان ومجانبة الخلان، وإن فسد الزمان، قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقاء الإخوان جلاء لا أحزان، وقال خالد بن صفوان: إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وقال علي كرم الله وجهه لابنه الحسن: يا بني الغريب من ليس له حبيب، وقال ابن المعتز: من اتخذ إخوانا كانوا له أعواناً، وقال الأدباء: أفضل الذخائر أخ وفي، وقال بعض البلغاء: صديق مساعد عضد وساعد، وقال بعض الشعراء:

هموم رجال في أمور كثيرة وهمي من الدنيا صديق مساعد
تكون كروح بين جسمين قسمت فجسماهما جسمان والروح واحد

وينبغي أن يتوقى الإفراط في محبته فإن الإفراط داع إلى التقصير ولأن تكون الحال بينهما نامية أولى من أن تكون متناهية، روى ابن سيرين عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً، وقال أبو الأسود الدؤلي:

وكن معدناً للخير واصفح عن الأذى فإنك وراء ما علمت وسامع
وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مباين فإنك لا تدري متى أنت راجع

والأولياء: جمع ولي، وحقيقته كما في الجيش الكفيل هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن اللذات والشهوات، قاله في فرائض العوائد اه منه، والقرباء - بضم القاف وفتح الراء -: جمع قريب وهو الكامل في الولاية المقرب إلى الله تعالى ومرتبته فوق مرتبة الولي وهذا والله أعلم هو المعبر عنه بالغوث اه.

فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَا أَسْتَطِيعُ إِحْصَاءَهُ وَلَا تَعْدِيدَهُ مِنْ عَوَائِدِ فَضْلِكَ

حمداً لله تعالى على جميع النعم التي عليه ولا قدرة له على إحصائها وتعددتها العائدة عليه من الله فضلاً منه ومنه، فقوله: إحصاءه أي إطاقته وتعددته أي عدده وإلا هذا المعنى أشار من قال:

لو كل جارحة مني لها لغة نشني عليك بما أوليك من حسن
 لكان لأزاد من شكر شكرت به إليك أزيد في الإحسان والمنن
 وهذا مقتبس من قول النبي ﷺ لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك
 والعوائد جمع عائدة وهي معروفة سميت بذلك لأن صاحبها يعاودها أي يرجع إليها مرة
 بعد أخرى.

وَعَوَارِفِ رِزْقِكَ

عوارف: جمع عارف على غير قياس أي ما يعرفه الإنسان من الأرزاق التي من الله بها عليه.

وَأَلْوَانٍ مَا أَوْلَيْتَنِي بِهِ مِنْ إِزْفَادِكَ وَكَرَمِكَ

الألوان: جمع لون وهو النوع من كل ما أنعم الله به علينا من إمداده أي إعانته وتقويته لنا بالفضل منه والجود والكرم.

فَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

أقر الله تبارك وتعالى بالوحدانية كثيراً لذكره إذ بذكره يكثر الإيمان ويحصل الاطمئنان وقد كان معروف الكرخي رضي الله عنه كثير الإيمان في مجلسه عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فقام إليه رجل من أصحابه وقال: يا سيدي إذا كان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فعند ذكر الله ماذا ينزل، فغشي على الشيخ ساعة ثم أفاق عند ذكر الله تنزل الطمأنينة ألا بذكر الله تطمئن القلوب اهـ.

الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُكَ

قوله: الفاشي، أي الظاهر المنتشر وهو اسم فاعل، وحمدك هو: الفاعل، وفي الخلق: جار ومجرور يتعلق به، يعني: أن حمدك ظاهر ومنتشر وفاش في الخلق ظهور النهار ولا يبركه إلا من أزداد الله به الهلاك والبور من الكفار والفجار.

البَاسِطُ بِالْجُودِ يَدَكَ

يعني: أن الله تعالى بسط لخلقه النعم العظيمة وأمدهم بالمواهب الجميلة قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] والباسط اسم فاعل وفيه ضمير مستتر يعود على الله تعالى هو الفاعل ويدك مفعول به وبالجود جار ومجرور متعلق به واعلم أن الباسط الذي هو اسم من أسماء الله تعالى مشتق من البسط بمعنى التكسير والتوسيع يقال بسط الله الرزق كثره ووسعه.

لَا تُضَادُّ فِي حُكْمِكَ

أي: لا تنازع ولا تخالف في أحكامك النافذة في خلقك، الضد هو النضير والكفاء والجمع أضداد وقال أبو عمر: وال ضد مثل الشيء وال ضد خلافه قاله في المصباح.

وَلَا تُنَازِعُ فِي أَمْرِكَ وَسُلْطَانِكَ وَمُلْكِكَ

أي: لا تخالف في مأمورك أي ما تأمر به ولا تخالف أيضاً في سلطانك أي عظمتك وقهرك وملكك وعزتك.

وَلَا تُشَارِكُ فِي رُبُوبِيَّتِكَ

أي: ليس في الوجود أحد يعبد على الحقيقة ويدعى ربا حقيقة إلا الله تبارك وتعالى وهذا رد على من قال بالهين وعلى من قال بثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِكُ ثَلَاثَةً﴾ [المائدة: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١].

وَلَا تُزَاحِمُ فِي خَلْقِكَ

أي: لا يزاحمك ولا يضيق عليك أحد في خلقك بحيث يكون لهم رب يعبدونه حقيقة والازدحام في حق الله تعالى محال لأنه يستدعي الجسم والحلول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً والمراد به المشاركة له في التصرف في الخلق والمستحق للعبادة وهو منفي عند جميع أهل السنة.

تَمْلِكُ مِنَ الْأَنْامِ مَا تَشَاءُ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْكَ إِلَّا مَا تُرِيدُ

يعني: أنك مالك لجميع الخلائق وبيدك زمامهم وإليك قيادهم وهم لا يملكون

عندك إلا ما قدرته لهم وهذه إشارة إلى قوله ﷺ: «لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن ينفعوك بشيء لم يقدر لك ما قدروا ولو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يضروك بشيء لم يقدر لك ما قدروا».

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

يعني: أنه لا منعم ولا متفضل ولا معطي إلا الله سبحانه وتعالى والمنعم بكسر العين اسم فاعل من أنعم الله عليه جعله في نعمة واسعة والمتفضل اسم فاعل أيضاً من تفضل إذا أحسن بإسداء النعم تفضلاً وامتناناً.

الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ

هاتان صفتان أيضاً لاسم الجلالة ومعناها ذو القدرة ولكن المقتدر أكثر مبالغة لما في التاء من معنى التكلف والأكتساب فإن ذلك وإن امتنع في حقه تعالى حقيقة لكنه يفيد المعنى مبالغة ومن حقه لا يوصف بهما مطلقاً غير الله تعالى فإنه القادر بالذات والمقتدر على جميع الممكنات وما عداه ليس كذلك وحظ العبد منهما التبري من الحول والقوة إلا به وإياك نعبد وإياك نستعين لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الْقَاهِرُ الْمُقَدَّسُ بِالْمَجْدِ فِي نُورِ الْقُدْسِ

صفتان أيضاً لاسم الجلالة والقاهر الغالب لعباده وهم مقهورون تحت قدرته والقهار معناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغمر ويحزن ويغفر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لأنه القادر والقاهر الذي لا يعجزه شيء أراداه. قاله في الخازن وقوله المقدس أي المنزه عن النقائص وسمة الحدوث وقوله بالمجد متعلق به ومعناه الكرم والجود وقوله في نور القدس جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره كائن شبه قدسه تعالى بالنور والخلوص وأضيف المشبه به للمشبه على طريق، لجبن الماء، فالمعنى: أنت الكائن في القدس الذي هو كالنور المتصف به وإنما كرر هذه الصفة للتأكيد من التفنن في العبارة ويمكن أن يقال إن المعنى أنت المختفي بالكنه في الحجب النورانية المقدسة الغير المتناهية وعلى هذا فلا تكرار فيه ولقد ألهمني الله تعالى بفضله وكرمه هنا وجهاً آخر وهو أن المراد بنور القدس المرتبة الأحادية أعني الوجود المطلق إذ الظاهر في سائر مراتب الظهور كالنور والمقدس من سمات النقص

كالمعنى أن كنهك كائن في تلك المرتبة الأحادية لأن تلك المرتبة هي كنه الحق سبحانه وتعالى لا تنكشف ولا تحصل تلك المرتبة لأحد أبداً بل لا يعلمها إلا الله تعالى اهـ. قاله الشناوي، واعلم أن الله تعالى إذا أنزل أمراً استغاث إليه في ذلك الأمر الأولياء ثم الأبدال ثم النجباء ثم القرباء ثم الأقطاب فإن لم يجابوا رفعوا ذلك إلى الغوث فيدعوا فيستجاب دعاء الغوث لأنه هو مركز الأقطاب وهو من الذين وصفهم رسول الله ﷺ في حديث أويس القرني رضي الله عنه: «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره»، وفي رواية: «رُبَّ ذي طمرين لا يؤبه لو أقسم على الله لأبره»، أخرجه البزار عن ابن مسعود، وروي الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره».

تَرَدَّيْتُ بِالْمَجْدِ وَالْبِهَاءِ

أي: ترفعت بالكرم والجود والبهاء، أي العظمة والكبرياء أي لا مثل لك ولا نظير ولا كفاء في مجدك أي كرمك وبهائك أي عظمتك.

وَتَعَظَّمْتُ بِالْعِزَّةِ وَالْعِلَاءِ

يعني: أنك تعظمت أي اتصفت بالعظمة والعزة أي القوة والمنعة والعلاء بفتح العين ممدوداً مأخوذ من العلو والارتفاع.

وَتَأَزَّرْتُ بِالْعِزَّةِ وَالْكِبْرِيَاءِ

أي: وصفت نفسك بالعظمة والكبرياء يشير بهذا إلى ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار» وفي رواية: «فمن نازعني في ردائي قمصته»، وفي أخرى: «والعز إزاري فمن نازعني في شيء منهما عذبتة». اهـ.

تنبيه: شبه العز والعلاء بالرداء والعظمة والكبرياء بالإزار على طريق الاستعارة بالكناية ووجهة الشمول على الوجه الأكمل والاختفاء على الوجه الأتم وإثبات التردي والتأزر استعارة تخيلية فإن قلت ما معنى كون وجه شبه الشمول على الوجه الأكمل والاختفاء على الوجه الأتم.

قلت: أما الأول: فمعناه أنه كما أن الرداء والإزار شاملان لصاحبهما على الوجه الأكمل إذا غطه تمام البدن بهما كذلك العظمة والعلاء شاملان له تعالى على الوجه الأكمل بمعنى

أنهما ثان له تعالى من جميع الوجوه في ذاته وصفاته كلها . وأما الثاني : فمعناه أنه كما أن صاحب الرداء والإزار يختفي لونا وبدناً عن غيره على الوجه الأتم بواسطة الرداء والإزار إذا أحاط به كذلك الحق سبحانه وتعالى مختلف من حيث الكنه عن الخلق على الوجه الأتم بواسطة كمال العظمة والعلاء إذ بكمال العظمة والمهابة والعلاء لا يقدر الخلق على أن ينظروا ويعلموا ويبلغوا إلى كنهه تعالى ، اه قاله الشناوي .

فائدة: يحرم على المؤمن الصادق أن يتصف بصفة من هذه الأوصاف لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وقال عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣] وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] ، وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » . وقال ﷺ : « بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى ، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبد غفل وسهى ونسي المقابر والبلى ، بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبتدأ والمنتهى » ، وقال ﷺ : « إن في النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم » ، وقال ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من نفحة الكبرياء » ، وقال : « من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة : الكبر ، والدين ، والغلول » ، ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز ، فقال : يا عبد الله هذه مشية تبغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفني؟ بلى أعرفك أو لك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة ، فمضى المهلب وترك مشيته ، وأنشدوا في المعنى :

عجبت من معجب بصورته	وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن هيئته	يصير في القبر جيفة قذرة
وهو على تيسه ونخوته	ما بين ثوبيه يحمل العذرة

قال الغزالي في كتابه مكاشفة القلوب إلى حضرة علام الغيوب ، وقال الأحنف بن قيس : عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف بعض الشعراء الإنسان فقال :

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته انظر خلاك فإن النتن تشريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شياً ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة وهو بخمس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك والعين مرمصة والشعر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا اقصر فإنك مأكول ومشروب اهـ

وتغشيت بالنور والضياء

أي: تجللت وترفعت بحجاب النور وضيائه شبه اختفاء كنه ذاته تعالى بالتغشي واستعير فعل التغشي لفعل الاختفاء على طريق الاستعارة التبعية فالمعنى اختفى كنه ذاتك الحجب النورانية لأن تلك الحجب غير متناهية لا يمكن قطعها فيكون الكنه ممتنع الحصول محال الظفر وإنما كانت الحجب غير متناهية لأن تعينات وجوده تعالى الكامنة في جميع مراتب الظهور الإلهية والكامنة والكلية الجزئية غير متناهية وكل تعين منها حجاب بين كنه الذات قاله الشناوي اهـ.

وتجللت بالمهابة والبهاء

قوله: تجللت أي تعظمت وجللا الله عظمته، والمهابة، مصدر هابه، قال ابن فارس: الهيبة الإجلال، قاله في المصباح، والبهاء: العظمة والكبرياء.

لك المن القديم

يعني: لك المن القديم على جميع المخلوقات ليس مختصاً بالحال بل من حين وهبتهم الوجود إلى هذا الإيمان بل وقبل الوجود أما كون المن من حيث الوجود إلى هذا الإيمان فظاهر، وأما كونه قبل الوجود فلأنه تعالى قدر في حق العبد ما قدر من المواهب والعطايا تقديراً أزلياً وجعله قبل وجوده مستعداً لنعمة الوجود وما يتبعهما من الفضائل السنية وهذا محض مئة مئة على العبد قبل وجوده.

والسلطان الشامخ

يعني: أن الله تبارك وتعالى له الولاية التامة والمجد العالي وسلطانه وعظمته لا يتصف بها مخلوق.

فقل لملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهذي

وَالْمَلِكُ الْبَاذِخُ

اعلم أن ملك الله تعالى لا يقدر أحد على وصفه فضلاً أن يتصف به قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] يعني أنه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي وقبل هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، اهـ قاله في الخازن. فإن قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها، قلت لأن ملك الأملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا أمر يومئذ إلا الله تعالى كما قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الرحمن: ٢٦] وقال: ﴿الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] اهـ. وقوله الباذخ بالذال المعجمة أي العالي المرتفع الذي لا يتناهى.

وَالْجُودُ الْوَاسِعُ

أي: الكرم الذي وسع العباد وأمدهم بنيل كل مطلوب ومراد، فقوله: الواسع نعت للوجود وهو صفة لله تعالى وهو من أسماء الله الحسنى، قال الشبراوي: معناه الواسع في علمه فلا يجهل والواسع في قدرته فلا يعجز والذي لا يعزب عنه أثر الخواطر في الضمائر أو الذي أفضاله شامل ونواله كامل والذي لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه وحظ العبد منه سعة صدره وحلمه عند السؤال.

وَالْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ

قدرة الله صفة أزلية يحصل بها التمكن من الفعل بلا واسطة ولا معالجة ولا تعارض من المقدور ولا تراخ ولا توقف على وفق الإرادة قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَنَجْدَةً﴾ [القمر: ٥٠] أي كلمة واحدة كلمح البصر في الإسراع فلهذا توصف قدرة الله بالكمال اهـ.

وَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ

المراد بالحكمة: الإصابة في القول والفعل، وقوله: البالغة أي التامة النافذة.

وَالْعِزَّةُ الشَّامِلَةُ

أي: الغلبة والقدرة وفيه إشارة إلى كمال القدرة وأنه القادر على جميع الحوادث ولهذا وصفت بالشاملة أي التي عمت كل مخلوق وحادث.

فَلَاكُ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَعَلْتَنِي مِنْ أُمَّةٍ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ

إنما حمد الله تعالى على هذه النعمة العظيمة وهي كونه من هذه الأمة الشريفة لأن أمة نبينا محمد ﷺ خير الأمم كلها كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وعن فهر بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى». أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. وروى البخاري عن أبي هريرة ربه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي» قالوا: من يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي» أو قال: «أمة محمد ﷺ على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ في النار». أخرجه الترمذي وأخرج أبو داود عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل». وأخرج الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أمتي كمثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله». وأخرج أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم» وأخرج أيضاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثاً ثم إنهم يتضاغظون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول». زاد غيره في الحديث: «وهم شركاء الناس في سائر الأبواب»، وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من أمتي من يشفع في الفئاد من الناس، ومنهم من يشفع في القبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد». وأخرج البخاري عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً وسبعمائة ألف سباطين متماسكين أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر». وأخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي». وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي». قال الشناوي: ينبغي للطالب أن يدعو عند هذا القول هكذا: إلهي بحرمة النبي ﷺ ثبتني على ما جعلتني من أمة سيدنا محمد ﷺ اهـ.

وَهُوَ أَفْضَلُ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يعني: أن نبينا ومولانا رسول الله ﷺ أفضل من جميع المخلوقات على الإطلاق فهو أفضل من الأنبياء والملائكة على التحقيق خلافاً للزمخشري في كشافه.

نبينا أفضل بالإطباق
وانعقد الاجماع أن المصطفى
وما انتحى الكشاف في التكوير
فاق الأنام خلقا وخلقاً
محمد بشر لا كالبشر
قال الشعراني في طبقاته الكبرى نقلاً عن أبي المواهب الشاذلي رحمته الله: أنه كان يقول قلت في مجلس: محمد بشر أخ البيت فرأيت النبي رحمته الله فقال لي: «قد غفر الله لك ولكل من قالها معك». وكان رحمته الله لم يزل يقولها في كل مجلس إلى أن مات، اهـ منها.

الَّذِينَ كَرَّمْتَهُمْ وَحَمَلْتَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْتَهُمْ

مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْتَهُمْ عَلَن كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِكَ تَفْضِيلاً

يعني: أن الله تبارك وتعالى أكرم بني آدم على غيرهم من المخلوقات، قال ابن عباس: هو أنهم يأكلون بالأيدي وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض وبالعقل وبالنطق والتميز والحفظ والفهم واعتدال القامة وامتدادها وحسن الصورة وتسليطهم على جميع ما في الأرض وتسخيرها لهم وتدبير أمر المعاش والمعاد وأن منهم خير أمة أخرجت للناس قوله وحملتهم في الرأي على الإبل والخيل والدواب والحمير وقوله والبحر أي وحملتهم في البحر على السفن ورزقتهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل إن جميع الأغذية إما نباتية وإما حيوانية ولا يتغذى الإنسان إلا بالطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الإنسان وقوله وفضلتهم يعني في أنفسهم بإحسان الشكل وفي صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين وأكد الفعل بالمصدر وهو تفضيلاً إشارة إلى استغراقهم في الفضيلة، قال البيضاوي: والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفصيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر، اهـ وقد أطلوا البحث فيه أهل التفاسير ولا قدرة لنا على الخوض في ذلك والله الفتح العليم.

وَخَلَقْتَنِي سَمِيعاً بَصِيراً

هذا أيضاً من النعم التي يجب الحمد عليها وهو نعمة السمع والبصر فيجب على كل مؤمن شكرهما فشكر العينين أن يستر كل عيب يراه ويغضهما عن كل قبيح وشكر نعمة الأذنين أن لا يسمع حراماً وأن يستر كل عيب يسمعه من غيبة ونميمة وغير ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «مستمع الغيبة أحد المغتابين فالمستمع شريك» القائل كما قيل:

فسامع الذم شريك له ومطعم الأكل كالأكل
وقيل:

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائه فانتبه

ومن كلام العلماء في غض البصر: من أرسل طرفه اقتض حتفه. العين سبب الحين. وقال سيدنا عيسى عليه السلام: إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها فتنة، رب حرب أثارها لفظة، ورب صباية غرستها لحظة. وقالوا: «نحت الجبال بالأظافر أيسر من إزالة الهوى إذا تمكن من كثرت لحظاته دامت حسراته والعين سهم إبليس القديم الذي إذا ضرب به لم يخط فمن أراد صون قلبه عن الخواطر الردية لم ينظر إلى المستحسنات لأن النظر إليها يوجب تفرقة القلب فتقسم بحسبها وتكثر أشغاله» وقد قال سيدنا علي عليه السلام: من لم يملك بصره فليس لقلبه عنده قيمة وأنشدوا:

وإنك إن أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليك ولا عن بعضه أنت صابر
ومما ينسب للإمام الشافعي عليه السلام:

تمتعتما يا ناظري بنظرة وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيني كفا فؤادي فإنه من البغي سعى اثنين في قتل واحد

قال بعض الصالحين: عاهدت الله تعالى أن لا أنظر إلى حسان الوجوه فبينما أنا أطوف حول البيت فإذا بامرأة حسناء فتأملتها وعجبت من حسنها وجمالها فإذا بسهم وقع من الهواء فأصاب عيني فإذا على السهم مكتوب نظرت بعين العبرة فرميناك بسهم الأدب، ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة، اهـ قاله جسوس في شرح تصوف المرشد.

صَحِيحاً سَوِيّاً سَالِماً مُعَافاً

هذا أيضاً من النعم العظيمة يجب عليها الشكر وهي : صحة البدن التي واستواؤه وسلامته وعافيته، قال عليه الصلاة والسلام : «إذا سألتُم الله فاسألوه العافية» والمراد بالاستواء اعتدال الأعضاء في أحسن صورة.

وَلَمْ تَشْغَلْنِي بِنُقْصَانٍ فِي بَدَنِي عَنْ طَاعَتِكَ

يعني : أنه يجب على الذاكر أن يتفطن في حال ذكره لهذه النعمة وهي أن الله تعالى لم يشغله عن طاعته بنقصان في بدنه أو دينه قال ابن عطاء الله في حكمته متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك وفي هذا المعنى قيل :

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب من فيض جودك ما ألهمتني الطلب
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال :
«من أذن له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما يسأل الله شيئاً قط أحب إليه من أن يسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة». وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة». قال الشيخ أبو الخفاف رحمته الله وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء اهـ، ذكره ابن عباد رحمه الله تعالى.

وَلَا بَآفَةٍ فِي جَوَارِحِي

الآفة : عرض يفسد ما يصيبه وهي العاهة، قال في المصباح : فإذا أصيبت بها الجوارح تمنع صاحبها كمال الحركة ومن كل ما يريد فعله.

وَلَا عَاهَةٍ فِي نَفْسِي وَلَا فِي عَقْلِي

العاهة : هي الآفة فإذا أصابت النفس منعها مما تريد أو العقل أبطلت تدبيره.

وَلَا تَمْنَعْنِي كِرَامَتِكَ إِثَائِي

يعني : أنك أكرمتني إكراماً لا أستحقه بل وهبته لي تفضلاً وامتناناً منك علي فقوله : تمنعني، بفتح التاء والنون الأولى مضارع منع من باب قطع والنون للوقاية وفيه ضمير مستتر هو الفاعل وكرامتك مفعول به.

وَحُسْنُ صَنِيعِكَ عِنْدِي

الواو : حرف عطف، وحسن : معطوف على كرامتك وهو مضاف، وصنيعك : مضاف إليه، والمعنى : أنك لم تمنعني أيضاً حسن صنيعك أي خيرك وإحسانك الذي هو كامن عندي.

وَفَضَّلَ مَنَائِحَكَ لَدَيَّ

معطوف عليه أيضاً والمنايح جمع منحة أي العطية الحسنة ولديّ بمعنى عندي أي الكائنة عندي.

وَنِعْمَائِكَ عَلَيَّ

معطوف على منائحك والنعماء بفتح النون وسكون العين جمع نعمة بكسر النون وقوله عليّ جار ومجرور ومتعلق بمحذوف أي الكائنة المستقرة الثابتة عليّ.

أَنْتَ الَّذِي أَوْسَعْتَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا رِزْقًا

ضمير أنت يعود على الله تبارك وتعالى وقوله: أوسعت أي بسطت عليّ في الدنيا الرزق وكثرته، واعلم أن رزق الأشباح هو القوت ورزق الأرواح هو الذكر وتلاوة القرآن والصلاة على سيد ولد عدنان ﷺ وعلى آله في كل وقت وزمان.

وَفَضَّلْتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا تَفْضِيلًا

يعني أنك فضلتني على كثير من خلقك من أهل الدنيا بأمور عديدة وخصال جميلة تفضلاً منك وامتناناً وكرماً وجوداً وإحساناً، فمن الأمور التي فضله الله بها قوله:

فَجَعَلْتَ لِي سَمْعًا يَسْمَعُ آيَاتِكَ

من أعظم النعم على الإنسان نعمة السمع وصرفه لاستماع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيه ثواب جزيل، قال ﷺ: «القارئ والمستمع شريكان في الأجر» وأخرج الديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا من اشتاق إلى الله فليسمع كلام الله مثل القرآن كمثله جراب مسك أي وقت فتحته فاح ريحه». وأخرج أبو الشيخ الديلمي عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لسمع آية من كتاب الله أعظم أجراً من صبرة ذهباً يتصدق بها ولقراءة آية من كتاب الله أفضل من كل شيء دون العرش» وفي رواية، عن أبي هريرة: «من تلا آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة ومن استمع لآية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة». كذا في الإكمال اهـ قاله العلامة النازلي في خزينة الأسرار الكبرى.

وَعَقْلًا يَفْهَمُ إِيْمَانَكَ

اعلم أن العقل يشترك بين معانٍ مختلفة، من جملتها معنيان: أحدهما أنه يطلق

ويراد به العلم بالحقائق فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب وهذا هو المشهور وإليه أشار ابن زكريا التلمساني في محصل المقاصد بقوله:

محله القلب على المشهور الوحي وهو مذهب الجمهور
وفي الدماغ قال جل الحكماء بقولهم قد قال بعض العلماء
دليله الذي أتى في الأعراف وسورة الحج معاً وفي قاف
فقوله يفهم إيمانك لا يفهم الإيمان إلا بالعقل قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾

[الأعراف: ١٧٩] وهذا هو الذي مدحه الناس كثيراً فما قيل في مدحه:

ما وهب الله لامرئ هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقد ففقدته للحياة أليق به
وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروءته خلقه،
وقال الحسن البصري: ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما. وقال بعض
الحكماء: العقل أفضل مرجو والجهل أنكى عدو، وقال بعض الأدباء: صديق كل
امرئ عقله وعدوه جهله، وقال بعض البلغاء: خير المواهب والعقل وشر المصائب
الجهل.

وقال بعض الشعراء وهو ابن حسان:

يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله وإن كرمت أعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه على العقل يجري علمه وتجاربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الأشياء شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ويرحم الله إمام صالح بن عبد القدوس حيث يقول:

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أمانيه وتم بناؤه
وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل
العقل وواحدة لسائر الناس». وروى البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لكل شيء
وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالحجة الواضحة
وأفضلهم عقلاً». وقال بزرجمهر: الإنسان صورة فيها عقل فإن أخطأه العقل ولزمته
الصورة فليس بإنسان قال المتنبي:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان
وقالت عائشة رضي الله عنها: أفلح من جعل الله له عقلاً، وقال الأصمعي: لو
صور العقل لأضاء معه الليل ولو صور الجهل لأظلم معه النهار وقال رسول الله ﷺ:
«لكل داء دواء ودواء القلب العقل، ولكل حرث بذر وبذر الآخرة العقل، ولكل شيء
فسطاط وفسطاط الأبرار العقل» ويقال: العقل زبر رشيد وظهير سعيد من أطاعه نجاه
ومن عصاه أراحه وقال بعضهم يصف العقل:

الله در العقل من رائد
وحاكم يقضي على غائب
وإن شاء في بعض أحواله
فذو قوى قد خصه ربه
آخر:

وصاحب في العسر واليسر
قضية الشاهد للأمر
أن يفصل الخير من الشر
بخالص التقديس والطهر

العقل حلة فخر من تسربلها
والعقل أفضل ما الناس كلهم
آخر:

يعد رفيع القوم من كان عاقلاً
وإن حل أرضاً عاش فيها بعقله
وقال طاوس: ما قلادة نظمت من در ياقوت بأزين لصاحبها من العقل، ولو ناصح
المرء عقله لأراه ما يزينه مما يشينه فالمغبون من أخطأ حظه من العقل إلى غير ذلك مما
مدح به العقل وفيما ذكر كفاية والثاني أنه قد يطلق ويراد به تلك اللطيفة الربانية.

وَبَصْرًا يَرَى قُدْرَتَكَ

أي: أثر قدرتك يعني أن الذاكر حمد الله تعالى على هذه النعمة العظيمة وهي نعمة
البصر ويجب على المؤمن أن لا يصرفه إلا فيما أباح الله له النظر فيه وأن ينظر قدرة الله
تعالى ويعتبر بذلك قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

وَفُؤَادًا يَغْرِفُ عَظْمَتَكَ وَقَلْبًا يَغْتَقِدُ تَوْحِيدَكَ

اعلم أن القلب والفؤاد لفظان مترادفان يطلقان على معنيين على اللحم الصنوبري
الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر، والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية

لها بهذا القلب الجسماني تعلق وهو حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب المطالب المعاتب، واعلم أنه يجب على العبد المؤمن الصادق أن لا يصرف هذه الجارحة إلا فيما أحل بأن لا يعقد في قلبه حقداً على مؤمن ولا حسداً ولا عداوة ولا خديعة ولا مكرراً وأن يعتبر في آيات الله ويتفكر فيها قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] قال ﷺ: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وعن النبي عليه الصلاة والسلام: «بيننا رجل مستلق على فراشه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له» وقال عليه السلام: «لا عبادة كالتفكير».

فَإِنِّي لِفَضْلِكَ عَلَيَّ شَاهِدٌ حَامِدٌ شَاكِرٌ

إنَّ: حرف تأكيد ونصب والياء هو اسمها، وقوله: شاهد وحامد وشاكر خبرها ولفضلك يتعلق به وعليّ يتعلق بفضلك، والمعنى: إني شاهد لفضلك عليّ وحامد وشاكر عليّ ما أسديت إليّ من مواهب منك وجميل إحسانك وكرمض.

وَلَكِ نَفْسِي شَاكِرَةٌ وَبِحَقِّكَ عَلَيَّ شَاهِدَةٌ

اعلم أن النفس مشترك بين معان مختلفة، من جملتها معنيان:

أحدهما: الأصل الجامع للصفات المذمومة وهي المشار إليها بقوله ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك». والمعنى الثاني: هو تلك اللطيفة الربانية والمراد بها هنا تلك اللطيفة الروحانية إذ هو العارف والفاهم والمعتقد والشاكر، قاله الشناوي، قال في الحكم العطائية: أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها، قال شارحه ابن عبادة رضي الله عنه: فإذا لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضى عنها ويقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه، قال أبو حفص رضي الله عنه: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكتها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما أبرى نفسي، وقال أيضاً أبو حفص: منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلى نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك، وقال الجنيد رضي الله عنه: لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال أبو

سليمان الداراني رضي الله عنه: ما رضيت عن نفسي طرفة عين اه باختصار ويرحم الله الشاعر:
 لم أرض عن نفسي مخافة سخطها ورضى الفتى عن نفسه إغضابها
 ولو أنني عنها رضيت لقصرت عما تزيد بمثله آدابها
 وتبينت آثار ذاك فأكثرت عذلي عليه فطال منه عتابها
 فقوله: وبحقك علي شاهدة يعني أن نفسي شاهدة بأن لك علي حقوقاً، كبيرة لا يؤديها إلا الشكر.

وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حَيٌّ قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ

أشار بهذا إلى صفة من صفات الله تعالى وهي القدم وهو من صفات التنزيه، قال في شرح الصغرى: الأصح أن القدم صفة سلبية أي ليست بمعنى موجود في نفسها كالعلم مثلاً وإنما هي عبارة عن سلب العدم الساق على الوجود وإن شئت قلت هو عبارة عن عدم الأولية للوجود وإن شئت قلت هو عبارة عن افتتاح الوجوه والعبارات الثلاث بمعنى واحد اهـ. والقدم بهذا المعنى واجب لذاته العلية ولصفاته الجليلة السنية فهو تعالى حي بحياة قديمة عالم بعلم قديم الخ الصفات كلها قديمة اه قاله جسوس.

وَحَيٌّ بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ

أشار بهذا إلى صفة الله تعالى بالبقاء والحق أيضاً أنه صفة سلبية فتكون عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود أو هو عدم الآخريّة للوجود أو هو عدم انتهاء الوجود العبارات الثلاث بمعنى واحد أيضاً والبقاء بهذا المعنى واجب لذاته العلية ولصفاته الجليلة السنية، قال ابن زكري: فهو الباقي ذاتاً وصفات فذاته بعد الذوات وعلمه بعد العلوم الخ، الصفات كلها باقية أيضاً اهـ. ومن أسمائه تعالى الأول والآخرف قيل الأول الذي لا ابتداء لله والآخرف الذي لا انتهاء له فهما من صفات السلوب وقيل من صفات الأفعال انظر شروح أسماء الله الحسنى.

وَحَيٌّ بَعْدَ كُلِّ مَيِّتٍ

أشار بهذا إلى أن حياته تعالى باقية بخلاف حياة الخلائق فإنها تفي ولا يبقى إلا الواحد القهار، وأما المستثنيات الثمانية فبقاؤها جائز لا واجب بدليل حدوثها وهي باقية بإمداده لو انقطع إمداده عنها لاضمحلت اهـ، قاله سيدي الطالب بن الحاج محشي المرشد.

وَحْيٌ لَمْ تَرثِ الحَيَاةَ مِنْ حَيٍّ

أشار بهذا إلى أن حياة الله تعالى ليست مسبقة بعدم بل لا أولية لها وحياته تعالى صفة قائمة بذاته تعالى فهو معنى وجودي غير البقاء لأن البقاء سلب وتنزيه به وغير الوجود لأن الوجود نفسي ولا يلزم منه الحياة وحياته تعالى قديمة باقية واجبة عقلاً ونقلاً، قال الجنيد: الحي على الحقيقة من به حياة كل حي ومقتضى العلم بأن الحياة الباقية له لا لغيره أن تنحصر الوجهة فيه، وأن يكون التوكل عليه، ولذا قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] إشارة إلى أن غيره لا بد أن يموت فلا معنى للتوكل عليه وكتب رجل إلى آخر أن صديقي فلاناً قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصري فكتب إليه يا من هو حي لا يموت ارحم عبداً قد دنا أجله يا من هو عزيز لا يذل ارحم عزيزاً قد دنا الذنب لك حين أحببت الحي الذي يموت هلا أحببت الحي الذي لا يموت حتى لا تحتاج إلى البكاء عليه وفي مثله قيل:

ألم تر أن الدهر تهدم ما بنى ويسلب ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما بسوؤه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقداً
ولما قتل بزرجمهر وجد في جيب قميصه ورقة فيها مكتوب إذا لم يكن جد فقيم
الكد وإذا لم يكن للأمر دوام فقيم السرور وإذا لم يرد الله دوام حلك فقيم الحيلة؟ وقال
ابن الرومي:

رأيت حياة المرء رهناً بموته وصحته رهناً كذلك بالسقم
ومن كان في عيش يراعى زواله فذلك في بؤس وإن كان في نعم

وَلَمْ تَقْطَعْ خَيْرَكَ عَنِّي فِي كُلِّ وَقْتٍ

يعني: أنك يا رب تسدي إلي من خيراتك في جميع الأوقات نعماً كثيرة ومنحاً جلية بالفضل منك والإحسان لا باستحقاقي لها وأنا مع ذلك مصر على العصيان فقابلني بفضلك بالمغفرة والغفران فإنك الحلیم الرؤوف والمنان.

وَلَمْ تَقْطَعْ رَجَائِي

يعني: أن علمك بحلمك وجودك وكرمك لم يؤسني من رجائك والرجاء هو الطمع فيما عند الله بشرط العمل في سبب الوصول إليه، ولذا قال في الحكم: الرجاء ما قارنه عمل وإلا فأمنية، ويجب على المؤمن أن يكون في حالة الصحة بين الرجاء

والخوف كالطائر بين جناحين بل يغلب الخوف إلا في حالة المرض فيغلب الرجاء
لحديث مسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» ولقول القائل:

يا من دنا الموت منه بالله ظنك حسن
إن كنت عبداً مسيئاً فربك الله محسن

وبسبب حسن الظن بالله حصلت المغفرة لكثير من الناس كانوا مكبين على
المعاصي والشهوات كما حكى عن أبي النواس الحكم بن هانئ حين مات وجد تحت
وسادته بخطه:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كل لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يرجو المسيء المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل ظني ثم إنني مسلم
قال الطيبي فرائي في المنام فأخبر أن الله غفر له بهذه الآيات.

وَلَمْ تُنْزِلْ بِي عُقُوبَاتِ النِّقَمِ

أي: لم تحل بي شدائد النقم وعقوبات المحن فقوله: تنزل بضم التاء مضارع انزل
أي حل والنقم بكسر النون وفتح القاف جمع نعمة يقال: نقم من باب ضرب انقم عليه
إذا عبته وكرهته أشد الكراهة لسوء فعله فإنه في المصباح.

وَلَمْ تُغَيِّرْ عَلَيَّ وَثَائِقَ النِّعَمِ

أي: وبفضلك وكرمك وجودك وإحسانك لم تغير علي النعم الوثيقة، فقوله: ولم
تغير - بضم التاء وفتح الغين المعجمة وكسر الياء - مضارع غيرت الشيء تغيراً أزلته
عما كان عليه والوثائق جمع وثيقة يقال وثق الشيء بالضم وثاقة قوى وثبت فهو وثيق
ثابت محكم والنعم بكسر النون وفتح العين جمع نعمة الله علينا لا تعد ولا تحصى.

وَلَمْ تَمْنَعْ عَنِّي دَقَائِقَ العِصْمِ

أي: وعرفتني الأمور الخفية على جل الناس المختلف في حرمتها فقوله: تمنع
بفتح التاء والنون مضارع منع من باب قطع ودقائق جمع دقيقة يقال: دق الأمر دقة إذا
غمض وخفي معناه فلا يكاد يفهمه إلا الأذكاء والمراد به هنا العصمة من المحرمات

التي اختلف في حرمتها فإن تلك العصمة دقيقة على الذهن بسبب الاختلاف بحيث لا يعلم وجوب تلك العصمة على الناس إلا بعد التأمل كما لا يخفى ويحتمل أن يكون المراد هنا العصم الخفيات من البليات الخفيات بحيث لا يعلم تلك البليات ولا العصم منها اه قاله الشناوي .

فلو لم أذكر من إحسانك وإنعامك عليّ إلا عفوك عني والتوفيق لي

يعني : أنك أنعمت علي يا رب بنعم عديدة ومنحتني خصالاً جليلة ولو لم أذكر من إحسانك وإنعامك علي إلا عفوك عني أي زوال إسقامي ومحو ذنوبي في الآخرة وتوفيقي لدعائك واعلم أن التوفيق الدعاء نعمة عظيمة فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صباً، وسحه عليه سحاً، فإذا دعا قالت الملائكة : صوت معروف، وقال جبريل : يا رب عبدك فلان اقض حاجته، فيقول الله تعالى : دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته، فإذا قال الله تعالى : لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشيء إلا أستجيب لك، ولا تسألني شيئاً إلا أعطيتك، إما أن أعجل لك ما سألت، وإما أن أدخر لك عندي أفضل منه، وإما أن أدفع عنك من البلاء ما هو أعظم من ذلك» اه، ذكره ابن عباد في شرح الحكم .

والاستجابة لدعائي حين رفعت صوتي بدعائك

يعني : أن الله تبارك وتعالى وعد من دعاه بالإجابة في قوله تعالى : ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] وقوله تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] و﴿اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ٩] واعلم أن التضرع إلى الله تعالى يفرج الكربات وتنجلي عن الداعي الهموم والآفات وتسرع إليه الأوطار والحاجات وينال من الله أرفع الحالات ومما جرب للتضرع إلى الله تعالى والالتجاء إليه وهو سريع الإجابة قريب الإصابة قول الإمام أبي محمد سيدي عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه :

أنت الممعد لكل ما يتوقع
يا من إليه المشتكى والمفزع
أمنن فإن الخير عندك أجمع
بالافتقار إليك فقري أدفع

يا من يرى ما في الضمير ويسمع
يا من يرجى للشدائد كلها
يا من خزائن رزقه في قول كن
ما لي سوى فقري إليك وسيلة

مالي سوى قرعي لبابك حيلة
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه
حاشا لجودك أن تقنط عاصياً
ثم الصلاة على النبي وآله
ولئن رددت فأني باب أقرع
وإن كان فضلك عن فقيرك يمنع
الفضل أجزل والمواهب أوسع
خير الورى ومن به يتشفع

وَتَحْمِيدِكَ وَتَوْحِيدِكَ

يعني: أن رفع صوتي بتحميدك والثناء عليك وتوحيدك المقر بربوبيتك من أعظم النعم علي والإحسان منك إلى فاتم ذلك علي تفضيلاً منك.

وَتَمْجِيدِكَ وَتَهْلِيلِكَ

يعني: أن نطقي بتحميدك أي الثناء عليك وتهليلك أي قولي لك خالصاً لا إله إلا الله محمد رسول الله هما من أعظم نعمتك التي وهبتي ومن أجل مننك التي منحني فجد علي بذلك عند ختم الأعمال وأجرهما علي لساني عند السؤال فإنك المتفضل المتعال.

فائدة: ورد في فضل لا إله إلا الله أحاديث كثيرة وأطبق العلماء على فضلها على جميع الأذكار فاعتنوا بذكرها آناء الليل وأطراف النهار، ومن أثر عليها الاستغفار، فهو مغرور أعظم اغترار راضٍ عن نفسه، وآمن من مكر ربه، يقول برأيه الفاسد، وآيات الله يحرف ويعاند فيقول بزعمه الكاسد، واعتقاده الذي هو للأحاديث النبوية جاحد، أن الهيلة قاصرة على صاحبها والاستغفار عام لقائله وغيره واستدل على سعيه بآيات لا شاهد له فيهن فتدبر هذه الأحاديث المصروفة بالتعميم في فضل ذكر هذه الكلمة الشريفة قال ﷺ: «إذا قال العبد لا إله إلا الله يقول الله تعالى يا إسرافيل أخر النفخة أربعين سنة إكراماً لقائلها فأنت ترى أن الله يؤخر النفخة المستوجبة لتعجيل العذاب على الكافر والمنافق والعاصي ببركة هذه الكلمة المشرفة». وفي الحديث القدسي: «لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا»، وقال ﷺ: «يا أبا هريرة كل حسنة تعملها يوم القيامة إلا شهادة لا إله إلا الله توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك» وقال ﷺ: «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبي وشرد عن الله شرود البعير عن أهله». قيل: يا رسول الله ومن يأتي؟ قال: «من لم يقل لا إله إلا الله، فأكثرها من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي

كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهو العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة». قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة لمن قالها وقال تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [الرحمن: ٢٦] قول لا إله إلا الله والحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وأوحى الله إلى سيدنا موسى عليه السلام في التوراة: «لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا». وقال عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في كل يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه في ذلك اليوم»، إلى غير ذلك من الأحاديث المصرحة بفضل هذه الكلمة المشرفة. وقال النازلي في رسالته البدور المسفرة عن وجوه الأحاديث الواردة في اتساع المغفرة. أخرج عبد الحميد عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله في الآخرة بمنزلة الماء في الدنيا لا يحيى كل شيء في الدنيا إلا بالماء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله بمنزلة الماء في الدنيا فمن لم يكن معه لا إله إلا الله فهو ميت ومن كانت معه فهو حي وما أنعم الله على العبد نعمة أفضل من لا إله إلا الله ولا قول أفضل من القرآن العظيم ولا كلمة أشرف من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله اهـ.

وتكبيرك وتعظيمك

هذا أيضاً من أعظم الأمور التي وهبها الله لمن أحبه من خلقه فأطلق لسانه بالتكبير والتعظيم فاستوجب بذلك الثواب الجسيم والفضل العميم من الله الجواد الكريم.

وَأَلَا فِي تَقْدِيرِكَ خَلْقِي حِينَ صَوَّرْتَنِي فَأَحْسَنْتَ صُورَتِي

أي: وإلا فضلك علي في تقديرك خلقي على أحسن مثال وأقوم استواء واعتدال على تقدير المستثنى المنصوب الكائن بغير لفظ ليناسب لما عطف عليه أعني قوله: إلا عفوك عني، وقوله: حين صورتني، مفعول فيه المستثنى المقدر منصوب بتقدير في بدل من قوله: في تقديرك، والمبدل منه في حكم العدم لأن المقصود بالنسبة هو البديل دون المبدل منه فكأنه قيل وإلا فضلك علي حين صورتني في الرحم وقس علي هذا قوله وإلا في قسمة الأرزاق حين قدرتها لي فإن ما ذكرناه من تقدير المستثنى وبدلية الظروف جار هنا، فتأمل قاله الشناوي.

وَأَلَا فِي قِسْمَةِ الْأَرْزَاقِ حِينَ قَدَّرْتَهَا لِي

أي: فلو لم أذكر من إحسانك وإنعامك علي إلا عفوك وتوفيقك واستجابة دعائك

وتقديرك خلقي وقسمة الأرزاق لكان ذلك كافياً في حقي ولا أقدر على شكره والحمد عليه لأن هذه نعم عظيمة وخصال جليلة وهذا يشير إلى قوله ﷺ: «فرغ ربك من أربع: خلق، وخلق، ورزق، وأجل». ثم اعلم أنه يجب على المؤمن الصادق أن يرضى بما قدر الله له من الأرزاق ويقنع بقسمة الملك الخلاق. قال ﷺ: «لا يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه». قال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر، وعن ابن مسعود: من رضي بما نزل من السماء إلى الأرض دخل الجنة، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لابن مسعود: «لا تكثر همك، ما قدر يَكُن وما ترزق يأتيك».

حكى عن ثعلب قال: دخلت على عبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه خلع الرضي بعد التكة فلما مثلت بين يديه قال لي: يا أبا العباس اسمع ما أقول:

نوائب الدهر أدبتني
قد ذقت حلواً وذقت مرأً
لم يمض بؤس ولا نعيم
كذاك من صاحب الليالي
وإنما يعوظ الأديب
كذاك عيش الفتى ضروب
إلا ولي فيهما نصيب
تغذوه من درها الخطوب

فقلت: لمن هذه الأبيات؟ قال: لي، ومنها أن يختبر أمور زمانه، وينتبه على صلاح شأنه، فلا يغتر برخاء، ولا يطمع في استواء، ولا يؤمن أن تبقى الدنيا على حالة، وتخلوا من قلب واستحالة، فإن من عرف الدنيا وخبر أحوالها، هان عليه بؤسها ونعيمها وقال بعض الأدباء:

كم عالم يسكن بتتاً بالكر
لما قرأنا قوله سبحانه
أشار رحمه الله لقوله تعالى: ﴿لَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية، ومنه قول بعضهم:

كم عالم وعالم أعيب مذاهبه
هذا الذي ترك الأوهام حائرة
وقال سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «يا معشر الحواريين أرضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا»، وقد عقد هذا المعنى بعضهم فقال:

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

لكان في ذلك ما يشغل فكري عن جهدي

أي: فلو لم أذكر من نعمك إلا عفوك الخ ما ذكر من النعم العظيمة، لكان فيما
ذكر ما يشغل فكري يعني: بالنظر والاعتبار والفكر بكسر الفاء تردد القلب بالنظر والتدبر
لطلب المعاني، وقوله: عن جهدي بفتح الجيم أي غاية طاقتي ونهاية مشقتي.

فكيف إذا فكرت في النعم العظام التي أنقلب فيها ولا أبلغ شكر شيء منها

يعني: إذا كان يشغل فكري ما ذكر من النعم التي عرفتتها وشعرت بها وأنا لا أقدر
أن أؤدي شكرها فكيف إذا تفكرت في النعم العظيمة التي أنقلب فيها آناء الليل وأطراف
النهار، وأعظمها نعمة الإيمان والإسلام، والكون من أمة سيدنا محمد عليه أفضل
الصلاة والسلام. ولهذا قال بعض العلماء: ينبغي لكل مؤمن أن يقول كل يوم ثلاث
مرات الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للإيمان والإسلام، ولما ذكر هذه النعم الكثيرة
وعدد بعضها شرع في الحمد عليها فقال:

فك الحمد عدد ما حفظه علمك

أي: أحمدك يا رب حمداً لا نهاية له ولا عدد يحصيه ولا حد يحيط به لأن علم
الله تعالى لا تحيط به عبارة ولا تعتبر عنه إشارة، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ
عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].
ومنتهى العلم إلى الله العظيم.

وجرى به قلمك

يعني: أنه حمد الله تعالى عدد ما جرى به قلم الله من أول الدنيا آخرها فقوله:
وجرى بمعنى نفذ ومضى، والضمير عائد إلى الموصول الذي هو ما والباء للمصاحبة،
وقوله: قلمك، يعني بالكتابة فيما مضى في اللوح المحفوظ والفروع المنتسخة منه بعد
ذلك إلى حين هذا الوقت، وفيما يأتي في الفروع المنتسخة الآتية. وأما اللوح المحفوظ
فظاهر الأخبار أنه فرع من كتابته قبل خلق السموات والأرض وقد كتب فيه مقادير كل
شيء وما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما المكتوب بعد ذلك الفروع المنتسخة منه

كالفروع المنتسخة من الأصل وفيها يقع الإثبات والمخول على ما ذكر في الآية اهـ، قاله سيدي المهدي الفاسي في شرحه للدلائل الخيرات.

وَنَفَّذَ بِهِ حُكْمَكَ فِي خَلْقِكَ

نفذ - بفتح الفاء وبالذال المعجمة - : بمعنى مضى وحكم الله هو قضاؤه في خلقه بما شاء كيف شاء وقد حمد الله تبارك وتعالى بعدد ما نفذ به حكم الله ولا حصر له ولا عد.

وَعَدَدَ مَا وَسِعَتْهُ رَحْمَتُكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ

اعلم أن رحمة الله تبارك وتعالى وسعت جميع الخلق إلا من خرج من الدنيا على غير الإيمان قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فسأكتبها للذين يتقون، وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فائدة: ورد في فضل الرحمة للخلق أحاديث كثيرة، أخرج الطبراني عن ابن جرير والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وأخرج البيهقي في الشعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم». وأخرج الحاكم وأبو داود والترمذي والإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». وأخرج أبو يعلى والطبراني عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة إلا على رحيم» قلنا: يا رسول الله كلنا رحيم؟ قال: «ليس الرحيم الذي يرحم نفسه، وأهل خاصة ولكن خاصته ولكن الرحيم الذي يرحم نفسه وأهل خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين»، وأخرج الإمام أحمد وابن عدي في كامله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي». وروى الترمذي حديثاً: «من لم يرحم الناس لا يرحمه الله ومن لم يرحمه الله فهو شقي»، وقد نظم بعض العلماء معنى هذا الحديث بقوله:

ارحم بني جميع الخلق كلهم وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم وراع في كل خلق من خلقه
إلى غير ذلك مما ورد في رحمة الخلائق وفيما ذكر كفاية اهـ.

وَعَدَدَ مَا أَحَاطَتْ بِهِ قُدْرَتُكَ

يعني: أنه حمد الله تبارك وتعالى عدد ما أحاطت به قدرة الله تعالى، قال: قال الشيخ الطيب في شرحه على المرشد: ثم نقول للقدرة تعلق صلاحه قديم وهو عام لوجود ما وجد وقت حصوله وقبله وبعده بدلاً، ولعدمه كذلك لعدم عالم يوجد، ولوجوده أن وجد بمعنى أنه تعالى بالصفة التي يتأتى بها خلقه وإيجاده لألوف ألوف من أمثال هذا العالم وأعظم أو أعظم من الأعظم وزد ما شئت إلى غير نهاية وإن لم يقع شيء من ذلك لعدم تعلق المشيئة به وتتعلق تعلقاً تنجيزياً يوجد ما وجد أو يوجد لا بعدمه ما دام موجوداً وبعده وقت عدمه لاحقاً على الخلاف لا بوجود، وبعده ما لم يوجد على قول لا بوجوده، ثم قال: ولا تعلق القدرة بالواجب والمستحيل لأنها لو تعلقت بوجود الواجب وعدم المستحيل لزم تحصيل الحاصل وإن تعلقت بعدم الواجب ووجود المستحيل لزم قلب حقيقتهما برجوعهما جائزان وقد فرضا واجباً ومستحيلاً هذا خلف، انظر تمام كلامه عند قول المرشد وقدرة اهد.

وَأَضْعَافَ مَا تَسْتَوْجِبُهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ

يعني: أنه حمد الله تبارك وتعالى بأضعاف مضاعفة مما يستوجبه أو يجب له على جميع خلقه من الحمد والشكر وما من مخلوق إلا وعليه نعم عظيمة يجب عليها الحمد في كل لحظة.

اللَّهُمَّ إِنِّي مُقِرٌّ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ

أي: بالله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى إنني مقر أي معترف بنعمتك علي ولا أجل ولا أفضل ولا أحسن من نعمة الإيمان والإسلام ومُقِرٌّ بكسر القاف اسم فاعل من أقر بمعنى اعترف.

فَتَتَمَّ إِحْسَانُكَ إِلَيَّ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُضْرِي

يعني: أنه طلب من الله أن يتم إحسانه إليه في بقية عمره لأنه لا أهم للعاقل من طلب خاتمة الخير وقد أكثر الناس من طلبها وحولها يدندن الأولياء العارفون الكمل المخلصون وإلى هذا المعنى أشار من قال:

والسموت يفنني من بقي
يا محسناً فيما مضى
كن محسناً فيما بقي

كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَيَّ فِيمَا مَضَى مِنْهُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

يعني: أنه طلب من الله تبارك وتعالى أن يحسن إليه في بقية عمره إحساناً أعظم وأتم وأكمل وأحسن مما أحسن إليه في فيما مضى من عمره فقوله: أعظم، وما عطف عليه صفة لمصدر محذوف دل عليه المذكور وتقديره إحساناً أعظم، ثم أنه طلب هذا من الله أن يهبه له برحمته وناداه: يا أرحم الراحمين، واعلم أن هذا الاسم الجليل قيل فيه إنه هو الاسم الأعظم لقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وأخرج الحاكم في المستدرک عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى ملكاً موكلًا بمن يقول يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثاً قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل». ذكره النووي في الأذکار والحديث عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف على قدميه فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فانصرف، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين». الخ الحديث، والحديث عن أبي أمامة الباهلي كما عند الطبراني في معجمه الكبير ذكر دعاء عن النبي ﷺ، وفي آخره: «وأن تجبرني من النار بقدرتك يا أرحم الراحمين» انظر غاية المغنم في الاسم الأعظم لسيد محمد البكري الصديقي رحمه الله.

اللهم إني أسألك وأتوسلُ إليك بتوحيديك وتمجيدك

هذا توسل من الذاكر أيضاً إلى الله تعالى بتوحيده أي وحدانيته وتمجيده أي كرمه وجوده وإحسانه.

وتحميدك وتهليلك

أي: أسألك يا رب وأتوسل إليك أيضاً بتحميدك أي بحمدك البالغ في الثناء عليك فالتحميد أبلغ من الحمد والحمد أعم من الشكر وتهليلك أي بحق من قال: لا إله إلا الله.

وتكبيرك وتسبيحك

توسل أيضاً إلى الله تعالى بحق تكبيره أي تعظيمه وتسبيحه أي تنزيهه عما لا يليق به، فهما مصدران الأولى مصدر كبر تكبيراً والثاني مصدر سبح تسبيحاً.

وكمالك وتذبيرك

يعني: أنه توسل إلى الله بحق كماله وبحق تدبيره أي نظره في أمور مخلوقاته وللقيام بشأنهم.

وَتَعْظِيمِكَ وَتَقْدِيرِكَ

تعظيم الله: هو الثناء عليه وتقديسه تنزيهه عما لا يليق بعلي مقامه ورفيع جنابه تعالى الله علواً كبيراً.

وَنُورِكَ وَرَأْفَتِكَ

نور الله: هو صراطه المستقيم وهو الحق المبين. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] معناه: الله هادي السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق ويهتدون بهدأيته من حيرة الضلالة ينجون، وقيل: معناه الله منور السموات والأرض نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء، وقوله: ورأفتك أي شدة رحمتك لعبادك.

وَرَحْمَتِكَ وَعِلْمِكَ

أي: أتوسل إليك يا رب بحق رحمتك العظيمة وعلمك الواسع قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

وَحِلْمِكَ وَعُلُوِّكَ

حلم الله تعالى: هو عفوه وستره وصفحته عن ذنوب عباده المؤمنين، وعلوه: ارتفاعه وعظمته وكبرياؤه.

وَوَقَارِكَ وَفَضْلِكَ

وقار الله: هو حلمه وعفوه، وفضله: هو إحسانه إلى عباده والله ذو الفضل العظيم.

وَجَلَالِكَ وَمَنِّكَ

جلال الله: هو عظمته، ومَنَّكَ - بفتح الميم وتشديد النون - : بمعنى الامتنان أي إنعامك علينا منة منك وإحساناً.

وَكَمَالِكَ وَكِبْرِيَانِكَ

كمال الله تعالى لا ينكره إلا جاهل، فهو سبحانه وتعالى كامل الذات رفيع الصفات جميل الأفعال وكبرياؤه وعظمته وجلاله.

وَسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ

سلطان الله: هو ولايته على خلقه، وقدرة الله تقدم تفسيرها.

وَإِحْسَانِكَ وَامْتِنَانِكَ

إحسان الله: إنعامه على عباده وامتنانه أي إسداؤه النعم العظيمة فضلاً وإحساناً وكرماً وجوداً وامتناناً.

وَجَمَالِكَ وَبِهَائِكَ

جمال الله: ضد الجلال كما أن الله يوصف بالجلال كذلك يوصف بالجمال وجمال الله إنعامه على عباده بالخيرات العظيمة وفي الحديث إن الله جميل يحب الجمال أي أنه مفيض الخيرات الكثيرة والبهاء عطف تفسير عليه وهو الحسن والجمال.

وَبُرْهَانِكَ وَغَفْرَانِكَ

برهان الله: حجته على خلقه وغفرانه رحمته لعباده المؤمنين بالمغفرة لذنوبهم غفر الله بمتة ذنوبنا وستر عيوبنا آمين.

وَنَبِيِّكَ وَوَلِيِّكَ

توسل إلى الله تعالى بحق نبيه أي جنس أنبيائه ووليه أي جنس أوليائه فأفرد باعتبار الجنس، واعلم أن النبي هو شخص أوحى إليه بشرع، فإن أمر بتبليغه فرسول أيضاً وإلا فنبي لأن الرسول أخص من النبي، فإن كل رسول نبي ولا عكس والولي هو عبد مؤمن تجرد إلى الله بالعبادة فقربه الله إليه بالمحبة وتأنس بالله من كل وحشة، والمراد بالنبي هنا هو نبينا سيدنا محمد ﷺ إذ هو المقصود الأهم المطلوب الأعظم، فلذلك عطف عليه عترته الطاهرين فقال:

وَعِترته الطاهرين

عتر الرجل: أقاربه، والمراد هنا آل النبي ﷺ، وقوله: الطاهرين، أي المطهرين من كل عيب قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] وفي الدر المنثور، أخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ سَائِرِ إِخْوَانِهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

هذا هو مفعول: أسألك وأتوسل إليك، وقوله: بتوحيديك وتمجيدك، وما عطف عليه إلى قوله: الطاهرين، متعلق بأسأل وأتوسل وتقدم بعض ما يتعلق بالصلاة على النبي ﷺ ثم أعقب الصلاة على سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين تبعاً له واختلف هل تجوز الصلاة على غيره استقلالاً، منهم من جوزها ومنهم من منعها والاتفاق على جوازها تبعاً كما هنا.

وَأَنْ لَا تَحْرَمَنِي رِفْدِكَ وَفَضْلِكَ

معطوف على قوله: أن تصلي مفعول لأسأل وأتوسل، وقوله: تحرمني - بفتح التاء - مضارع حرم مثل عسر، والرشد - بكسر الراء وسكون الفاء - : العطاء والصلة والفضل الإحسان، والمعنى: أسألك يا رب أن لا تمنعني رفقك أي عطائك وصلتك وفضلك أي إحسانك.

وَجَمَالِكَ وَجَلَالِكَ

المراد بجمال الله: كرمه وجوده وإحسانه وإنعامه، وبجلال الله: دفعه عنا جميع المكروهات والنوائب المعضلات والشدائد المهلكات.

وَفَوَائِدِ كِرَامَاتِكَ

الفوائد: جمع فائدة، وهي اسم فاعل من قولك فأدت له فائدة فيبدأ من باب باع، وأفدته مالا أعطيته والفائدة مشتقة من الفوائد لأن من نظر في فائدة وتأملها انفتح لها قلبه، وفي هذا المعنى قيل:

من الفؤاد اشتقت الفائدة والنفس يا صاح بذاك شاهدة
فإذا فهمها فيجب عليه شكر من أفاده إياها، وقد أشار بعضهم إلى هذا المعنى فقال:
إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فلازم شكره بدا
وقال فلان جزاه الله صالحاً أفادنيها والحق الكبر والحسدا
اه. وفوائد مضاف وكرامات مضاف إليه ما قبله جمع كرامة وهي المودة والإحسان.

فَإِنَّهُ لَا تَعْتَرِيكَ لِكَثْرَةِ مَا قَدْ نَشَرْتَ مِنَ الْعَطَايَا عَوَائِقُ الْبُخْلِ

يعني: أنك لا تعتريك عوائق البخل لكثرة ما قد نشرت من العطايا وأسديت من المنن ومنحت من كثرة النعم، فقوله: تعتريك - بفتح التاء - مضارع اعتراه بمعنى أصابه وقوله: نشرت، فعل ماض من باب قعد، والعطايا: جمع عطية أي ما يعطيه الله تبارك

وتعالى، والعوائق: جمع عائق يقال عاقه إذا منعه، والبخل: ضد الكرم، وقد وردت في ذمه آيات وأحاديث قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية، وقال: ﴿مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨] وقال ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق»، وقال ﷺ: «أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل» وقال ﷺ: «خلق الله اللؤم فحقه بالبخل والمال» وروى محمد بن إبراهيم التميمي عن عروة بن الزبير عن النبي ﷺ أنه قال: «السخي قريب من الله عز وجل قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخل بعيد عن الله عز وجل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار». وقال ﷺ لعدي بن حاتم: «رفع الله عن أبيك العذاب الشديد لسخائه»، وبلغه ﷺ عن الزبير إمساك، ف جذب عمامته إليه وقال: «يا زبير أنا رسول الله إليك وإلى غيرك، انفق عليك ولا توك فؤوك عليك».

وروى أبو الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وملكان يناديان: اللهم اعط منفقاً خلفاً وممسكاً تلفاً» وأنزل في ذلك القرآن: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠]، وروى الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بإسناده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله جنة عدن، قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر، ثم قال: لها اظهري حورك وحليك وحللك وسررك وحجالك، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله عز وجل: أنت حرام على كل بخيل»، أورده في كتاب البخلاء له، وقال رسول الله ﷺ لقوم من الأنصار: «من سيدكم؟» قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه، فقال عليه الصلاة والسلام: «وأي داء أدوأ من البخل»، وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم، ودعاهم فاستحلوا محارمهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم».

وقال علي بن أبي طالب: البخيل يتعجل الفقر لنفسه، يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، وقال حكيم: لو أن أمل البخل لم يدخل عليهم من ضير بخلهم ومذمة الناس لهم وإطباق القلوب على بعضهم إلا سوء الظن بربهم في الخلف لكان عظيماً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبا: ٣٩] كفى بالبخل معرفة أن يمنع نفسه اكتساب الحسنات مع افتقاره إليها ويحرمها مباح

الشهوات مع اقتداره عليها وربما ترك التداوي وإن أجهفت به العلة وأهمل دفع المكاره عن نفسه وقد نيّطت به المذلة لكثرة الإشفاق على الإنفاق فهو لا يلقى في الدنيا شكوراً ولا يلقى في الآخرة أجراً مذخوراً.

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: البخل جامع المساويء والعيوب وقاطع المودة من القلوب وقال سقراط: الأغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعلف التبن والشعير. وقال بشر بن الحارث الحافي: لا غيبة لبخيل ولشرطي سخي أحب إلي من عابد بخيل، وقالوا: صديق البخيل من أطعمه وسقاه وعدوه من تركه وقلاه، وقيل: النظر إلى البخيل يقسي القلب. وقالوا: البخل يهدم مباني الشرف ويسوق النفس إلى التلف. وقيل في مثور الحكم: الجود عز الوجود، وقيل في المثل: سؤدد بلا جود كملك بلا جنود، وقال بعض الحكماء: الجود حارس الأعراض، وقال بعض الأدباء: من جاد ساد ومن أضعف ازداد وقال بعض الفصحاء جود الرجل يحببه إلى أزداده وبخله يبغضه إلى أولاده وقال بعض الفصحاء: خير الأموال ما استرق حراً وخير الأعمال ما استحق شكراً، وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله:

ويظهر عيب المرء في الناس بخله وبستره عنهم جميعاً سخاوة
تعط بأثواب السخاء فإنني أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أقسم الله تعالى بعزته لا يجاوره بخيل»، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء» وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: الشحيح أعذر من الظالم فقال: «لعن الله الشحيح ولعن الظالم» وقال بعض العلماء البخل جلباب المسكنة، وقال بعض الأدباء: البخيل ليس له خليل، وقال بعض البلغاء: البخيل حارس نعمته وخازن ورثته، وقال بعض الشعراء:

إذا كنت جماعاً لمالك ممسكاً فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذمر ما إلى غير حامد فيأكله عفواً وأنت دفين

اهـ. ذكره الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين، وقال بعضهم في ذمه:

البخل داء دوى لا يليق بذى مروءة لا ولا عقل ولا دين
من أثر البخل عن وفر وعن جدة فقد لعمرى أضحى بالمغبون
يا بؤس من منع الدارين حقهما فباع أخراه بعد الدين بالبدون

وقال آخر:

إذا المال لم ينفع صديقاً ولم يصب قريباً ولم يجبر به حال العدم
 فعقباء أن تسختاره يد وارث وللباخل الموروث عقبي التندم
 وقال بشر: لقاء البخيل كرب والنظر إليه يقسي القلب، وفي ذلك قيل:
 أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل
 وإنني رأيت البخيل يروى بأهله فأكرمت نفسي أن يقال بخيل
 وكفى بالبخل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره، ولا ينال لذة وفره وخيره،
 وفي مثله يقول وكيع:

لئيم لا يزال يلتم وفرًا لسوارثه ويدفع عن حماه
 ككلب الصيد يمسك وهو طاو فريسته ليأكلها سواه
 اهـ. قاله الغزالي في كتابه مكاشفة القلوب.

وَلَا يَنْقُصُ جُودَكَ التَّقْصِيرُ فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ

يعني: أن تقصيري في شكر نعمتك لا ينقص جودك بل جودك ممنوح العباد
 ومعطى لهم بتوالي الإمداد فقوله: ينقص فعل مضارع من نقص من باب قتل ذهب منه
 شيء بعد تمامه، والتقصير فاعل به وجودك أي إحسانك مفعول به، وفي شكر نعمتك
 جار ومجرور يتعلق بالتقصير.

وَلَا تُنْفِدُ خَزَائِنَكَ مَوَاهِبِكَ الْمَتَّسِعَةَ

يعني: أن عطايك الواسعة ومنحك الفائقة لا تنفذ خزائلك قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ
 يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وأخرج النووي في أربعينه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه
 عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على
 نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني
 أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار
 إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر
 الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن
 تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى
 قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
 وإنسكم وجنكم وكانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا

عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» رواه مسلم اهـ.

فقوله: تنفذ - بضم التاء وكسر الفاء - مضارع، أنفذ بمعنى أفنى وأنم، ومواهبك: فاعل، والمتسعة: صفة لمواهب، وخزائنك: مفعول به.

وَلَا تُؤَثِّرُ فِي جُودِكَ الْعَظِيمِ مِئْزَةُ الْجَلِيلَةِ الْجَمِيلَةِ الْأَصِيلَةِ

يعني: أن منحك وعطاياك ومواهبك لا تؤثر نقصاً ولا إقلالاً في جودك العظيم. واعلم أن تأثير المنح في الجود على معينين:

أحدهما: أن ينتقل الجود بسبب المنح من صفة الكثرة إلى صفة القلة. وثانيهما: أن ينتفى بالكلية بسبب المنح فقوله مضارع أثر ومنحك فاعل والفائقة والجليلة والجميلة والأصيلة أوصاف لمنحك وفي جودك يتعلق به والتعظيم صفة لجودك.

وَلَا تَخَافُ ضِيمَ إِمْلَاقٍ فَتَكْذِي

يعني: أن الله تعالى لا يخاف ضيم أي ضرر إملاق أو فقر فيكدي أي فيقل خيره أو يقطع، فقوله: فتكدي - بضم التاء وكسر الدال - بينهما كاف ساكنة مضارع أكدي قال تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى﴾ [النجم: ٣٤] أي قطع القليل.

وَلَا يَلْحَقُكَ خَوْفٌ عُدْمٍ فَيَنْقُصُ مِنْ جُودِكَ فَيُضُّ فَضْلَكَ

يعني: أن الله تبارك وتعالى لا يلحقه خوف العدم وهو الإفلاس فينقص فيض فضله وسعة كرمه وجوده وإحسانه من جوده الموهوب لخلقه المبدول لهم في جميع الأوقات والممنوح في كل اللحظات. واعلم أن الخوف من العدم والإفلاس بسبب الجود والعطاء إنما يكون إذا كانت الخزائنة قليلة وخزائنته تعالى لا تنقصها نفقة أثناء الليل وأطراف النهار، قال في الدر المنثور: أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يمين الله ملائ لا يغيضها نفقة سخاء الليل والنهار، أرايتم من أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه قال: ﴿عَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [مرد: ٧] وفي

يده الأخرى القبض يرفع ويخفض» اهـ. فقوله: لا يلحقك، مضارع لحق وخوف فاعل به وهو مضاف، وعدم بضم العين وسكون الدال بمعنى الفقد للمتاع مضاف إليه ما قبله وقوله فينقص الفاء سببية لأن النقص سبب على خوف العدم وهو مضارع منصوب في جواب النفي وفيض فاعل به وفضلك مضاف إلى فيض من جودك متعلق بينقص.

إِنَّكَ عَلَىٰ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ

قوله: إنك بكسر الهمزة على الاستئناف البياني فيكون تعليلاً بجملته هي جواب عن سؤال مقدر، كأن قائلًا قال له: من قبل الله تعالى لأي شيء قصرت سؤالك علي فقال: إنك ألخ وقوله: تشاء قدير المشيئة والإرادة بمعنى واحد خلافاً للكرامية، قاله ابن زكري: وهي صفة أزلية، متعلقة في الأزل بتخفيض الحوادث بأوقات حدوثها والقدرة صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بما لا يزال - أي في المستقبل - على وفق تخصيص الإرادة وقوله جدير أي حقيق بالإجابة.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَلْبًا خَاشِعًا خَاضِعًا ضَارِعًا

طلب من الله تبارك وتعالى أن يرزقه قلباً خاشعاً خاضعاً ضارعاً وهذه الأوصاف مطلوبة في حق كل مؤمن وهما فرضان في حق المصلي، والخشوع والخضوع متلازمان كلما وجد أحدهما وجد الآخر ولذلك يعبرون بالخشوع تارة وبالخضوع أخرى، وذلك أن المصلي إذا راقب الله تعالى في صلاته وأقبل عليه بكليته واستحضر جلاله وعظمته فإنه بالضرورة يكون متأدباً ساكن الجوارح الظاهرة والباطنة منكسر القلب متذللاً متواضعاً خائفاً باكياً وهو معنى الخشوع والحضور في الصلاة، وهذا أعني خشوع خوف وانكسار وإذلال هي المرتبة الأولى من مراتب الخشوع الثلاث وهي للعباد الزهاد، الثانية خشوع تعظيم وهيبة وإجلال وهي للمريدين السائرين، الثالثة خشوع فرح وسرور وإقبال وهي للواصلين من العارفين، ويسمى هذا المقام قرة العين، ويعين على الخشوع الزهد في الدنيا والإكثار من ذكر الله بالقلب والقالب وإدمان الطهارة اهـ. وقال ابن جزري في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] ما نصه الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع والضراعة إلى الله تعالى تنشأ من خوفه وشدة بأسه وعذابه قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣].

وَعَيْنَا بَاكِتَةً

اعلم أن البكاء لا ينشأ إلا من الحزن والحزن لا ينشأ إلا من خوف الله تعالى قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ ذات يوم من المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال: «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات»، ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال: «أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» وقال ﷺ: «كثرة الضحك تميم القلب»، وقال ﷺ: «من ضحك لشبابه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته»، وقال ﷺ: «أقرؤوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا»، وعن الحسن يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت وقال ﷺ: «كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة: عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في سبيل الله تعالى»، ويقال: ثلاثة أشياء تقسي القلب: الضحك من غير عجب، والأكل من غير جوع، والكلام في غير حاجة» اهـ. ذكره الغزالي في كتابه مكاشفة القلوب.

وَبَدْنَا صَاحِباً صَابِراً

طلب من الله تبارك وتعالى صحة البدن والصبر بالصحة يقدر على العبادة وبالصبر يتقوى عليها.

وَيَقِيناً صَادِقاً بِالْحَقِّ صَادِعاً

اليقين الصادق: هو علم قوي تيقن صاحبه متعلقه ولم يغب عنه من حقيقته شيء ولم تعارضه فيه الأوهام فلم يبق معه إلا الفعل أو الترك والإقبال على الحق والارتحال عن الباطل، ولهذا قال أئمة هذا الشأن: المؤمن هو الذي يعلم أن ما قال الله كما قال الله وأن ما قال الرسول ﷺ كما قال الرسول ﷺ وهو ثلاثة أنواع: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، والعلم في جميعها صار حالاً وصفة لازمة للنفس لا تغفل عنه ومثالها من تيقن وجود البحر يقيناً غلب على قلبه ومن رآه وشاهده على بعد ومن دخله وانغمس فلا شك أن من رأى ليس كمن علم كما أن من دخله وانغمس في لجته ليس كمن رآه على بعد وإن اشترك الثلاثة في العلم به وثمره حق اليقين الفناء في التوحيد وناهيك بما يكون لصاحبه من المواهب والأسرار والفيوض الإلهية وثمره عين اليقين الذي ينكشف أوصاف الحق جل جلاله التي منها الوجود

الحقيقي الذاتي أن يبقى في نظره ما يعتمد عليه ولا ما يستند إليه ولا ما يستأنس به غير مولاه لأنه يشهد الأكوان كلها عدماً إذا وجودها عارية مردودة فلا يعاب بها ولا يلتفت إليها فيتم له التوكل والتفويض والاستسلام، اه قاله جسوس في شرحه لتصوف المرشد فقوله: صادعاً صفة ليقيناً ومعناه متكلماً أي صاحبه بالحق جهاراً.

وتوبة نصوحاً

أي: ذات نصح تنصح صاحبها بترك العدو إلى الذنب الذي تاب منه، قال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ رضي الله عنهم: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وقال الحسن: هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمماً على ألا يعود إليه وقال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن، وقال سعيد بن المسيب: معناه توبة تنصحون بها أنفسكم وقال محمد بن كعب القرظي: التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار تلك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان اه، ذكره الخازن وقال ابن عطاء الله في تاج العروس من فعل المعاصي وتقلب في المحارم، لو انغمس في سبعة أبحر لم تطهره حتى يعقد مع الله عقدة التوبة اه وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «الله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً به مهلكة ومعه راحلته اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومه ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده» قال في تاج العروس: فإن ظفرت بالتوبة فقد أحبك الله فالحق سبحانه لم يرض لك أن تكون محباً بل محبوباً وأين المحبوب من المحب وإنما يغتبط بالشيء من عرف قدره لو بذرت الياقوت بين الدواب لكان الشعير أحب إليها، انظر أي الفريقين أنت إن تبت فأنت من المحبوبين وإن لم تتب فأنت من الظالمين قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] من تاب ظفر ومن لم يتب خسر ولا تقطع بأسك وتقول كم أتوب وانقض، فالمريض يرجو الحياة ما دامت فيه الروح إذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة وتفرح به السماء والأرض والرسول ﷺ وهي من الفضل العظيم يذنب العبد سبعين سنة فيتوب إلى الله في نفس واحدة فيمحو ما عمله الله في تلك المدة التائب من الذنب كمن لا ذنب له اه ملففاً من مواضع من جسوس على تصوف المرشد والأصل في وجوب التوبة الكتاب قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] والسنة

قال عليه السلام: «توبوا فإني أتوب كل يوم سبعين مرة» وفي رواية: «مائة مرة»، والإجماع على أنها واجبة ولا خلاف بين أهل السنة في صحتها من بعض الذنوب ويطلب بالتوبة فيما بقي منها والتوبة من جميع الذنوب هي التوبة النصوح اهـ، واعلم أن نسيان من أقبح المصائب، فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل:

يا أيها المذنب المحصي جرائمه لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
وتب إلى الله قبل الموت وانزجرا يا عاصيا واعترف إن كنت معترفا

ولساناً ذاكراً حامداً

هذا أيضاً من الأمور المهمة التي يطلبها العاقل ولا يغفل عنها إلا الجاهل وقد نطق الكتاب والسنة بفضل الذكر والترغيب فيه والحث عليه، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] قال في الإحياء أي استحضروا جلالي وعظمتي في قلوبكم أذكركم بالألطف والإحسان وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية، وقال تعالى في ذم المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] إلى غير ذلك من الآيات، وأما الأخبار فقد قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء وسط الشجر الهشيم الذي تحات من الصرير - أي شدة البرد - وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل، فصيح وأعجم، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله عز وجل مقعده من الجنة»، قال السيوطي في الجامع الكبير: رواه صصري في أماليه وابن شاهين في الترغيب في الذكر، وقال: صحيح الإسناد، حسن المتن، غريب الألفاظ اهـ.

وقال ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»، وقال ﷺ: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل» وسئل رسول ﷺ: أي الأعمال أفضل فقال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله»، وقال ﷺ: «أصبح وأمسي ولسانك رطب يذكر الله عز وجل، تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة»،

إلى غير ذلك من الأحاديث ومن أراد جملة وافرة من الباب فعليه بتقييدنا المسمى بالزهور الفائح في فضل صلاة الفاتح ففيه غنية والله يشيننا على حسن النية.

وَإِيمَانًا صَحِيحًا

الإيمان الصحيح عرفه النبي ﷺ في الحديث الذي عليه مدار الدين فقال في أثناؤه: أخبرني عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» وفي رواية: «حلوه ومره» وفي الحديث: «ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربا وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ رسولاً» وفي الحديث أيضاً: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ولأن توقد نار عظيمة فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله» اهـ.

وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا

اعلم أن المهم عند العاقل هو طلب الحلال لما يتقوت به وتقوم به بنيته في كل وقت وحال قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠] وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩] وقال ﷺ: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم» وقال ﷺ: «إن لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل يوم إلا من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل - أي نافلة - ولا فريضة» وقال عليه السلام: «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»، وفي التوراة: «من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله به من أي باب من أبواب النار أدخله» وقال ﷺ: «الربا من الكبائر»، وعن علي رضي الله عنه، لعن رسول الله ﷺ صاحب الربا وأكله ومطعمه وكتابه وشاهده، وفي رواية: وموكله، وقال ﷺ: «من أكل الربا فقد برئت منه ذمتي» وقال: «ما فشا في قوم الربا والزنى إلا حلوا بأنفسهم عقاب الله»، وقال: «الدرهم من الربا أعظم عند الله من مائة فجرة - أي زنية -» وقال: «الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من مائة زنية يزنيها في الإسلام». وعن عبد الله بن سلام: الربا سبعون جزءاً وأدناه منزلة مل اضطجاع الرجل مع أمه، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: عماد الدين وقوامه طيب المطعم فمن طاب كسبه زكي عمله ومن لم يطب كسبه خيف عليه أن لا تقبل صلاته وصيامه وحجه وجهاده وجميع عمله لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٧]، وقال أيضاً: لا يقبل الله صلاة

من بطنه حرام، وقال أيضاً: من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله منه عمله أربعين صباحاً. وقد ورد: من أكل الحلال أطاع الله أحب أم كره، ومن أكل الحرام عصى الله أحب أم كره، ويقال: التوفيق بين الماء والدقيق، ويقال: كل ما شئت فمثله تفعل، واصحب من شئت فالمرء على دين خليله، ومن خواصه تنوير القلب.

وقد ورد: من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه، ومن خواصه استجابة الدعاء. وقد سأل سعد بن أبي وقاص النبي ﷺ أن يجعل الله دعوته مستجابة، فقال: «طيب لقمته» أي اجعلها من حلال تستجب دعوتك. وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام غذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟» وقد أشار ناظم بيوع بن جماعة رحمهما الله إلى بعض ما تقدم من آفات أكل الحرام وفوائد أكل الحلال فقال:

الحمد للواحد ذي الجلال	منور القلوب بالحلال
وجاعل الران على القلوب	بأكلها الربا مع الذنوب
ولم يسجىء في سائر الذنوب	ما جاء في الربا من الحروب
ومن يطلق حرب العزيز القاهر	مع رسوله الكريم الطاهر
وأمر الله بأكل الطيب	وهو الحلال عندنا في المذهب
وجاء أيضاً في الحديث الواضح	عن سيد الخلق الشفيع الناصع
قال لسعد طيب لقمته	مهما أردت تستجاب دعوتك
ومن أكل الحلال أربعين	يوماً أطاع ربه يقيناً
وهكذا بالعكس جاء في الخبر	فابعد عن الربا وحقق النظر
فإنه يذهب أنوار السفكر	حتى يصير القلب أقسى من حجر

تنبيه: قال الشيخ زروق في شرح الوغليسية: قد أجمع الصوفية على وجود الحلال وقالوا لو لم يكن موجوداً للأولياء قوت لأنهم لا قوت لهم سواه وإذا عدم الحلال فأصوله عشرة تجارة بصدق وأجرة بنصح وأعشاب الأرض غير المملوكة وصيد البحر وصيد البر في غير الحرم والإحرام وأقسام الغنائم وأخماسها إذا قسمت بالعدل وصدقة النساء والمواريث ما لم تعلم حرمتها والسؤال عند الحاجة من وجه طيب، اهـ ولبعضهم في ذلك من زيادة ماء الغدر والهدية من أخ صالح:

يا صاح أن للجلال الحر
ومورث حسل وماء الغدر
من حله لله للشكر
والتحر بالصدق وصيد القفر
وتنبت أرض لم تكن لعير
وانفرد الشعالي بالهر
لنص تقييد الجزولي الحبر

عشر أصول وهي صيد البحر
ثم هدية المحب فادر
وصنعة بالشكر لا بالمكر
ثم السؤال عن شديد الفقر
والفيء يقسم بغير جور
فزاده موفقا للعشر
جزاء ربنا بكل خير

اهـ. ويدخل في الحرام الذي يجب حفظ البطن منه: كل ما حرم أكله كالميتة والدم
ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة، وما ذكر معها في الآية بشرطها، وكل ما
يسكر فإنه مذهب للعقل متلف للمال، وسبب العداوة والبغضاء، وما منع من ذكر الله ومن
الصلاة، إلى غير ذلك من المفسدات المترتبة على السكر، ويدخل فيه أيضاً الحشيشة
والقدر الذي يؤثر في العقل من المفسدات كالأفيون، ويدخل في الحرام أيضاً ما أخذ
من أموال الناس من غير حلها إن كان ذلك بغير رضى من أربابها وله عشرة أوجه، أو
برضاهم وله ثمانية عشر وجهاً، ذكر جميعها الجزولي ونظمها من قال:

وأخذ مال الغير إما بالرضى
غضباً تعدياً حرابة ترى
ثم اقتطاعاً ودلالة علم
ثم خديعة وغشاً والذي
وهو الربا ثم القمار والرشي
حلوان كاهن ومهر للبغي
عليهما وأجر حجام كذا
وئمن الصور آلة اللعب
ثم بدا خلافه زيد الغرر
إذا كلفها إلى الحرام
نقل ذا في شرحه الجزولي
عامله الإله باللطف الخفي
فقوله: والاقطاع أي باليمين الكاذبة، وقوله: الدلالة أي أخذ مال الغير بالاستدلال

من به أولاً وذا عشر أصا
سارقة وخلصاة ولا امترا
بكره ربه خيانة وسم
مع الرضى فست عشرة احتذى
وئمن الجاه وقلب لا تشا
وئمن قرد وسننور بفي
ما يأخذ القاضي وشاعر أخذا
نائحة كذا الوصف قد طلب
خلافة والكل يرمي بشرر
والخلف قل في أجرة الحجام
ذي العلم بالفروع والأصول
بفضله ولم يزل بنا حفي

عليه ونحوها أن علم طيب نفس صاحب المال فهو حلال وإن علم أن نفسه لا تطيب به أو جل فهو حرام وهنا هو الذي يعبر عنه العوام بالبشارة على الضالة وكذا ما يؤخذ على وجه الحياء ووصف الكلب بجملة لا تشأ لإفادة أن المراد الذي لا يجوز اتخاذه وقيل ثمنه حرام مطلقاً وسنور بالخفض عطفاً على القرد ومعنى بغى عليهما ظلماً بالبيع تكميلاً للبيت وآله ونائحه بالجر عطفاً على الصور مدخول الثمن وقوله: يرمى بشرر إشارة للتفسير عن هذه الأشياء وحفى بالمهملة أي مكرم خبر زال وقف عليه بالكون على لغة ربيعة اهـ.

فائدة: قال شيخنا الإمام وأستاذنا الهمام العارف الأكبر والكبريت الأحمر القطب الرباني أبو العباس، سيدنا أحمد التيجاني في أثناء وصية له ما نصه: وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت، وتجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب في تقويم الأثمان واقتحام ما حرم الله بنصوص الشرع فإن المنهمك في ذلك يهلك كل الهلاك، ثم إن ألجأته الضرورة إلى أن يأخذ قوته مما حرم شرعاً في الأسواق فليأخذ قدر ما يتقوت به وليكن جارياً في ذلك على حكم المضطر في أكل الميتة، فإنه إنما يأكل بلاغاً وسداً لفاقة لا كسباً وتمولاً، وإياكم أن تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعاً تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين، يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات، فقد صاروا بذلك كأنهم لا تكليف عليهم وهو كذب على الله وزور اهـ. وقال في وصية أخرى: فعلى المؤمن العاقل في إقامة طلب فرض الحلال أن يجتنب ما علمت صورته صورة الغضب والمحرم وما جهل من ذلك وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام وعم الفساد في الأرض كما هو صورة الوقت رجع إلى أصل الحلال الثالث، وهو أن الحلال ما جهل أصله، فإن صورة الحلال كانت في عهده ﷺ ما عرف أصله وأصل أصله ثم انقضت مدة الخلافة ورجعت ملكاً عضوضاً رجع الحلال ما عرف أصله فقط، ولما زاد الفساد وطما بحرته صار الحلال ما جهل أصله وهي المرتبة الثالثة في الحلال، ثم قال: وقولنا في هذا المحل حلال إنما هو حلال عرضي لا أصلي لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه في الأرض واحتياج العبد إلى القوت، فيكون حلالاً بما أعطاه حكم الوقت والضرورة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وكذا قال القطب الكامل الوارث الواصل القدوة الشامل سهل بن عبد الله

التستري رضي الله عنه: لو كانت الدنيا عبطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلال لأن الله تعالى فرض العبادة على العبد وأباح له أن يأكل مما في الأرض حلالاً طيباً أهـ. باختصار، انظر جواهر المعاني وللساحلي رحمه الله في رائيته المعلومة:

وأكل حلال فهو أس طريقنا
فإن قلت لا يلفى حلال بموضع
ولكنه بعد الحراسة دائماً
وإياك لا تبسط يمينك آخذاً
وكن راضياً بالفقر لأنك مكثراً
فقوله: واسعاً صفة لرزقاً طلبه امثالاً لأمر النبي ﷺ فقد كان يستعيز من الفقر.

وَعِلْمًا نَافِعًا

اعلم أن العلم النافع هو الذي اكتسب صاحبه خشية الله جل جلاله قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال في الحكم العطائية: العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك، ولللهالي رحمه الله في نصيحته:

والعلم ما أكسب خشية العليم
لأنه ميراث الأنبياء
لذا قيل العلم يدعو العملا
دليل ذلك إنما يخشى إلى
فاعمل بما علمت تورث علم ما
وقال غيره:

العلم لا ينفع إلا إذا
لو كان بالعلم صلاح الفنى
وفي الحديث: «إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الأرحام لعنهم الله عند ذلك، فأصمهم وأعمى أبصارهم»، وقال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»، وقال ﷺ: «ويل لمن لم يتعلم مرة وويل لمن تعلم ولم يعمل ألف مرة». وعن فضيل بن عياض وأسد بن فرات قالا: بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان، لكن إياك يا أخي أن تترك العلم مخافة

العمل ، فالواجب على العاقل أن يقرأ العلم ويطلب من الله التوفيق للعمل ، ولذلك قال بعضهم : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله ، وجب عليه إذا أراد طلب العلم أن تكون له نية حسنة ، قال في وصلة الزلفى : ثم لا بد من حسن النية في طلب العلم بأن يقصد بذلك امثال أمر الله ورسوله وإحياء شريعته والدخول في سلسلة المنتهية إلى رسول الله ﷺ وأن يعد في جملة مبلغه وحي الله وأحكامه وتنوير قلبه ، وإياك أن تقصد بالعلم الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال والتصدر في المجالس فيحبط عملك ويكشف نور علمك ويضيع تعبك وتكون ممن لم ينفعه الله بعلمه ، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من علم لا ينفع ، فاستعن على تجنب ذلك باعتقاد أنك لا تنال من هذه الأمور إلا ما قدر لك اهـ . فكن يا أخي حثيثاً على طلب العلم مزعجاً جميع جوارحك للخوض فيه بالحفظ والفهم لتنال ما أعد الله لطالبه من الثواب الجزيل والفوز الجميل قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْقِسْطٍ ﴾ [آل عمران : ١٨] وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية : للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام اهـ . والمراد بالدرجة المنزلة الرفيعة ، وما قاله ابن عباس لا يقال من قبل الرأي فحكمه الرفع ، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول : يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم . وأما الأحاديث فقد أخرج الحاكم عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم» ، وقال ﷺ : «لو كان بينك وبين العلم بحار من نار فحضها إليه فإن لكل شيء طريقاً وطريق الجنة العلم» وقال ﷺ : «قلت : يا جبريل أي الأعمال أفضل لأمتي؟ قال : العلم ، قلت : ثم أي ، قال : النظر إلى العالم ، قلت : ثم أي؟ قال : زيارة العالم» ، ثم قال : «ومن كسب العلم لله وأراد به صلاح نفسه وصلاح المسلمين ولم يرد به عرضاً من الدنيا فأنا كفيله بالجنة» :

تعلم ما استطعت لقصد وجهي فإن العلم من سبل النجاة
ومن طلب العلوم لغير وجهي بعيد أن تراه من الهداة
وليس العلم في الدنيا بفخر إذا ما حل في غير النقاة
وقال ﷺ : «لمجلس علم عند الله تعالى أفضل من عبادة ألف سنة لا يعصى الله فيها طرفة عين» ، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء موقوفاً : أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه . وأخرج أبو نعيم من

حديث ابن عباس مرفوعاً: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل». وقال ﷺ: «من عظم عالماً فإنما عظم الله ورسوله، ومن تهاون بعالم فإنما ذلك استخفاف بالله ورسوله»، وقال ﷺ: «من صافح عالماً صادقاً فكأنما صافح نبياً مرسلًا»، وقال ﷺ: «من اتكأ على يده عالم كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة، ومن قبل رأس عالم كتب الله بكل شعرة حسنة»، وقال ﷺ: «من خدم عالماً سبعة أيام فقد خدم الله سبعة آلاف سنة، وأعطاه الله بكل يوم أجر ألف شهيد». وقال ﷺ: «إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر، على بابها ملك ينادي كل يوم: ألا من زار الأنبياء فقد زار الرب تبارك وتعالى، ألا من زار الرب تعالى فله الجنة». وقال ﷺ: «من زار بيت المقدس محتسباً أعطاه الله ثواب ألف شهيد، وحرّم الله جسده على النار، ومن زار عالماً فكأنما زار بيت المقدس». وقال ﷺ: «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله».

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبريل عليه السلام عن ثواب العلماء، فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى خلق مدينة تحت العرش من المسك الأذفر، لها جنة وأنهار في جوفها، ولها سبعون ألف بيت من جوهر طول كل واحدة ألف ذراع وعرضه مثل ذلك، في كل بيت زاوية، في كل زاوية ألف سرير، من سرير إلى سرير ألف فرسخ، على كل سرير ألف فراش، فوق كل فراش ألف حورية، على كل واحدة ألف حلة، لا تواري حلة حلة، ولا تواري الحلة الجلد، ولا يواري الجلد اللحم، ولا يواري اللحم العظم، ولا تواري العظم المخ، ولا يواري المخ العظم، ويرى بعضهم من بعض كما ترى السلكة في الياقوتة البيضاء على رأس كل واحدة ثلاثة آلاف ذؤابة من المسك والعنبر رضي الله هذا الثواب للعلماء وأفضل، وعلى باب المدينة ملك قائم ينادي كل يوم: ألا من زار عالماً فقد زار نبياً، ومن زار نبياً فقد زار العلم، ومن زار العلم فقد دخل الجنة، ألا ومن نظر في وجه محمد ﷺ فقد نظر إلى الله تعالى، ومن نظر إلى الله تعالى فله الجنة».

قال ﷺ: «العلماء إذا أتوا على الصراط تكون وجوههم كالشمس الصافية ونورهم يسعى بين أيديهم وبين يدي كل عالم لواء من نور الجنة يضيء مسير خمسمائة عام وتحت لواء كل عالم من أحبه ومنادي ينادي: هؤلاء أولياء الله، هؤلاء الذين علموا عباد الله، هؤلاء الذين حافظوا على حدود الله، هؤلاء مصابيح الله، فإذا أتوا على الصراط

يوضع على رأس كل واحد منهم تاج لو وضع ذلك التاج في السماء لخرق نوره الأرض السابعة السفلى، ويكسي كل واحد منهم حلة من حلي الجنة لو علقت تلك الحلة بين السماء والأرض لقطع نورها نور السماء»، وقال ﷺ: «العالم سلطان الله في الأرض فمن وقع فيه فقد هلك» وفي الخبر: «يهتز العرش لثلاث: لليتيم إذا ضرب، وللغريب إذا ظلم، وللعالم إذا حقر». وقال ﷺ: «من حقر صاحب العلم فهو منافق ملعون في الدنيا والآخرة»، وقال ﷺ: «من حقر صاحب العلم فقد حقرني ومن حقرني فله النار»، وقال ﷺ: «من أذى عالماً أذله الله على رؤوس الأولين والآخرين».

وقال عكرمة: إياكم أن تؤذوا أحداً من العلماء فإن من أذى عالماً فقد أذى رسول الله ﷺ، وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم لتعلمها إياه». ول بعضهم في معنى هذا الحديث فقال:

تعلم العلم وعالم مسلماً فإن تعلم العلوم صدقة
وقد روي عن النبي خيراً في ذلك المعنى رواه صدقة
قال ابن عساكر: إياكم ولحوم العلماء فإنها مسمومة وعادة الله فيمن أذاهم معلومة ولمن أطلق فيهم لسانه بالثلب أي السب ابتلاه الله بالتسلب نسأل الله العافية ورحم الله من قال:
لحوم أهل العلم مسمومة ومن يعاديهم سريع العطب
ومن قال:

والعلماء أنجم للوقت مؤذيتهم استحق كل المقت
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبوا فلا تبغضوهم، وفي الجامع الصغير: ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق بين النفاق ذو الشبهة في الإسلام وذو العلم وإمام مقسط، وعن الشافعي رضي الله عنه: من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فإنه حياة القلوب ومفتاح البصائر اهـ.
ولسيدنا علي رضي الله عنه:

الناس من جهة التمثيل أكفاء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة
فإن لم يكن لهم أصلهم نسب
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم
أبوهم آدم والأم حواء
وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
يفاخرون به فالطين والماء
على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
ومن قال :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
وإن امرأ لم يحيى بالعلم ميت
ومن قال :

أخو العلم حي خالد بعد موته
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
ومن قال :

أولو العلم أهدى العالمين طريقة
هم الوارثون العلم من سيد الورى
فهم سرج الدنيا وعدة ربنا
ومن قال :

تعلم فإن العلم زين لأهله
وكن مستفيداً كل يوم زيادة
تفقه فإن الفقه أفضل قائد
هو العلم الهادي إلى سنن الهدى
فإن فقيهاً واحداً متورعاً
وللإمام الشافعي رحمته الله :

رأيت العلم صاحبه شريف
وليس يزال يرفعه إلى أن
ويتبعونه في كل حال
ويحمل قوله في كل أفق
فلولا العلم ما سعدت رجال
فبالعلم النجاة من المخازن
هو الهادي الدليل إلى المعالي
كذلك عن الرسول أتى عليه
وللقشاني رحمته الله :

والجاهلون لأهل العلم أعداء

فأجسامهم قبل القبور قبور
فليس له حق النشور نشور

وأوصاله تحت التراب رميم
يعد من الأحياء وهو عديم

بهم يهتدي في معضلات الحوادث
نبي الهدى والعلم خير الموارث
وتلك يمين لست فيها بحانث

وفضل وعنوان لكل المحامد
من العلم واسبح في بحور الفوائد
إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
أشد على الشيطان من ألف عابد

ولو ولدته أباه لثام
تعظم أمر القوم العظام
كراعي الضان نتبعه السوام
ومن بك عالماً فهو الإمام
ولا عرف الحلال ولا الحرام
وبالجهل المذلة والرغام
ومصباح يضيء به الظلام
من الله التحية والسلام

إذا ما اعتز ذا علم يعلم فعلم الفقه أشرف من اعتزاز
فكم طيب يفوح ولا كمسك وكم طير يطير ولا كباز
وكان سيدي علي الخواص عليه السلام يقول: ليس أحد من الأمة أحب إلى رسول الله
من العلماء لأنهم حملة شريعته وأمنائه على أمته، فمن أبغض عالماً فقد أبغض من
أحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن كان كذلك فهو عدو لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كان عدواً لرسول
الله صلى الله عليه وآله فهو عدو لله عز وجل ومن كان عدواً لله عز وجل فهو عدو للخلق أجمعين،
وقال عليه السلام: «موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وموت قبيلة أيسر من موت عالم
وهو نجم طمس»، وفي رواية: «موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً»،
وقال بعض الحكماء: العجائب عامة وفي آخر الزمان أعم والنوائب طامة، وفي أمر
الدين أطم المصائب عظيمة وموت العلماء أعظم، والله در القائل:

إذا مات ذو علم حكيم
وموت العابد المرضي نقص
وموت الحاكم العدل المولى
وموت فتى كثير الجود محن
وموت لفارس الضرغام هزم
فدونك خمسة يبكي عليهم
وقال الآخر:

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولكن الرزية فقد خير
ولا شاة تموت ولا بعير
يموت بموته بشر كثير

وقال عليه السلام: «معلم الناس الخير إذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الأرض وحيثان
البحور»، وقال عليه السلام: «من لم يحزن لموت العالم فهو منافق فإنه لا مصيبة أعظم من موت
العالم، وإذا مات العالم بكت السموات وسكانها سبعين يوماً، ما من مؤمن يحزن لموت
العالم إلا كتب الله له ثواب ألف عالم وألف ألف شهيد ورفع له ألف ألف درجة»، وقال
عليه السلام: «اكتبوا العلم فإن الله عز وجل ملائكة في السماء السابعة يستغفرون للعلماء والمتعلمين
والفقهاء، وأعطاهم الله بكل حرف ثواب نبي من الأنبياء ويكتب له بكل يوم ألف حسنة ويرى
له بكل يوم عمل ألف شهيد»، قال عليه السلام: «من أغبرت قدماء في طلب العلم حرم الله جسده
على النار واستغفر له ملكان، وإن مات في طلبه مات شهيداً وكان قبره روضة من رياض الجنة

يوسع له في قبره مد بصره وينور على جيرانه أربعين قبراً عن يمينه وأربعين قبراً عن يساره وأربعين عن خلفه وأربعين أمامه ونوم العالم عبادة ومذكراته تسبيح ونفسه صدقة وكل قطرة تنزل من عينه تطفئ بحراً من جهنم فمن أهان العالم فقد أهان العلم ومن أهان العلم فقد أهان النبي ﷺ ومن أهان النبي ﷺ فقد أهان جبريل ومن أهان جبريل فقد أهان الله عز وجل ومن أهان الله عز وجل أهانه الله يوم القيامة» وروي أيضاً مرفوعاً: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرابة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبل الجنة، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يهتدي بهم أدلة في الخير نقص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه ودواب البر وإنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة أبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبدونه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو أمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء»، نسأل الله حسن التوفيق له وفي هذا القدر كفاية والله تعالى يهدينا إليه أحسن هداية.

تنبيهان:

الأول: قال الشعراني في العهود: جميع ما ورد في العلم والعمل إنما هو في حق المخلصين، فإياك يا أخي والغلط فإن الناقد بصيراً اه: قال ﷺ: «الناس كلهم هلكي إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكي إلا المخلصون على خطر عظيم»، وعن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله في بعض الكتب -أو: أوحى إلى بعض الأنبياء - : قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخادعون بي يستهزئون، لأتبحن لهم فتنة نذر الحليم فيهم حيراناً»، وعن عبد الله بن أبي صالح قال عيسى: يا معشر القراء والعلماء كيف تضلون بعد علمكم أو تعملون بعد بصركم من أجل دنيا دنية وشهوة ردية، فلكم الويل عليها ولها الويل منكم.

الثاني: قال القلشاني العلم آداب أهمها أن يقصد بتعلمه وتعليمه وجه الله وأن يتخلق حامله بالمخاسن التي رغب الشرع فيها من الزهد والخشوع والوقار والتواضع والخضوع لأهل الديانة والعلم والتنزه عن دنى الاكتساب والحلم وطلاقة الوجه وحسن البشر ولا ينال العلم إلا الصبر والعناية التامة والملازمة، قال ابن رشد: من أفضل ما يستعان به على طلب العلم تقوى الله لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال عليه السلام: «العلم نفور لا يألف إلا قلب تقي»، وقال الشافعي عليه السلام:

شكوت إلى وكيع سوء فهمي
وقال بني إن العلم نور
وقال أبو إسحاق التنوخي عليه السلام:

فأرشدني إلى ترك المعاصي
ونور الله لا يوتاه عاصي
جدوى العلوم سلوك نهج أقوم
يعمل به فكأنه لم يعلم
ولأبي القاسم بن جزي الكلبي من أبيات:

ومن لم يفده طلاب العلوم
فخير له الجهل من علمه
وللقاضي العلامة علي بن عبد العزيز التبرجاني، وقد أحسن رحمه:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا
ولو عظموه في النفوس لعظما
محياه بأطماع حتى تجهما
ومن قال:

العلم نور فلا تهمل مجالسه
لو كان للعلم من دون التقى شرف
واعمل جميلاً يرى فالفضل في العمل
لكان أفضل خلق الله إبليس
قال سيدي الطالب بن الحاج في كتابه الأزهار الطيبة النشر ما نصه: ولسيدنا الوالد
قدس الله سره من قصيدة في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل عارض بها قصيدة
ابن الوردي:

واتق الله فبالعلم الفتى
جهلة انجى له من علمه
يتحلى برجاء ووجل
إن تخلى عن صلاح وعمل
وقال القلشاني في شرح الرسالة: من علم وعمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم
وأثيب على العلم والعمل ومن علم ولم يعمل أثيب على العلم واستحق عقوبة العصيان

بترك العمل ومن لم يعمل عصى الله من الوجهين، وأما من عمل بلا علم فقال الجزولي عمله غير صحيح فهو كلاً عمل اهـ. ونحو هذا التقسيم للقرافي اهـ منه، وفي الحديث كما رواه صاحب الأحياء اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، قال شارحه الشيخ مرتضى: وهو ما لم يؤذن في تعليمه أو ما لا يصحبه عمل أو ما لا يهذب الأخلاق الباطنة فيسرى منها إلى الأخلاق الطاهرة ويفوز بها إلى الثواب الأجل، وأنشدوا في هذا:

يا من تقاعد عن مكارم خلقه ليس التفخر بالعلوم الزاخرة
من لم يهذب علمه أخلاقه لم ينتفع بعلومه في الآخرة
اهـ. منه بلفظه، وقال أحمد بن عمر الأزهرى رحمه الله:

أخا العلم بادر للمعالي ولاتني وجد إلى أن تبلغ الغاية القصوى
وما العلم إلا ما أفادك قوة تنال بها عزا وتناد للتعوى

وولداً صالحاً

طلب من الله تعالى أن يرزقه ولداً صالحاً لأنه من الأعمال التي لا تنقطع بالموت كما في الحديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم يبثه في صدور الرجال وفي هذا الحديث تحريض الولد المسلم على الدعاء الصالح لوالديه وقد استقرأ الجلال السيوطي من الأحاديث إحدى عشرة خصلة ينتفع بها صاحبها بعد الموت ونظمها في قوله:

إذا مات ابن ليس يجرى عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجلى وغر س النخل والصدقات تجري
ورائة مصحف ورباط ثغر وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى إليه أو بناه محل ذكر
وتعليم لقرآن الكريم فخذها من أحاديث بحصر

فعدّ إحدى عشر خصلة مع قوله في البيت الأول أنها عشر، ولعله اقتصر على العقد وألغى الزائد ليسارته أو جعل بث العلم وتعليم القرآن واحداً لأن تعليم القرآن من بث العلم، وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» ولفظ البيهقي: «بدعاء ولدك لك» ذكره السيوطي في كتابه شرح الصدور.

وَصَاحِباً مُوَافِقاً

المراد بالصاحب الموافق: الخل الوفي الذي يكون مع صاحبه لا مال مقسوم ولا سر مكتوم، وقد رغب العلماء في اتخاذه كما أشار لذلك من قال:

صاحب ذوي الفضل تسعد من كرامتهم واخدمهم صادقاً وأصدقهم خيراً
 كم صحبة طوقت من يمنها دررا وصحبة أورثت من شؤمها ضرراً
 وشاهدي كلب أهل الكهف مع ضعة من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا
 وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بإخوان الصفاء فإنهم زينة في الرخاء وعصمة
 في البلاء». وروى ابن الزبير عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «المرء كثير بأخيه،
 ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى»، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
 لقاء الإخوان جلاء الأحزان، وقال خالد بن صفوان: إن أعجز الناس من قصر في طلب
 الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وقال علي كرم الله وجهه لابنه الحسن:
 «يا بني الغريب من ليس له حبيب»، وقال ابن المعتز: من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً،
 وقال بعض الأدباء: أفضل الذخائر أخ وفي، وقال بعض البلغاء: صديق مساعد عضد
 وساعد، وقال بعض الشعراء:

هموم رجال في أمور كثيرة وهمي من الدنيا صديق مساعد
 نكون كروح بين جسمين قسمت فحسماهما جسمان والروح واحد
 اهـ. ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين، وقال ﷺ: «أكثرُوا من الإخوان فإن الله
 حيّ كريم يستحي أن يعذب عبده بين إخوانه»، وقال ﷺ: «عليكم بإخوان الصدق فمنهم
 معونة على حوادث الزمان وشركاء في السراء والضراء» وقيل لحكيم: ما أحسن العيش
 قال: إقبال الزمان وعشرة السلطان وكثرة الإخوان:

ما ضاع من كان له صاحب يقدر أن ترفع من شأنه
 وإنما الدنيا بسكانها وإنما المرء بإخوانه
 وسيدنا علي كرم الله وجهه في معناه:
 عليك بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
 وليس كثيراً ألف خل وصاحب وإن عدواً واحداً لكثير
 اهـ. قال الزمخشري في ربيع الأبرار: قال سقراط: أنفع ما اقتناه الإنسان الصديق

المخلص، قيل لفيلسوف: ما الصديق؟ فقال: اسم بلا مسمى. قال فضيل لسفيان: دلني على أخ أركن إليه؟ فقال: تلك ضالة لا توجد. قال أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله: سألت الناس عن خل وفي فقالوا مالي هذا سبيل تمسك إن ظفرت بذيل حر فإن الحر في الدنيا قليل قيل: أبعد الناس سفاهاً من كان سفره في طلب أخ صالح. قال أبو الحسن رحمه الله: تطلبت في الدنيا خليلاً فلم أجد وما أحد غيري لذلك واجد فكم مضمراً بغضاً يريك محبة وفي الزند نار وهو في اللمس بارد وقال بعض الصوفية: إذا صح الود سقطت شروط الأدب وقال بعض العارفين: إذا ما حبال الود تشتد بيننا فلا شك أن يطوي بساط التكلف وقال سيدنا علي كرم الله وجهه شرط الألفة ترك الكلفة اهـ.

وَسْنَا طَوِيلًا فِي الْخَيْرِ مُشْتَغَلًا بِالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ

إنما طلب من الله تعالى السن الطويل في الخير المشتغل بالعبادة الخالصة لأن الأمم التي كانت قبلنا كانت أعمارهم طويلة ومن الإيمان خربة وصحائفهم من الحسنات خالية، وإلى ذلك أشار في الحكم العطائية: رُبَّ عمر اتسعت أماده وقلَّت أمداه، ورُبَّ عمر قليلة أماده كثيرة أمداه. قال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه قلت لأبي سليمان الداراني رضي الله عنه: قد غببت بني إسرائيل، قال: بأي شيء؟ قلت: بثمانمائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالأوتار، قال: ما ظننت إلا وقد جئت بشيء لا والله ما يريد الله لنا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذلك في عمره، قاله ابن عباد.

وَخُلِقْنَا حَسَنًا

اعلم أن الخلق المحسن من أوصاف نبينا ومولانا رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقال ﷺ: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «خلق حسن»، وقال ﷺ: «ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار»، وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولما خلق الإيمان قال: اللهم قوتي، فقواه بحسن الخلق والسخاء،

ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوتي، فقواه بالبخل وسوء الخلق»، وقال ﷺ: «حسن الخلق خلق خلق الله الأعظم»، وقيل: يا رسول الله المؤمنين أفضلهم إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً» وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» وقيل: فيم التجمل؟ قال: «في لطف الكلام وإظهار البشر والابتسام، فمن لقي الناس بالإحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يخف عليهم جانبه ويحمد إخاؤه»، كما قال:

إذا حوت خصال الخير أجمعها فضلاً وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرزه والشكر من خلقه في السر والعلن
وقال ﷺ: «من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت أحوالته وطمئت القلوب إلى لقائه وتناقشت في مودته»، وقال الحسن البصري سعة الأخلاق منحة من الله فإذا أراد الله بعبده خيراً منحه خلقاً حسناً ويقال إن في التوراة يا موسى ليكن وجهك بساماً وكلامك ليناً تكن أحب إلى الناس وإلى ممن يعطيهم الذهب والفضة وأما صدق قول القائل:

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق
وقال ﷺ: «ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا؟ من وصل من قطعه وعفا عن من ظلمه وأعطى من حرمه»، ونظمه من قال:

مكارم الأخلاق في ثلاثة من كملت فيه فذاك الفتى
إعطاء من يحرمه ووصل من يقطعه والعفو عن من اعتدى
وقال الحسن بن مطير يفتخر:

أحب مكارم الأخلاق جهد وأكره أن أعيب وأنا أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً وشمر الناس من يهوي السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

وقال بعض البلغاء: الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسيء الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء. وقال بعض الشعراء:

إذا لم تتسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد
إذا ما المرء يخلق لبيباً فليس اللب عن قدم الولاد

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» وقال بعض الحكماء: إن سعة الأخلاق كنوز الأرزاق، ولذلك قال

النبي ﷺ: «أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون».

وَعَمَلًا صَالِحًا مُتَقَبَّلًا

العمل الصالح: هو ما اجتمعت فيه خصال أربعة: العلم، والنية، والإخلاص، والصبر. وأشار لها شيخنا العلامة الشيخ سيدي الحاج محمد كنون بلّ الله ثراه بوابل الرحمة بقوله:

وفسرن صالح الأعمال بجامع لهذه الخصال العلم والنية والإخلاص والصبر ليس عنه من مناص أما العلم فدليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] والإجماع لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وأما النية فدليلها قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» الخ الحديث، وأما الإخلاص فدليله قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [البينة: ٥]، أما الصبر فدليله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقوله: متقبلاً صفة لعملاً لأن العمل إذا كان صالحاً ينشأ عنه القبول.

وَتُوبَةً مَقْبُولَةً

التوبة المقبولة: هي التي لا يعود صاحبها إلى الذنب الذي تاب منه فإن كان يتوب ويعود فهي توبة الكذابين، قال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه»، لكن ينبغي للمؤمن كلما أذنب ذنباً أن يتوب منه لقوله ﷺ: «إن الله يحب العبد كلما أذنب تاب».

وَدَرَجَةً رَفِيعَةً

المراد بالدرجة الرفيعة: جنة الفردوس والنظر إلى وجه الله العظيم لقوله ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنان».

وَأَمْرًا مَوْمِنَةً طَائِعَةً

المرأة الطائعة: هي التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] والمراد بها المرأة الصالحة، أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة». قال في روح

البيان: وعن النبي ﷺ أنه قال: «خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» وتلا ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ۳۴] قال: «وعلاوة الزوجة الصالحة عند أهل الحقيقة أن يكون حسنها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة أي التكفف عن الشرور والمفاسد وعبادتها بعد الفرائض حسن الخدمة للزوج واهتمامها بالاستعداد للموت» اهـ.

اللَّهُمَّ لَا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ

طلب من الله تعالى أن يديم ذكره على لسانه ولا ينسيه إياه لقوله ﷺ في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» الخ، وقد تقدم لفظه فقوله: تنسني بضم التاء وكسر السين مشددة مضارع نسي بالتضعيف وذكرك مفعول به.

وَلَا تُؤَلِّنِي غَيْرَكَ

طلب من الله تعالى أن يتولاه في جميع أموره وأن لا يوليه غيره لأن تولي الله تعالى لعبده ناشيء عن كمال الإيمان به قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ۲۵۷]

وَلَا تُؤْمِنِي مَكْرَكَ

طلب من الله أن يؤمنه مكره امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ۹۹] وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: «لا تأمن مكري وإن أمنتك». وقال القطب مولانا عبد القادر الجيلاني رحمته: أخذت على الله سبعين موثقاً أن لا يمكر بي، فقبل له: وكيف أنت؟ قال: أتلو قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ۹۹]، واعلم أنه لا تجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء لأنه مفهوم عند الخلق، فالمعنى: لا تؤمني جزاؤك وعقابك من حيث لا أشعر به.

وَلَا تُكْشِفْ عَنِّي سِتْرَكَ

طلب من الله تعالى أن لا يكشف عنه ستره والمزاد بالستر هنا أن لا يفضحه يوم القيامة ويستره برحمته فهو على حذف المضاف إليه، أي: ستر رحمتك، شبهت الرحمة بالستر في كون كل منهما سبباً لإخفاء عيوب المرحوم أو المستور عن الخلائق وأضيف المشبه به إلى المشبه على طريق لجين الماء على هذا فالإستعارة في لفظ الستر ويمكر أن يقال شبهت الرحمة بالستر وذكر المشبه به وأريد المشبه على طريق استعارة المصريح بها والمعنى على كلا التقديرين ولا تدفع عني رحمتك التي هي بمنزلة الستر لئلا أكون مفتضحاً عند الخلائق إذ إختفاء عيوبي ليس إلا برحمتك وعفوك.

وَلَا تُقْنِطْنِي مِنْ رَحْمَتِكَ

أي: لا تقطع رجائي فيك ولا تؤيسني من رحمتك قال تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ كَنَفِكَ وَجَوَارِكَ

أي: لا تطردني من سترك ولا تحجبني عن جوارك أي أمنك مما أخاف، فقوله: تُبْعِدْنِي بضم التاء وفتح الباء وكسر العين مشددة وقوله: كنفك بفتح الكاف والنون أي سترك، وقوله: جوارك بكسر الجيم المراد به الخفير يقال: خفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه فأنا خفير أي مجير.

وَأَعِزَّنِي مِنْ سَخَطِكَ وَغَضَبِكَ

أي: اعصمني من الوقوع في المعاصي التي توجب سخطك وغضبك فقوله: أعزني بكسر العين وسكون الذال المعجمة، وقوله: سخطك بفتح السين المهملة والخاء المعجمة أي غضبك وعطف الغضب على السخط عطف تفسير.

وَلَا تُؤْيِسْنِي مِنْ رَحْمَتِكَ

أي: أتمم علينا يا ربنا نعمة الإيمان ولا تسلينا منها بالفضل عنك والإحسان حتى لا تيأس من رحمتك وروحك أي: روح قربك ووصلك قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] فقوله: روحك بفتح الراء وسكون الواو أي رحمتك ورزقك قاله في المختار.

وَكُنْ لِي أُنَيْسًا مِنْ كُلِّ رَوْعَةٍ

الروعة - بفتح الراء وسكون الواو - والمراد بها هنا: البلاء المخوف، والمعنى: كن لي أنيساً في كل بلية مخوفة بحيث لا أشعر بتلك البلية في لذة أشك وشهودك فلا أخاف منها في تلك اللذة وهذا المقام هو أعلى المقامات للطالب في دفع البلايا كما يشعر به كلام مولانا عبد القادر الجيلاني رحمته الله فإنه ذكر هذا المقام وأخرج جميع المقامات في التعديد على سبيل الترقى حيث قال: لا تختار النعماء بلا رفع البلوى والعماء واصله إليك إن كانت قسمك استجلبتها أم كرمتها والبلوى حالة بك إن كانت مقتضية عليك سواء كرهتها ودفعتها عنك بالدعاء أو تصبرت وتجلدت لرضى المولى بل

سلم في الكل فيفعل الفعل فيك فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر وإن كانت البلى فاشتغل بالصبر والصبر والموافقة والرضى والتنعم بها والعدم والفناء فيها على قدر ما يعطى عن الحالات اهـ.

وَخَوْفٍ وَخَشْيَةٍ

الخوف والخشية بمعنى واحد، وترد خشي بمعنى علم، وبمعنى كره.

فمن الأول قوله:

ولقد خشيت بأن من تبع الهدى سكن الجنان مع النبي محمد
ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] إلخ، وقد طلب من الله
تعالى أن يؤمنه من مخوف ولا أخوف للعاقل من سوء الخاتمة ختم الله لنا بالحسنى،
والخشية هي شدة الخوف قال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١]

وَوَحْشَةٍ وَغُرْبَةٍ

الوحشة بين الناس: هي الانقطاع وبعد القلوب عن المودات قاله في المصباح،
وقال في المختار: الوحشة الخلوة والهم، والغربة - بضم الغين المعجمة وسكون الراء -
بوزن غرفة بمعنى الاغتراب وهو التباعد عن الأقارب والأحباء.

وَأَغْصِنِي مِنْ كُلِّ هَلَاكَةٍ

أي: واحفظني يا رب من ما يهلك الإنسان ويتلفه، فقوله: هلكة - بفتح الهاء
واللام - على وزن قصبة بمعنى الهلاك.

وَنَجِّنِي مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَأَفَةٍ وَعَاهِيَةٍ وَعُصْبَةٍ وَمِحْنَةٍ

البلية: الامتحان والاختبار، والآفة: غرض يفسد ما يصيبه وهي العاهة: فهي
عطف تفسير على ما قبله، والعصبة - بضم الغين وفتح الصاد مشدداً - : ما غص به
الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه، والمحنة - بكسر الميم وسكون الحاء وفتح
النون - : واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بلية وشدة، والمعنى أن الذاكر طلب
من الله تعالى أن ينجيه ويحفظه من هذه الأوصاف الذميمة ليكون على أكمل الحالات
ويتفرغ لعبادة ربه في كل الأوقات عليه الصلاة والسلام إذا سألتم الله فاسألوه العافية.

وَزَلْزَلَةٌ وَشِدَّةٌ

الزلزلة - بفتح الزاءين بينهما لام ساكنة-، قال في الخازن: الزلزلة شدة الحركة الحال الهائلة ووصفها الله تعالى بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى قيل هي من أشراط الساعة قبل قيامها، قيل: تزلزل من شدة صوت إسرافيل ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء اهـ. منه في موضعين، وفي الدر المنثور عن عمران ابن حصين قال: لما نزلت ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] نزلت عليه هذه وهو في سفر فقال: «أتدرون أي يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة» فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية، فتؤخذ العدة من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين، وما مثلكم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير»، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبروا ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبروا ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبروا. قال: فلا أدري قال الثلثين أم لا اهـ منه. والمراد بالزلزلة هنا: الشدة في العيش، والشدة - بكسر الشين المعجمة مشدداً - عطف تفسير عليه.

وَإِهَانَةٌ وَذَلَّةٌ

الإهانة - بكسر الهمزة-: المذلة والاستهزاء والاستخفاف، والذلة - بكسر الذال المعجمة-: ضد العز، قال العريزي: هي أن يكون ذليلاً بحيث يستخفه الناس وينظرون إليه بعين الاحتقار.

وَعَلْبَةٌ وَقَلَّةٌ

العلبة - بفتح الغين المعجمة واللام والباء الموحدة-: بمعنى القهر، والقللة - بكسر القاف-: الفقر والفاقة والاضطرار، وقال العريزي: القلة - بكسر القاف- قلة المال بحيث لا يجد كفافاً اهـ.

وَجُوعٌ وَعَطَشٌ

الجوع: هو عدم الطعام حتى تشتغل حرارة في القلب والعطش عدم الشرب حتى

تفرط الحرارة في البدن وكلاهما مؤد إلى الهلاك أعاذنا الله منهما، وقد استعاذ النبي ﷺ من الجوع، ففي الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع، ومن الجوع فإنه بشس الضجيع» ذكره السيوطي في الجامع الصغير، قال العزيزي: استعاذ منه لأنه يمنع استراحة البدن ويحلل المواد المجمودة فلا بدل ويشوش الدماغ ويورث الوسواس ويضعف البدن عن القيام بوظائف العبادات ولهذا حض الناس على اتخاذ الأقوات ليكون مطمئناً في عبادته مخلصاً لله فارغ القلب مما يشوشه، ولأبي علي بن رحال رحمه الله:

إياك والتفريط في الأقوات
وكل هم دونه قد يسهل
مع فتنة ومحنة قد عظمت
لا سيما في غربنا وشبهه
فالقوت روح الجسم والحياة
وقال بعضهم: المراد به الجوع الصادق وله علامات منها أن تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان فمهما طلب خبزاً بعينه وطلب أدماً فليس ذلك بجوع أي صادق وقيل علامة الجوع أن يبصق فلا يقع الذباب عليه لأنه لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فدل ذلك على خلو المعدة اهـ.

وَفَقْرٍ وَفَاقَةٍ

اعلم أن الفقر مصيبة عظيمة وقد استعاذ رسول الله ﷺ منه، ففي الحديث: «اللهم إني أعوذ من الكسل والهرم والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»، ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وفي الأحياء قال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» قال شارحه الشيخ مرتضى، قال العراق: رواه أحمد الطبراني في الكبير الأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ: «نعم»، وقال: «للمرء» اهـ. وقد مدح الشعراء كثير الدراهم الدنانير، فما أنشده بعضهم في مدح الدراهم:

أرسلت في حاجتي رسولاً
يكنى أبا درهم فتمت
ووجهه أبيض نقبي
له رقاب الأتنام ذلت

لو لم يكن درهم رسولي
وقال ابن فارس اللغوي:

لم تبلغ النفس ما تمننت

إن كنت في حاجة مرسلأ
فارسل حكيمأ ولا توصه
وقال البستي رحمه الله:

أنت بها كلف مغرم
وذاك الحكيم هو الدرهم

الناس أعوان من والته دولته
سبحان من غير مال بأقل حصر
وقال آخر:

وهم عليه إذا عادته أعوان
وبأقل في ثراء المال سبحان

إن الدراهم لنا
تقضي الحوائج لمن
وقال الغني سني كبير والفقير دني، ويقال: قيمة كل امرئ ما معه:

من كل داء شافية
حملها بالخاصية

ولا تساوي درهماً واحداً
سمع قيس بن عبادة يقول في دعائه: «اللهم ارزقني حمداً ومجداً فإنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال، اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه» وأشار بهذا إلى قول الشاعر:

ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله
وقال آخر:

ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

يعير الغني ثوب المكارم للفتى
ومر موسى بالشعبي فتزحزح له، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت ذا المال مهيباً.
وقال الشاعر:

وإن كان من ثوب المكارم عارياً

يعير الغني ثوب المكارم للفتى

ومر موسى بالشعبي فتزحزح له، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت ذا المال مهيباً.

وقال الشاعر:

إني وجدت الغني زيناً لصاحبه
إن المقلين لا تنسى ذنوبهم
وكان العباس رضي الله عنه يقول: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو

في أهله وفقير القوم محقور

وذنب ذي المال عند النار مغفور

إني وجدت الغني زيناً لصاحبه

إن المقلين لا تنسى ذنوبهم

وكان العباس رضي الله عنه يقول: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو

عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء، فهو أحلى من الشهد وأزكى من الورد،

خطؤه صواب وسيئاته حسنات، وقوله مقبول، يرفع مجلسه ولا يمل حديثه؛ والمفلس

عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص، لا يسلم عليه إن قدم ولا

لا يسلم عليه إن قدم ولا

يسأل عنه إن غاب، إن حضر ازدروه وإن غاب شتموه وإن غضب صفعوه، مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة، وقال بعضهم: طلبت الرحمة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا بعينها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الأقران فلم أر قريناً أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت إلى كل ما يذل القوي ويكسره فلم أر شيئاً أذل ولا أكثر من الفاتحة قال الشاعر:

وكل مقل حين يغدو لحاجة
وكانت بنو عمي يقولون مرحباً
وقال آخر:

المال يرفع سقفاً لا عماد له
وقال آخر:

جروح الليالي ما لهن طبيب
وحسك أن المرء في حالة فقره
ومن يغترر بالحادثات وصرفها
وما ضرني أن قال أخطأت جاهل ..
وقال آخر:

لعمرك أن المال قد يجعل الفتى
وما رفع النفس الدنية كالغنى
وقال ابن الأحنف رحمه الله:

يمشي الفقير وكل شيء ضده
وتراه مبغوضاً وليس بمذنب
حتى الكلاب إذا رأت زائروه
وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً
وقال آخر:

فقر الفتى يذهب أنواره
والله ما الإنسان في قومه
ومما ينسب لسعد الدين التفتازاني رحمه الله:

مثل اصفرار الشمس عند المغيب
إذا بلى بالفقر إلا غريب

جمعت فنون العلم أبغى بها العلى
تبين لي أن العلوم بأسرعها
وقيل:
لم ير ذو الحاجة في حاجة
وقيل:
على الحاجة أقفال ثقال
قيل: الدرهم حاكم صامت وعدل ساكت وخاتم من الله نافذ ولهذا سمي الدينار ديناراً،
ولهذا عظم وعيد من احتبسه وكنزه فإنه كمن احتبس حاكماً للناس تمشي به أمور معاشهم،
وقال بعضهم: أمور الدنيا تدور على ثلاث مدورات: الدينار، والدرهم، والرغيف.
وقيل:
ما رسل أسرع من النجاح
وقيل:
نعم المعين على المروءة للفتى
لا شيء أنفع للفتى ما ماله
وإذا رمته يد الزمان بسهمه
ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار، وقال آخر:
ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
يعظمون أخوا الدنيا فإن وثبت
وقال بعض الفرس: من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كذاب.
وقال الزمخشري:
وإذا رأيت صعوبة في مطلب
وابعثه فيما تشتهيه فإنه
وما أطف قول القائل:
من كان يملك درهمين تعلمت
وتقدم الإخوان فاستمعوا له
لولا دراهمه التي في كيسه
إن الغني إذا تكلم بالخطأ
ويمنعني مما أحاوله القل
فروع وإن المال حقاً هو الأصل
أقضى من الدرهم في كفه
مفتاحها الهدايا في الظلام
من أبيض مدور الصفاح
مال يصون عن التبذل نفسه
يقضي حوايجه ويجلب أنسه
غدت الدراهم دون ذلك ترسه
فكلما انقلبت يوماً به انقلبوا
يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا
فاحمل صعوبته على الدينار
حجر يلين قسوة الاحجور
شفتاه أنواع الكلام مقالا
ورأيته بين الورى مختالا
لرأيته أسوء البرية حالا
قالوا صدقت وما نطقت محالا

وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم
 إن الدراهم في المواطن كلها
 وهي الكلام لمن أراد فصاحة
 ومثل هذا قول القائل:

أخطأت يا هذا وقلت ضلالاً
 تكسوا الرجال مهابة وجلالاً
 وهي السيوف لمن أراد قتالاً

وإن قال قولاً تابعوه وصدقوا
 فإن زال عنه المال يوماً تفرقوا

والمراء يحقر إن قلت دراهمه
 وعن النبي ﷺ: «لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته
 ويستغني به عن خلق ربه»، وللإمام الشافعي رحمته الله:

لقد طفت في شرق البلاد وغربها
 فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى
 وقال بعضهم:

لا بد للمراء من مال يعيش به
 وقال سفيان الثوري: المال في هذا الزمان عز للمؤمن، وقال: المال سلاح المؤمن
 في هذا الزمان، وقال: لأن أخلف عشرة آلاف يحاسبني الله عليها أحب إليّ من أن
 أحتاج إلى الناس. وكانت له بضاعة يقلبها ويقول: لولا هذه لتمندل بي بنو العباس.
 قيل: هي ألف دينار، وقيل:

حياة بلا مال حياة ذميمة
 وقال آخر في معنى الدنيا والدرهم:

والهم آخر هذا الدهر هم الجاري
 معذب القلب بين الهم والنار
 وقوله: وفاقه هي بمعنى الفقر والحاجة، وافتاق الرجل افتقر فهي عطف تفسير على ما قبلها.

وَضِيقٌ وَفْتَنَةٌ

الضيق - بفتح الضاد وسكون الياء-: ذهاب المال وشدة العيش والفتنة بكسر الفاء
 وسكون المثناة فوق المحنة والابتلاء.

وَوَبَاءٌ وَبَلَاءٌ

الوباء - بالهمزة - : مرض عام يمد ويقصر، والبلاء - بفتح الباء ممدوداً - : الامتحان بالشر، وقد كان ﷺ يستعيد من الوباء كما كان يستعيد من الطاعون.

وَعَرَقٌ وَغَرَقٌ

الغرق - بفتح الغين والراء - : مصدر غرق من باب تعب، قال في المصباح : حكى في البارع عن الخليل : الغرق الراسب في الماء من غير موت فإن مات غرقاً فهو غريق مثل كريم اهـ. وقال العلقمي : الغرق - بفتح الراء - مصدر، وهو الذي غلبه الماء وقوي عليه فأشرف على الهلاك ولم يغرق فإذا غرق فهو غريق، والحريق - بفتح الحاء والراء المهملتين - : أي الالتهاب بالنار، قال العزيزي : وإنما استعاذ - يعني النبي ﷺ - من الهلاك بهذه الأسباب مع ما فيه من نيل الشهادة لأنها مجهدة مقلقة لا يكاد الإنسان يصبر عليها ويثبت عندها فربما استزله الشيطان فحمله على ما يخيل بدينه اهـ.

وَبَرَقٌ وَسَرِقٌ

البرق - بفتح الباء وسكون الراء - : معروف وهو لمعان يظهر من خلال السحاب. والسرق - بفتح السين والراء - : مصدر سرق المتاع، وقد طلب الذافر النجاة من البرق وذلك لأن الله تعالى خوف به عباده فقال : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢]، وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال : «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله» قالوا : فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال : «زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت»، قالوا : صدقت. وقد جاء تفسيره في حديث آخر وهو : «سوط من نور تزجر الملائكة به السحاب».

فائدة: قال ابن عباس : من سمع صوت الرعد، فقال : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير، فإن أصابه صاعقة فعلى دينه اهـ. وقد طلب النجاة من السرق - بفتححتين - وهو نهب متاعه لأن الإنسان إذا سرق متاعه اشتغل بطلبه عن ذكر الله تعالى.

وَحَرٌّ وَبَرْدٌ وَنَهَبٌ وَغَيْثٌ

طلب الذافر النجاة من الحر والبرد يعني المفرطين لأنهما من فتح جهنم، ففي الحديث : «اشتكت النار إلى ربها، فقالت : يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين : نفس في الصيف، ونفس في الشتاء، فأشد ما تجدونه في الصيف من شدة حرها وأشد

ما تجدونه في الشتاء من شدة زمهريرها»، أو كما قال. والنهب - بفتح النون وسكون الهاء-: مصدر نهب من باب نفع وهو أخذ المتاع بسرعة. والغني - بفتح الغين وتشديد الياء - ضد الرشد وهو طريق أهل الفسق والعصيان، والرشد طريق أهل الإسلام والإيمان جعلنا الله منهم آمين.

وَضَلَالٍ وَضَالَةٍ وَهَامَّةٍ وَزَلَلٍ

الضلال: ضد الرشاد، والضالة: ما ضل من الإنسان من بهيمة وغيرها للذكر والأنثى، والهامة - بتشديد الميم مفتوحة - : واحدة الهوام ولا يقع هذا الاسم إلا على الخوف من الأحناش، وقال في المصباح: والهامة ما له سم يقتل كالحية. قاله الأزهرى والجمع الهوام مثل: دابة ودواب، وقد تطلق الهوام على ما لا يقتل كالحشرات، ومنه حديث كعب بن عجرة، وقد قال له ﷺ: «أيؤذيك هوام رأسك؟» والمراد القمل على الاستعارة بجامع الأذى اه. والزلل - بفتح الزاي واللام - : الخطأ في الفعل والقول زل في منطقه أو فعله يزل من باب ضرب زلة خطأ، قاله في المصباح.

وَخَطَايَا وَهَمٍ وَغَمٍ

الخطايا: جمع خطيئة وهي السيئة ضد الحسنه، والهم - بفتح الهاء وتشديد الميم - : الحزن من شدة المصيبة، والغم - بفتح الغين المعجمة وتشديد الميم - : أصله الستر، وإنما سمي غماً لأنه يغطي السرور.

وَمَسِيخٍ وَخَسْفٍ وَقَذْفٍ

المسيخ - بفتح الميم وسكون السين المهملة - : تحول الصورة التي كان عليها إلى غيرها، وقد رفعه الله عن هذه الأمة المحمدية لكن رفع عنها مسخ الأجساد وبقي مسخ القلوب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، قال العلقمي: أخرج الزبير بن بكار في الموقوفات والديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن الممسوخ؟ فقال: «هم ثلاثة عشر: الفيل، والدب، والخنزير، والقرد، والليث، والضب، والوطواط، والعقرب، والدعموص، والعنكبوت، والأرنب، وسهيل، والزهرة» ف قيل: يا رسول الله ما سبب مسخهن؟ فقال: «أما الفيل فكان رجلاً جبار الوطء لا يدع رطباً ولا يابساً، وأما الدب فكان مؤثماً يدعو الرجال إلى نفسه، وأما الخنزير فكان من النصارى الذين سألوا المائدة فلما نزلت كفروا، وأما القرد فيهود اعتدوا في السبت، وأما الليث فكان ديوثاً يدعو الرجال إلى حليلته، وأما الضب فكان إعرابياً يسرق الحاجة بمحجنه،

وأما الوطواط فكان رجلاً يسرق الثمار من رؤوس النخل ، وأما العقرب فكان لا يسلم أحد من لسانه ، وأما الدعموص فكان ناماً يفرق بين الأحبة ، وأما العنكبوت فامرأة سحرت زوجها ، وأما الأرنب فكانت امرأة لا تطهر من الحيض ، وأما سهيل فكان مشاراً باليمن ، وأما الزهرة فكانت بنتاً لبني إسرائيل افتتن بها هاروت» اهـ. ذكره العريزي على الجامع الصغير عند حديث العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى .

فائدة: نظم الشيخ محمد بن يوسف الشيرازي المعروف بالحكيم المماسيخ المذكورين في هذا الحديث مع زيادات أخر فقال :

يا سائلي عن نبأ المسوخ
أنبيك عن أحوالها فاستمع
قد مسخ الله من ابن آدم
الكلب والعقرب والخنزير
والفيل والسهيل والقمري
والزهرة الزهراء ثم العقيق
والقرد والضب مع ابن عرس
رماهم الحرمان بالخذلان
فالفيل كان عاصياً لربه
ثم سهيل كان عشار اليمن
والليث كان واعظاً شريراً
ومؤذي الجار ترى الزنبورا
أن ابن آوى قد عدا في الفتح
وفي الخفافيش أخی فاعتبر
والضب كان يقتل الحجاجا
والعنكبوت عصت الأزواجا
وفي الخنازير أعتبر فإنها
وكانت الفأرة قدماً نائحة
يا أيها الإنسان لا تحتكر
والكلب كان مفسداً للبين

من قول ذي البيان والرسوخ
ومنتى أعدادها تنتفع
عشرين صنفاً ركبوا المائما
والدب والقنفذ والزنبور
والليث والخفاش البري
والعنكبوت الفاخت المطوق
وفارة مع ابن آوى النحس
لما جروا في طاعة الشيطان
بأكله الرباء ثم حبسه
تراه في أفق السماء كالوثن
وللقرد قوم خالفوا الزبورا
وابن عريس نبش القبورا
وكان قصاباً رمى بالمسوخ
كن نساء لم توار في النظر
والدب كان يفسد الفجاجا
وخالفت ساداتها لجاجا
خالفت المسيح ما كان نهى
تفسد بالنوح القلوب الصالحة
وانظر إلى القمر كيف يصفر
والفاخت الخائن أي للدين

وكان فيما قد حكى حناطاً وعقق في دينه كابن الأشر
والعقرب النمامة الخبيثة والزهرة الزهراء بالجمال
فخادعت في دينه هاروتا ولم يكن في دينه محتاطاً
ويدخل الحمام من غير أزر والقنفذ الدلالة الخبيثة
والحسن وهي الفتنة الرجال واستمرت في عدية مارونا

وَخَلَّةٌ وَعَلَّةٌ

الخللة - بفتح المعجمة وفتح اللام المشددة-: الفقر والحاجة، والعلة - بكسر العين وتشديد اللام أيضاً-: المرض الشاغل الذي لا يفارق الإنسان.

وَمَرَضٌ وَجُنُونٌ وَجَذَامٌ وَبَرَصٌ

المرض - بفتح الميم والراء-: حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل، ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض، وقال ابن فارس: المرض كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في شيء، قاله في المصباح: والجنون - بضم الجيم-: زوال العقل، والجذام - بضم الجيم وفتح الذال المعجمة-: تسقط الشعر وتفتت اللحم وتجري الصديد منه، والبرص - بفتح موحدة والراء-: علة تحدث في الجسد بياضاً رديئاً، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من هذه الثلاثة، ذكر السيوطي في الجامع الصغير حديثاً أخرجه الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيء الأسقام» قال العزيزي: وإنما استعاذ منها صلى الله عليه وسلم إظهاراً للافتقار وتعليماً لأئمة ونص على هذه الثلاثة مع دخولها في الأسقام لكونها أبغض شيء للعرب.

وَنَقْصٌ وَهَلَكَةٌ

النقص - بفتح النون وسكون القاف-: مصدر نقص من باب نصر بمعنى ذهب منه شيء بعد تمامه، والهلكة - بفتح الهاء واللام والكاف-: بوزن قسبة بمعنى الهلاك.

وَفَضِيحَةٌ وَقَبِيحَةٌ فِي الدَّارَيْنِ

الفضيحة: العيب وكشف المساوي والعيوب بين الخلائق، والقبيحة: ضد الجميلة والفضيلة، وهي ما يقبح ذكره بين الناس، وقوله: في الدارين المراد بهما دار الدنيا ودار الآخرة اللهم استرنا فيهما بسترِكَ الجميل.

إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيْعَادَ

يعني : أنك أمرتنا بالدعاء ووجدتنا بالإجابة وقد دعوناك معتقدين أنك لا تخلف، أي : لا تنقض الميعاد أي الوعد الذي وعدت الداعي بإجابته قال تعالى : ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

اللَّهُمَّ أَرْفِعْنِي وَلَا تَدْفَعْنِي

طلب من الله تعالى أن يرفعه ولا يضعه، والمراد بالرفعة علو المنزلة في الآخرة يعني في الجنة قال تعالى : ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧] وقال ﷺ : «لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف - يعني اللبن المشوي - لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى» كيف والأمر بالعكس وقوله : تضعني - بفتح التاء والضاد - مضارع وضع بالفتح بمعنى خفض.

وَادْفَعْ عَنِّي وَلَا تَدْفَعْنِي

أي : ادفع عني ما قضيت به الشر ولا تدفعني عن الصلاح والخير، ومعناه : ادفع عني فراقك ولا تدفعني عن وصالك وشهودك.

وَاعْطِنِي وَلَا تَحْرِمْنِي

طلب من الله تعالى أن يعطيه كل خير طلبه منه وأن لا يحرمه مرغوبه ويخيبه مأموله، فقوله : تحرمني - بفتح التاء وكسر الراء - مضارع حرمة الشيء إذا منعه إياه.

وَزِدْنِي وَلَا تَنْقُصْنِي

أي : زدني من الخيرات وتضاعف الحسنات ولا تنقصني أي لا تذهب عني شيئاً بعد أن منحتنيه فقوله : تنقصني - بفتح التاء وسكون النون وضم القاف وسكون الصاد - مضارع نقص بمعنى ذهب وزال.

وَازْحَمْنِي وَلَا تُعَذِّبْنِي

طلب من الله تعالى أن يرحمه يوم القيامة ولا يعذبه وهذا هو المقصود الأهم والمطلب الأعظم رزقنا الله رحمته ووقانا بفضلته وكرمه عذابه وعقابه آمين.

وَفَرِّجْ هَمِّي وَأَكْشِفْ غَمِّي

طلب من الله تعالى أن يفرج همه ويكشف غمه، وقد ورد في انتظار الفرج ثواب

عظيم وفضل جسيم، أخرج ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انتظار الفرج من الله عبادة»، وأخرج ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن عباس: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» وروى ابن باكويه الشيرازي في كتاب حكايات الصالحين جعفر بن محمد قال: كنت عند الجنيد فجاء رجل يشكو البلاء، فقال له الجنيد: وجدت حجراً في بعض المواضع مكتوباً عليه:

هون عليك فإن الأمر منقطع واخل عنك عنان الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج وكل أمر إذا ما ضاق يتسع
أن البلاء وإن طال الزمان به فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

اهـ. انظر كتاب الأرج للإمام السيوطي رحمه الله تعالى، وقال ﷺ: «عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء».

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

وَأَهْلِكَ عَدُوِّي وَلَا تَخْذُلْنِي

طلب من الله تعالى أن يهلك عدوه وأن ينصره على جميع أعدائه وأن لا يخذله يقال: خذلته إذا تركت نصرته وإعانتته وتأخرت عنه، فقوله: وأهلك عدوي - بقطع الهمزة وكسر اللام - وقوله: تخذلني - بفتح التاء وسكون الخاء وضم الذال المعجمة وجزم اللام - مضارع خذل من باب قتل.

وَأَكْرَمْنِي وَلَا تُهْنِي

طلب من الله تعالى أن يكرمه بإجلاله وأن يسبل عليه رداء ستره وأن يعزه ولا يهينه بين خلقه بأن يكون عندهم مكرماً عزيزاً غير ذليل ولا مهان بفضل الله الكريم المنان.

وَاسْتُرْنِي وَلَا تَفْضَحْنِي

طلب من الله تعالى أن يستره في الدنيا عن أعين أعدائه وأن لا يفضحه في الآخرة بين خلقه اللهم استرنا بسترِكَ الجميل ولا تفضحنا بين عبادك يوم الفرع الأكبر يا أرحم الراحمين.

وَأَثْرْنِي وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيَّ

أثرني - بمد الهمزة - أي: اخترني بعنايتك وإكرامك، ولا تؤثر - بكسر المثناة -

أي: لا تختبر على غيري فتعزه وتذلني يعني لا تغلب على أعدائي بحيث أكون عندهم ذليلاً مهاناً.

وَاحْفَظْنِي وَلَا تُضَيِّعْنِي فَإِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أي: احفظني من جميع الأعداء ومن جميع البلاء والأدواء، وقوله: ولا تضيعني - بضم المشاة وفتح الضاد وكسر الياء مشددة وسكون العين - أي لا تهلكني فإنك أقدر على جميع ما طلبت منك، وإني معتقد أنه لا نافع ولا ضار إلا أنت.

يَا أَقْدَرَ الْقَادِرِينَ وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ

لما دعا الله تبارك وتعالى بأنواع الدعوات وتوسل إليه بأعظم التوسلات ناداه بقوله: يا أقدر القادرين، يعني: الذي لا يعجزه شيء ولا ينقص عطاؤه من ملكه شيئاً ثم دعاه أيضاً بقوله: ويا أسرع الحاسبين، أي: الذي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا كما ورد الحديث بذلك لأنه لا يحتاج إلى فكرة وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض، قال الخطيب الشربيني رحمه الله: وفي حديث آخر: أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة. ذكره الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على الجلالين.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ

أتى بالصلاة على مولانا رسول الله ﷺ لأنه الواسطة العظمى فلا يصل لأحد خير إلا على يده ﷺ وشكر الوسائط واجب، ولقوله ﷺ: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصل على النبي ﷺ» رواه سيدنا عمر رضي الله عنه، وفي دلائل الخيرات: وروي عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، أنه قال: ما من مجلس يصلى فيه على سيدنا محمد ﷺ إلا فاحت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء، فتقول الملائكة: هذا مجلس صلي فيه على محمد ﷺ اهـ. ورحم الله من قال:

في مجلس فاح منه الطيب إذ نفحا
ملاك لما تبدى النور واتضح
هذا ومحبوبهم في القلب ما برحا
أزكى الخلائق جمعاً أفصح الفصحا
آله والصحب نعم السادة النصحا

إن الصلاة على المختار إن ذكرت
فاسكر القوم وياء فنعرفه الأ
والقوم في حضرة بالذكر طيبة
محمد أحمد المختار من مضر
صلى عليه إله العرش ثم على

يا ذا الجلال والإكرام

لما دعا الله تبارك وتعالى بما تقدم ناداه بقوله: يا ذا الجلال والإكرام وهو الذي لا شرف ولا جلال ولا كمال إلا وهو له ولا كرامة ولا تكرامة إلا وهي صادرة منه فالجلال له في ذاته والكرامة فائضة منه على خلقه وذو الجلال إشارة إلى صفات الكمال والإكرام إشارة إلى صفات التنزيه قاله الشبراوي في شرحه على أسماء الله الحسنى.

**اللَّهُمَّ أَنْتَ أَمَرْتَنَا بِدُعَائِكَ وَوَعَدْتَنَا بِإِجَابَتِكَ وَقَدْ دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا
فَأَجِبْنَا كَمَا وَعَدْتَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**

اعترف الذاكر أن الله تبارك وتعالى أمره بالدعاء ووعده بالإجابة بقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقد رغب النبي ﷺ في الدعاء، أخرج الحاكم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء» قال العزيزي: أي ألزموه واجتهدوا فيه فقوله وقد دعوناك أي وفينا بما طلبت منا وأمرتنا به ورجاؤنا فيه واعتمادنا على فضلك وإحسانك أن تجيبنا كما وعدتنا لأنك جليل كريم وعدتنا إنجاز وعدك وتمام نعمتك فمن علينا بذلك.

**اللَّهُمَّ مَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرَعْتَ فِيهِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَيْسِيرِكَ
فَتَمِّمَهُ لِي بِأَحْسَنِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا وَأَصْوَبِهَا وَأَصْفَاهَا**

طلب من الله تبارك وتعالى أن يتم له خير قدرة له وشرع فيه بتوفيق الله وتيسيره لقوله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قال العزيزي أي: أكثرها ثواباً وأكثرها تتابعاً ومواظبة والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع لأن تارك العمل بعد الشروع فيه كالمرض بعد الوصل. قال المناوي والمراد المواظبة العرفية وإلا فحقيقة شمول جميع الأزمنة وهو غير مقدور عليه اهـ. بزيادة للإيضاح، فقوله: أحسن الوجوه أي أرفعها، وقوله: أصوبها أي موافقتها للصواب، وأصفاها: أي أخلصها من شوائب الأكدار ووردها بالخيبة والوبار.

فإنك على كل شيء قديرٌ وبالإجابة جديرٌ

أي: فإني معترف ومقر بأنك قدير على ما تشاء، فلك القدرة الكاملة التي لا يعجزها شيء، وتحقيق بالإجابة لمن دعاك وممدٌ بالنوال والخير لمن سألك.

نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ

يعني : إن الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاءته فهو له نعم المولى ، أي : لا يضيع من تولاه ، ونعم النصير أي لا يغلب من نصره .

وَمَا قَدَرْتُ لِي مِنْ شَيْءٍ وَتَحَذَّرْنِي مِنْهُ فَأُضِرُّهُ عَنِّي يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ

طلب من الله تبارك وتعالى أن يصرف عنه ما قدر له من الشر ويحذره عنه لأن الله تعالى قدر الخير وطلب من العبد فعله ، وقدر الشر وطلب منه تركه ، واجتنابه ، فالكل بقضاء الله وقدره ، ثم ناداه باسمه يا حي يا قيوم لأنه قيل فيه إنه اسم الله العظيم الأعظم ، الذي إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، ومعنى الحي ، هو الذي لا يموت ، فهو الباقي أزلاً وأبدأ ، ومعنى القيوم القائم بنفسه المقيم لغيره وقيل مبالغة في كلامه بتدبير خلقه وحصول الاستغناء به عن كل ما سواه القائم على كل نفس بما كسبت .

يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ بِأَمْرِهِ

أجمع المفسرون على أن السموات سبع ، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء كذلك ، ولكن اختلف في الأرضين ، فقال بعضهم : الأرضين أيضاً سبع ، وبين كل أرض وأرض مسيرة خمسمائة عام مثل السموات ، متمسكاً بقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وقال بعضهم : إن الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة ، وعلى كلا القولين يكون قوله : والأرضون ، بصيغة الجمع صحيحاً ، أما على القول الأول فظاهر ، وأما على الثاني فباعتبار كون الأقاليم سبعة أي كل إقليم بمنزلة أرض واحدة اهـ ، قاله الشناوي رحمه الله قامت أي بسطت بلا عمد وقوله : بأمره أي بإقامته وتدبيره وحكمته .

يَا مَنْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ

نادى الله تبارك وتعالى بقوله : يا من يمسك السماء ، أي : لكيلا تسقط على الأرض ، أي : يحفظها من أن تقع على الأرض إلا بإذنه أي إلا بأمره أو بمشيئته .

يَا مَنْ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

أمره : مبتدأ بمعنى الشأن ، وأن يقول له : خبر بمعنى أن يكون فيكون بالنصب عطف على يقول ، وأما بالرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها فهو يكون معطوف على

مثلها وهي أمره أن يقول له كن والحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن إيجاد بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون، وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد وكأنما يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذلك لا يثقل على الله تعالى إبداء الخلق وإعادة لهم اه، قاله النسفي وقال الشيخ سليمان الجمل ومعنى يقول كن يكونه فهو تمثيل لتأثير قدرته تعالى في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى أولية عمل واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة وقياس قدرة الله على قدرة الخلق اه، قاله القاريء فمعنى أن يقول له كن أن تتعلق به قدرته تعلقاً تنجيزياً اه، وفي الدر المنثور أخرج ابن أبي شيبة عن ابن سابط أن داعياً دعا في عهد النبي ﷺ فقال: «اللهم إني أسألك باسمك الذي لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم بديع السموات والأرض»، وإذا أردت أمراً فإنما تقول له كن فيكون، فقال النبي ﷺ: «لقد كدت أن تدعو باسمه العظيم» اه، قال الشناوي وينبغي أن للطالب أن يسجد عنه قوله كن بعد قراءة هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] ويسأل حاجته في سجوده، ويصلي على النبي ﷺ في السجود ثم يرفع رأسه ويقول: كن فيكون ثم يختم الدعاء.

فَسُبْحَانَ

تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا.

الذي بيديه ملكوت كل شيء

أي: مالك كل شيء وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شيء.

وإليه ترجعون

أي: وإليه تعادون بعد الموت فلا فوت.

سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَادِرِ الْقَاهِرِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ بِلَا مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ

وصف الله تبارك وتعالى بسبعة أوصاف بعد اسم الجلالة ومعانيها تقدمت، وقوله: بلا معين أي ظهير على الأمر، وقوله: ولا ظهير - بالطاء المشالة - بوزن كريم معناه معين فهو عطف تفسير على ما قبله.

بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ

أي: أطلب إغاثتك لي برحمتك وجودك وكرمك فالسين والتاء للطلب.

اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَمِنْكَ الإِجَابَةُ

أعترف فإنه دعاء الله تبارك وتعالى بما أمكنه من الدعاء كما أمره وطلب الإجابة فضلاً منه ومئة لأنه لا يجب على آله شيء كما وعده في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وَهَذَا الْجَهْدُ مِنِّي

الجهد - بفتح الجيم وتضم - أي: الواسع والطاقة.

وَعَلَيْكَ التُّكْلَانِ

أي: عليك الاعتماد والتوكل قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] والتكلان بضم التاء وسكون الكاف.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

أي: لا تحول لنا عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بإعانة الله بهذه فسرها عليه السلام لعبد الله بن مسعود وهي كنز من كنوز الجنة، ففي حديث أبي موسى: «يا عبد الله ألا أخبرك بكنز من كنوز الجنة؟»، قال: «بلى»، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم دواء من تسعة وتسعين داء، أدناها الهم العظيم الذي لا نسبة معه في علو شأنه وجلاله قدرة ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً»، قال الشيخ زروق: من عرف أنه العظيم صغر في عينه كل شيء.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلَىٰ وَأَخْرَىٰ وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا

ختم الذاكر هذا الدعاء الجليل بحمد الله تعالى كما بدأ به أولاً، وطلب من الله أن يكون حمده حقيقة في الظاهر والباطن، وأن تكون فعالة مطابقة لأقواله لأن اللسان عنوان الجنان كما قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

ختم الذاكر بالصلاة على مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله، ووصفهم بالطيبين الطاهرين إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً ﴿[الأحزاب: ٢٣] لأجل ما ورد في فضل الصلاة عليه ﷺ، فعن أبي سليمان الداراني ﷺ أنه قال: [إذا] سألت الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم ادع بما شئت ثم اختم الصلاة على النبي ﷺ فإن الله سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا أَثِيرًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

طلب من الله تعالى أن يسلم على رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أي: يوم القيامة لما ورد في السلام عليه من الثواب العظيم والخير الجسيم، فمن ذلك قوله عليه السلام: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام»، وقال عليه السلام: «من سلم عليّ عشراً فكأنما أعتق رقبة»، وعن أبي بكر الصديق ﷺ: الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب، وفي تكميل الديباج عن سيدي يحيى السراج قال: رأيت جابر بن عبد الله في النوم فقلت: بالله حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلم عليّ في كل يوم مائة مرة مات ولم يذق طعم الموت» إلى غير ذلك، وقوله: أثيراً ودائماً وأبداً وكلها، توكيد لكثيراً.

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أي: كافينا الله ونعم الوكيل أي ونعم الموكل إليه في الأمور كلها، وقيل: الوكيل هو الكافي، والمعنى: يكفينا الله ونعم الكافي هو، وقيل: الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به، والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وإنه الذي يستقل بأمورهم كلها وقد ختم الذاكر دعاءه بالحسبلة والحمدلة لما ورد في فضلها، أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ اه، وقد تقدم الكلام على جملة الحمدلة.



خاتمة

ختم الله لنا بالحسنى وأسكتنا وجميع المسلمين بمنته وكرمه المقر الأسنى . ذكر الإمام الشناوي رضي الله عنه أنه روي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم : «من قرأ هذا الدعاء ومرّ بين أعدائه لم يقدرُوا على ضرره ولا إذايته وتنفر منه الجن والشياطين» .

وروي أن تاجراً نهب ماله وصار مفلساً لا يملك شيئاً فبقي كذلك مدة حائراً لا يسأل الناس شيئاً حتى جزع وأقلق، ف قيل له: إن الشيخ أسد الله عنده دعاء فيه اسم الله العظيم الأعظم يقضي به جميع الحوائج، فمضى إليه فأعطاه له واشتغل بقراءته ودوامه، ففتح الله عليه أبواب الرزق والسعادة، وصار معروفاً مقبولاً وشرط عليه شروطاً: منها، أنه قال: إذا أردت قراءة هذا الدعاء المبارك اغتسل من غير جنابة وصلي ركعتين بقراءة فاتحة الكتاب ويسّ تطوعاً يستجاب لك فهو من أشرف العزائم وأسرار الوحي، وهو مخصوص بصدق النية، وإخلاص العقيدة، وجد الهمة، وطهارة النفس عن الكذب والشور والبهتان مع سعد الوقت وسعد الطالع .

وبالجملة، فهو عظيم الشأن، محبوب الصنائع، مشهور بين الأعلام حتى قالوا: من سعادة الرجل أن يكون عنده هذا الدعاء، ومن لم يحسن قراءته يكتبه ويحمله فإن الله عز وجل يحرسه من الآفات والعاهات، ويجعل له قبولاً عظيماً عند الناس، ويفتح عليه أبواب الرزق والخير مع الهيبة والوقار والمكنة عند جميع الناس، من جنّ وإنس، فكيف من يواظب قراءته سبعون ألف ملك، ومثلهم من الجن خدمة هذا الدعاء، فإذا قرأ القارئ: اللهم أنت الله الملك الحق المبين، إلى قوله: وأنا عبدك، فتخر تلك الملائكة والجن سجداً لله تعالى لحرمة هذا الدعاء وعظمته وهيئته، فمن وصل إليه يعرف قدره ولا يتبعه الجن على السجود فليسجد بقلبه لعظمة ربه باستجلاء معاني عزه فنظرت الملائكة حينئذ نظراً خاصاً فلا تكشف هذا السر للمتكبرين .

وبالجملة، فتحقق حرمة ولا تقرأه إلا بغسيل طاهر ونفس زاكية وقلب سليم خاشع خاضع ضارع .

ومن قرأ السيفي خمسمائة مرة وأشار إلى جبل يسير من مكانه ويزول من عظمة الدعاء .

ومن قرأه: في مكان مخيف من الجن والمردة والشياطين أمن من شرهم ولا يقربه ذو روح فاسد.

ومن كتبه بمسك وزعفران في رق ظبي أو ظير ووضع في فمه ودخل المعركة لا يؤثر فيه الحديد ولو ضرب بمائة سيف لم يعمل فيه.

ومن قرأه لأي حاجة يوم السبت فليقرأه إحدى وستين مرة أو الأحد فأحدى وخمسين مرة أو الخميس فأحدى عشرة أو الجمعة فمرة واحدة ويطلب من الله حاجته تقضى.

ومن أراد حاجة يغتسل ويقرأه ثلاثة أيام متواليات يجاب والقراءة على سائر الأيام، انتهى ما هو عن الشيخ أسد الله قدس الله سره.

ومن خواص هذا الدعاء: من كثرة ذنوبه ولازمه فتح الله عليه اليقين ويتوب عليه توبة نصوحاً وغفر ذنوبه.

ومن داومه خلق الله تعالى له شخصاً على صورة حسنة فإذا انقضى أجله جاء الشخص ويجلس عند رأسه فينظره ويتحير من حسنه وجماله فيسبح الله عز وجل ثم يقبض روحه بلا تعب ولا مشقة ولا وجع ولا يحس بألم، وإن دخل قبره هون الله تعالى عليه سؤال منكر ونكير، ويعطى في الجنة ما لا عين رأت ولا أذنت سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويجعل وجهه يتلألأ بالنور، وعليه هبة ووقار حتى يتعجب الناس منه فيقولون: أي ولي هذا؟ فيقال: عبد اشتغل بقراءة هذا الدعاء، فيقولوا: يا ليتنا اشتغلنا به، ويظله الله تعالى تحت ظله فيفوح عليه من الرائحة الزكية حتى يبقى حيراناً دهشانياً مما يراه من النعيم المقيم، وإذا جاء الميزان يرسل الله إليه ملائكة فيجلسوا في الميزان، وعند الصراط يقول له ملك: اركب على كاهلي فيركب على كاهله ويمر على الصراط كالبرق، ويكون في أعلى قصر في الجنة، اللهم أرزقنا الجنة وأجرنا من النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصاحب هذا الدعاء أول من يصفح النبي ﷺ ويكون في جواره وجوار جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ثم إن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن هذا الدعاء له كرامات في الجنة وله منافع وله خواص أيضاً في الدنيا لا تحصى فمن كان مسجوناً عند جبار قرأه أربعين يوماً متواليه باعتقاد خالص ويقين صادق أخلص منه، ومن شرب محوه يبرأ من العلل المقيمة.

ومن قرأه أربع مرات متواليات على الطلوعات - يعني الدماميل - العظيمة والخنازير ثم يغتسل غسلًا طاهرًا ويكتبه ويشرب محوه ويكتبه أيضاً ويعلقه في رقبته أو موضع الوجع يبرأ.

ومن قرأه كل يوم في السفينة سلمت ما فيها.

ومن تاه في الطريق يتيمم ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: آية الكرسي ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة، وفي الثانية: الفاتحة و﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] و﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية، فإذا سلم قرأ الفاتحة والدعاء مرة فيهندي إلى الطريق بفضل الله تعالى، ويؤمنه من الجوع والعطش وجميع المكروه والمخاوف.

ومن وضعه في ماله كفي شر عين الحساد والأعداء وبورك فيه ومن عليه قضاء صلاة أو صيام يصلي ليلة الجمعة في نصف الليل ركعتين يقرأ في الأولى: الفاتحة وآية الكرسي سبعا، والثانية: فاتحة الكتاب و﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلخ يسلم ويقرأ السيفي سبعا ثم يتضرع ويطلب من الله التجاوز.

ومن سافر بعيداً يقرؤه كل يوم عند طلوع الشمس وعند الغروب أحداً وأربعين يوماً متصلة وفي آخر قراءته كل يوم يصلي على النبي ﷺ فلا تمضي عليه ثلاثة أسابيع إلا ويأتيه الله بالفرج القريب من عنده وينجو من الهم والغم والحزن.

ومن لم يحسن القراءة يصوم الخميس ثم يغتسل يوم الجمعة ويلبس ثوباً نظيفاً ويصلي ركعتين ويتضرع إلى الله تعالى ويطلب منه الحلال والسلامة فإن الله يستجيب دعاءه وينجيه مما هو فيه ويرده سالماً إلى وطنه غانماً.

ومن قرأه في سفر أو حضر أو حمل معه أمن من الأعداء والسراق قطاع الطريق بإذن الله تعالى.

ومن أتهم بتهمة وخصوصاً وقرأه سبعا خلصه الله تعالى.

وللسعادة في الدارين يقرأ إحدى وأربعين مرة على شراب عسل أو سكر ويشربه ويسقيه لمن أراد فإنه لا يرى في الدنيا مشقة ولا محنة بإذن الله تعالى.

ومن قرأه على مصروع زال صرعه.

ومن قرأه إحدى وتسعين مرة وقرأ بعد الدعاء سبعاً في الوقت والساعة فإنه يرى أولياء الله تعالى والصالحين.

وللصلح يقرأ ثلاثين مرة ينقلب عدوك صاحبك. وقد وصل الأكابر رضي الله تعالى عنهم إلى مراداتهم بهذا الدعاء فاعلمه واكتمه.

قال الشيخ أسد الله قدس الله سره: ومن عظمت عليه المصائب وصعب عليه أمر يغتسل من غير جنابة ثم يطهر قلبه وثيابه ويصلي ركعتين ويقرأ في كل ركعة الفاتحة ويسّ ويسلم ويقرأ الدعاء ثلاث مرات ويده مرفوعة نحو السماء ويذكر الأمر الذي أصابه فإنه يكفاه بإذن الله تعالى.

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: من داوم على قراءته صباح يوم الجمعة والاثنين والأربعاء وتكون القراءة وقت الضحى ويغتسل غسلًا نظيفاً فإن حوائجه تقضى.

وقال أيضاً: ومن له أعداء يقرؤه إحدى وسبعين مرة فإن لم يستطع فسبعاً.

وقال: من ابتلى ببلاء أعجز الأطباء يقرؤه كل يوم مرة، فإن لم يقدر على قراءته كل يوم يُحَمِّي مفتاحاً من جديد حتى يحمر ويجعل في مجمار جديد لم يستعمل، ويكتب الدعاء في طاسة بمسك وزعفران وماء ورد ثم يغسلها بماء طاهر ويلقيه في المجرار على المفتاح حال حمرة ويقرأ الدعاء، ثم يغسلها بماء طاهر ويلقيه في المجرار ويعطي من هذا الماء لكل مريض يشربه يشفى من كل داء، وإن كان على جسده داء يغسله بذلك الماء يبرأ بإذن الله تعالى اهـ. من الشناوي باختصار وإيضاح.

ولما كانت قراءة الحزب السيفي تورث محبة الله تعالى محبة خاصة كما تقدم ومن لازم تلك المحبة الخاصة أن الله تعالى يمتحن صاحبها بالفقر ونحوه ولا يمنع بفضل الله من ذلك الامتحان إلا قراءة حزب المغني المنسوب لسيدنا أويس القرني رضي الله عنه بعد قراءة الحزب السيفي على الوصف المتقدم أردت أن نتكلم على بعض ألفاظه، لتتم الفائدة، وتكمل العائدة، فأقول، والله تعالى بمتنه يبلغنا السؤل والمأمول:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلَهِي بِكَ أَسْتغِيثُ فَأَغِثْنِي

تقدم الكلام على البسملة وقوله: إلهي إلهي، تضرع إلى الله تعالى وتذلل بين يديه أن يغيثه في كل الأمور ويحفظه من البلايا والمحن والشور، فالسين والتاء للطلب.

وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ فَأَكْفِنِي

يعني: أن المؤمن الصادق والذاكر العاشق لا يتوكل إلا على الله ولا يعتمد في جميع الأحوال إلا على مولاه فلذلك طلب من الله كفايته إياه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وترزق بطاناً». وفي الدر المنثور: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق بالله». وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى (عليه السلام): اجعلني من نفسك لهمك واجعلني ذخراً لمعادك وتوكل علي أكفك ولا تولّ غيري فأخذلك.

يَا كَافِي أَكْفِنِي الْمُهَمَّاتِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

دعا الله تبارك وتعالى باسمه الكافي وطلب منه أن يكفيه جميع المهمات من أمور الدنيا والآخرة، والكافي: هو الذي يحصل به الاستغناء عن غير. وقد قيل في هذا الاسم أنه اسم الله الأعظم، من أكثر من ذكره كفاه الله هموم الدنيا والآخرة، ومن تلاه مائة وأحد عشر عند شروق الشمس وعند غروبها كثر رزقه وكفاه من كل ما يخاف منه.

يَا رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا

دعا الله تبارك وتعالى باسمه الرحمن لأنه لا راحم سواه. أخرج الترمذي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي سبقت غضبي».

إني عندك ببابك

اعترف الذاكر لله تعالى بالربوبية وتذلل له وأقر له بالعبودية ووقف بباب مولاه ينتظر فرجه ورحمته إياه. واعلم أن الصوفية كثيراً ما يقولون: وقف بباب الله، وليس مرادهم الباب حقيقة بل مرادهم التضرع والابتهال وطلب قضاء أوطارهم من الكبير المتعال لأن من القواعد المؤسسة أن الله تعالى إذا وصف بأمر لا يصح حمله عليه حمل على غايته ولازمه، وغاية الوقوف بالباب التذلل والخضوع والنداء ليفتح لمريد الدخول، ومن أراد الدخول بحضرة المولى بادر بالتوبة والسؤال والتضرع والدعاء، ولذا قيل:

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ

ذليلك ببابك

الذليل - بالذال المعجمة - : بوزن فعيل مأخوذ من الذلة بالكسر إذا ضعف وهان، والمعنى أنه تذلل إلى الله تعالى ليرحمه ويعامله وينظر فيه بعين الشفقة. ومعلوم أن من أتى الله من باب الذل والانكسار رجع بنيل كل المآرب والأوطار، ومن أتى من باب العظمة والاستكبار رجع بالخيبة والصغار ونال من الله الخزي والبوار.

أسيرك ببابك

يعني: أنه وقف بباب الله تعالى وقوف الأسير وهو غاية ما يكون من الذل والانكسار، والأسير: هو الذي يغنم في الجهاد فيكون مأسوراً عند من أخذه.

مسكينك ببابك

المسكين - بكسر الميم وسكون السين - : هو الذي لا شيء له فهو أحوج من الفقير إذ هو الذي له بلغة - بضم الباء وسكون اللام - لا تكفيه لعيش عامه، قال خليل: ومصرفها أي: الزكاة فقير ومسكين وهو أحوج لأن الفقير هو الذي دون قوت سنة والمسكين هو الذي لا يملك شيئاً.

ضعيفك ببابك يا رب العالمين

الضعيف: ضد القوي، وإضافته إلى الضمير العائد على الله تعالى حقيقة لأن كل مخلوق بالنسبة إلى الله تعالى ضعيف، وإن بلغ في القوة ما بلغ، لا حول ولا قوة إلا بالله. إني إليك مدى الأنفاس محتاج لو كان في مفرقي الإكليل والتاج ثم نادى الله تعالى بقوله: يا رب العالمين، أي خالق جميع الموجودات وموجد جميع الكائنات لأن العالمين جمع عالم - بفتح اللام - وهو ما سوى الله تعالى.

الطالِحُ بِبَابِكَ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ

الطالِح - بالطاء المهملة وباللام مكسورة وبالحاء المهملة في آخره - : ضد الصالح، والمراد به هنا هو من كانت أفعاله وأقواله مخالفة للشرع متبع للهوى والطبع، ثم نادى الله تبارك وتعالى بقوله: يا غياث المستغيثين طلباً للإغاثة من تبديل حاله بحلل حسنة وهيئة مع الله مستحسنة، فقوله: غياث بكسر الغين وبالثاء المثناة.

مَهْمُومُوكَ بِبَابِكَ يَا كَاشِفَ كُلِّ كَرْبٍ الْمَكْرُوبِينَ

يعني: أن الذاكر اعترأ الهم الطويل والحزن الكثير من كثرة ذنوبه ومعاصيه وضرر هوى نفسه وغلبة شيطانه، ثم ناداه بقوله: يا كاشف، أي: يا مزيل كل كرب جمع كربية بوزن عرفة وعرف وهي شدة الغم والحزن، والمكروبين: أي المحزونين.

وَأَنَا عَصِيكَ يَا طَالِبَ الْمُسْتَغْفِرِينَ

هذا تصريح من الذكر بأنه عاص لله لأن الواجب على الإنسان أن يرى نفسه عاصياً ولو كان متلبساً بالطاعة لأنه ليس معصوماً إلا الأنبياء، وأما الأولياء فهم محفوظون فقط.

من الذي ما ساء قط
إلا محمد الذي
ومن الذي ترجى سجايه كلها
ومن له الحسنى فقط
عليه جبريل هبط
كفى المر نبلا أن تعد معايبه

ثم ناداه يا طالب المستغفرين، أي: يا من يطلب من عباده الاستغفار فيغفر لهم، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»، وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك، ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم ولو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» والقراب - بالكسر - ملء الأرض. كما في القاموس إلى غير ذلك وفيما ذكر كفاية.

المُقِرُّ بِبَابِكَ يَا غَافِرَ الْمَذْنِبِينَ

المقر - بضم الميم وكسر القاف - : اسم فاعل من أقر بمعنى اعترف، وقوله : يا غافر المذنبين، مأخوذ من الغفر بمعنى الستر، والمذنبين - جمع مذنب - : بمعنى الكثير الخطايا والعصيان من الله علينا بالمغفرة والغفران.

المُعْتَرِفُ بِبَابِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

المعترف - بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح المثناة فوق وكسر الراء - : اسم فاعل من اعترف بمعنى أقر، ثم دعا الله تبارك وتعالى باسمه : يا أرحم الراحمين، لما ورد في هذا الاسم من أنه اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وقد تقدم الكلام على هذا الاسم الشريف عند قول السيفي : اللهم إني مقر بنعمتك إلخ فليراجعه مبتغيه.

الْخَاطِئُ بِبَابِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ

الخاطيء - بالخاء المعجمة وكسر الطاء وآخره مهموز وقد يخفف - : اسم فاعل من أخطأ. قال في المصباح : قال أبو عبيدة : خطيء من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد، ثم قال : وقيل خطيء إذا تعمد ما نهى عنه فهو خاطيء اهـ. ثم نادى الله تعالى بقوله : يا رب العالمين، أي المالك لجميع مخلوقاته والرازق لهم والمحسن إليهم والمتفضل عليهم سبحانه لا إله إلا هو.

الظَّالِمُ بِبَابِكَ

الظالم : اسم فاعل من ظلم إذا تعدى بفعل ما نهى الله عنه وترك ما أمر الله به، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢] قال الربيع بن أنس : الظالم صاحب الكبائر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لهما. وقال الحسن البصري : الظالم من رجحت سيئاته والسابق من رجحت حسناته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته. وسئل أبو يوسف عن هذه الآية فقال : كلهم مؤمنون، وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] فقال : قال رسول الله ﷺ : «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجح، وظالمنا مغفور له». قال أبو قلابة أحد رواة : فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه، أخرجه البغوي بسنده اهـ. انظر الخازن،

وفي الدر المشهور: أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في البعث عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزل فظالمهم مغفور له ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب اهـ.

البائسُ الخاشعُ ببائك

البائس - بالهمز- : اسم فاعل من بشس بالكسر إذا نزل به الضرر، وقوله: الخاشع اسم فاعل من خشع إذا خضع وتذلل لله تعالى.

ازحمني يا مولاي

طلب من الله تعالى أن يرحمه أي: يحفظه من جميع ما تضرع منه من الأوصاف الذميمة والأخلاق القبيحة، ثم نادى الله تبارك وتعالى بقوله: يا مولاي أي: يا مالكي، ويا ناصري، ويا من بيده تدبيرى وجميع أمورى، ولما ذكر أوصافه الخسيصة وأحواله الرذيلة تضرع إلى الله تعالى تضرع الخائف من ذنوبه المشفق من سوء كسبه، فقال:

إلهي أنت الغافرُ وأنا المُسيءُ وهَلْ يَزْحَمُ المُسيءُ إلا الغافرُ مَوْلَايَ

يعني: أنك يا رب أنت الغافر لجميع الذنوب، وأنا العاصي المسلطخ بجميع العيوب ولا يرحم المسيء العاصي يوم الأخذ بالنواصي إلا أنت يا منان لاتصافك بالغفران والجود والإحسان يا مالكي وناصرى ومدبر شؤونى، فقوله: الغافر اسم فاعل من غفر إذا ستر، والمسيء: اسم فاعل أيضاً من أساء إذا خالف المأمور به وتبع المنهى عنه، وكرر لفظ مولاي في هذه الفقرات إشارة لكثرة تذله وتضرعه وشدة حزنه وبؤسه.

إلهي أنت الربُّ وأنا العبدُ وهَلْ يَزْحَمُ العبدُ إلا الربُّ مَوْلَايَ

أقر الله تبارك وتعالى بالربوبية واعترف له بأنه في مقام العبودية وطلب منه أن يرحمه لأن رحمته لعباده من أوصاف ربوبيته.

إلهي أنت القويُّ وأنا الضَّعيفُ وهَلْ يَزْحَمُ الضَّعيفُ إلا القويُّ مَوْلَايَ

لما علم عجزه وضعفه وافتقاره لمولاه وتحقق أن الله قوى عزيز له القدرة الكاملة والقوة الشاملة طلب منه أن يرحم ضعفه وأن يمدّه ويقويه على نيل مراده.

إلهي أنت العزيز وأنا الذليل وهل يرحم الذليل إلا العزيز مولاي مولاي

لما تحقق أن أوصاف العباد الذلة بين يدي رب الأرباب وأنه متصف بالعزة والجلال والعظمة والكمال ولا يرحم من كان ذليلاً إلا من هو عزيز جليل طلب منه أن يرحم ذلته وأن يمدّه بالعز اللائق بحاله المناسب لوصفه ومقامه.

إلهي أنت الكريم وأنا اللئيم وهل يرحم اللئيم إلا الكريم مولاي مولاي

لما كان كرم الله لا حصر له ولا عد لوصفه وجميع من سواه لئيم وبخيل طلب منه أن يكرمه ويرحم لؤمه ويفيض عليه من خيراته لأنه إذا كان من سوى الله لئيم وهو منفرد بالكرم فلا يرحم اللئيم إلا الكريم، اللئيم: اسم فاعل من لؤم بضم الهمزة، قال في القاموس: ككرم لؤماً بالضم فهو لئيم، قال شارحه الشيخ مرتضى: دنيء الأصل شحيح النفس اهـ. ويقال ذلك للشحيح والدنيء النفس والمبين ونحوهم لأن اللؤم ضد الكرم قاله في المصباح.

إلهي أنت الرزاق وأنا المرزوق وهل يرحم المرزوق إلا الرزاق مولاي يا مولاي

لما تيقن وتحقق وأنه لا رازق للعباد سوى الله تعالى وأنه هو الرزاق على الإطلاق، وأن العبد وإن بلغ ما بلغ فهو فقير محتاج إلى فضل الله طلب من الله أن يرزقه الرزق الكثير واعترف بأنه مملق فقير، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره إليه فينبغي أن يكون مفتقراً بالسر إليه ومنقطعاً عن الغير إليه حتى تكون عبوديته محضة بالعبودية هي الذل والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد، وقال الواسطي: من استغنى بالله ولا يفتقر ومن تعزز بالله لا يدل. وقال الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنياً وكلما ازداد غني. وقال يحيى: الفقر خير للعبد من الغنى لأن المدلة في الفقر والكبر في الغنى والرجوع إلى الله بالتواضع والذلة خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال، وقيل: صفة الأولياء ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء. وقال الشبلي: الفقر بحر البلاء وبلاؤه كله عز.

إلهي أنا الضعيفُ أنا الذليلُ أنا الحقيرُ

وصف الذاكر نفسه بأوصاف تليق بعبوديته تذلاً واعترافاً بضعفه وفاقته بين يدي خالقه ومنشئه، وفي ذلك إيماء إلى طلبه من مولاه أن يغطي عليه هذه الأوصاف وأن يمدّه بفضله وكرمه بكل نوع من البر والإحسان، فقوله: الضعيف هو ضد القوي، وقوله: الذليل بالذال المعجمة - العزيز، يقال: ذل يذل من باب ضرب إذا ضعف وهان، والحقير: اسم فاعل من حقر بالضم حقارة هان قدره فلا يعبأ به فهو حقير قاله في المصباح.

أنت العليُّ أنت العفوُّ أنت الغفورُ أنت الغفارُ أنت الحنانُ أنت المنانُ

لما وصف نفسه بالأوصاف التي تليق بذل عبوديته وصف الله تعالى بالأوصاف التي تليق بكمال ربوبيته، فقال: أنت العلي أي: الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالإطلاق المتعالي عن الأشياء والأنداد والأضداد قيل العلي بالسلطنة والقهر فلا أحد أعلى منه وفيه معان أخر، والعفو: معناه ذو العفو وهو ترك المؤاخذة على ارتكاب الذنب وهو أبلغ من المغفرة فإنها مشتقة من الغفر وهو الستر والعفو إزالة الأثر ومنه عفت الديار وكان الغفران يشعر بالستر والعفو بالمحو والمحو أبلغ من الستر، وقيل: معناه الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن العاصي وحظ العبد منه أن يعفو عن كل ظلمه، ولا يقطع بره عن أحد بسبب ما حصل منه فإنه متى فعل ذلك فالله تعالى أولى أن يفعل به ذلك لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين والغفور معناه كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العذاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو الستر والغفار أبلغ من الغفور لزيادة بنائه، وقيل: الفرق بينه وبين الغفار أن المبالغة فيه من جهة الكيفية فيغفر الذنوب العظام وفي الغفار باعتبار الكمية فيغفر الذنوب الكثيرة اهـ. والغفار: هو الذي ظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من أعظم القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا والتجاوز من عقوبتها في الآخرة وحظ العبد منه أن يستر من أخيه ما يجب أن يستر منه ولا يفشى منه إلا أحسن ما فيه ويتجاوز عما يقبح منه ويقابله بالإحسان وإياك أن تكون كمثل من قال فيه أبو ثابت النحوي هذين البيتين:

ومصروفه عيناه عن عيب نفسه ولو بان عيب من أخيه لا بصرا
ولو كان ذا الإنسان ينصف نفسه لأمسك عن عيب الصديق ونصرا
بل ينبغي لك أن تكون ممثلاً لقول القائل:

أقل ذا الورد عشرته وقفه على سنن الطريق المستقيمة
ولا تسرع بمعتبة إليه فقد يهفو ونيته سليمة

والحنان: مبالغة في الحنانة والشفقة على عباده ورحمته بهم، والمنان: الكثير المن على عباده أي: الأنعام عليهم والإحسان لهم وكرر الذاكر لفظ أنت وهو ضمير يعود على الله تعالى تليذاً بذكره ومحبته في ترده لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ولما وصف الله تعالى بأوصافه الجميلة رجع لوصف نفسه بالأوصاف الخسيسة فقال:

أنا المذنبُ أنا الخائفُ أنا الضعيفُ

يعني: أن الإنسان من أوصافه إرتكاب الذنوب إلا من عصمة الله من الأنبياء وحفظه من الأولياء وإذا كان وصفه الذنب واعترف به، فلا بد أن يكون خائفاً من سوء كسبه ضعيفاً عن أن ينقذ مهجته من عقابه، وفي هذا تعرض لطلب غفران ذنوبه من مولاه وأن يؤمنه من خوفه ويرحم ضعفه لأن الإقرار بالذنوب فيه إشعار بطلب غفرانها والتجاوز عنها.

إلهي الأمان الأمان في ظلمة القبر وضيقتيه

طلب الأمان من الله تعالى وكرره للتأكيد من ظلمة القبر وضيقتيه وشدته، والمراد بضيقتيه ضغطته، لكن وردت أحاديث في تخفيف هذه الضغطة على المؤمن وشدتها على الكافر، ذكر السيوطي في كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب عن سعيد بن المسيب أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إنك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء، قال: «يا عائشة إن صوت منكر ونكير في أسمع المؤمنين كالإثم في العين، وضغطة القبر على المؤمنين كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداق فتغمز رأسه غمزاً رقيقاً، ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة». وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد التميمي قال: كان يقال إن ضمة القبر إنما أصلها أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما رد إليها أولادها ضمتهم ضم الوالدة الشفيقة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها، فمن كان لله مطيعاً ضمته برفق ورأفة، ومن كان لله عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه اهـ. منه بلغته. وذكر أيضاً في كتابه شرح الصدر بشرح حال الموتى والقبور عن الإمام أحمد، وابن جرير في تذهيب الآثار، والبيهقي عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجياً لنجا سعيد بن معاذ». وأخرج أحمد والحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال: لما دفن سعيد بن معاذ سبح النبي ﷺ وسبح الناس معه طويلاً ثم كبر وكبر الناس قالوا: يا رسول الله لما سبحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه». وأخرج النسائي والبيهقي عن عبد الله بن

عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه - يعني سعد بن معاذ -» قال الحسن: تحرك له العرش فرحاً بروحه. أخرجه البيهقي في الدلائل.

وما اهتز عرش الله من أجل هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو والأحاديث في هذا الباب كثرة وفيما ذكر كفاية.

فائدة: لا ينجو من ضمة القبر أحد إلا أربعة: فاطمة بنت محمد رضي الله عنه، وفاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] في مرضه ولو مرة واحدة اه. قاله في مشارق الأنوار.

إلهي الأمان الأمان عند سؤال منكر ونكير وهيبتهما

طلب من الله الأمان مكرراً أيضاً عند السؤال في القبر ومن هيبة منكر ونكير كما في بعض النسخ، وفي بعضها: وهيبتهما أي: صورتها، قال الشيخ حسن العدوي في كتابه مشارق الأنوار اعلم أن السؤال لا بد منه لكل من مات غير ما استثنى ولو لم يقبر وإن كان منصوباً أو ملق على وجه أرض وإن لم نشاهد ذلك منه ما لم يرد أخباره وإلا فالسؤال محل الاستقرار، ثم قال: فما جاء في صفتها ما أخرجه أبو يعلى وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لملك الموت: انطلق إلى فلان فأتني به، فإني قد جربته في السراء والضراء فوجدته حيث أحب، فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها» فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: «ويبعث له ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما كالصياصي - أي: قرون البقر - وأنفاسهما كاللهب يطلن في أشعارهما - والمراد يجرانه في الأرض - بين منكبي كل واحد مسيرة كذا وكذا، قد نزعت منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين، يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني، ومحمد نبي هو خاتم النبيين، فيقولان له: صدقت، فيدفعان القبر ويوسعانه له من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه، ثم يقولان له: انظر فوقك، فينظر فإذا هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: هذا منزلك يا ولي الله لما أطعت الله». قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفس محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة ألا تريد أبداً» وذكر بقية الحديث.

قال العلامة الأمير المصنف اللقاني ما في بعض الروايات: «كالبرق وأصواتهما كالرعد إذا تكلمتا يخرج من أفواههما كالنار بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضرب به الجبال لذابت». وبعض الروايات: «بيد كل واحد منهما مرزبة لو اجتمع أهل منى عليها لم يلوها محمول على غير المؤمن، أما هو فيرفقان به ويقولان له إذا وفق الجواب: نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب الناس إليه».

قال: أما صورتها، فظواهر الأحاديث أنه يراها عليها كل أحد فعل هذا تكون نسخة، وهياتها بالهمز هي الأولى، وقال في محل آخر: إنما سميا منكراً ونكيراً لأنهما لا يشبهان خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع جعلهما الله تذكرة للمؤمنين وهتكاً لستر المنافقين. وهل هما للمؤمنين والكافر أو هما للكافر فقط؟ وأما أهل الإيمان فلهم مبشر ويشير، قيل: ومعهما ملك آخر يقال له ناكور ويجيء قبلها ملك يقال له رومان. قال العلامة: وحديثه قيل موضوع، والصحيح أن منكراً ونكيراً للمؤمن وغيره طائعاً وعاصياً غير أنهما يأتيان للمؤمن مع رفق من غير إقلاق وإزعاج كما تقدم والله أعلم اه باختصار.

إلهي الأمان الأمان عند وحشة القبر وشِدته

طلب أيضاً من الله الأمان عند وحشة القبر أي: غربته، وشِدته: هوله وفزعه، قال الشيخ حسن في مشارق الأنوار: اعلم أن القبور روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النار، قال الجلال السيوطي: وهو أول منازل الآخرة، قال: أخرج البيهقي، وابن أبي الدنيا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من النار». وأخرج ابن منده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب - أي: يوسع - له في قبره سبعون ذراعاً وينور له كالقمر ليلة البدر». وأخرج ابن منده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يفسح لغريب في قبره كبعده عن أهله» وفي بعض الروايات للإمام البخاري أنه يفسح له سبعون ذراعاً، وللإمام القرطبي في حديث البراء بن عازب: «مد البصر»، وفي رواية للسيدة عائشة: «أربعون ذراعاً». قال القرطبي: ولا تعارض بين هذه الروايات لأن هذا يختلف باختلاف الأشخاص باعتبار أعمالهم اه. فقد طلب الذاكر أن يكون قبره واسعاً لأن الأمان من الشدة هو الواسع، وأما الوحدة فإنما هي على المنافق والكافر، وأما من مات على قول لا إله إلا الله فليس عليه وحشة في قبره كما في الحديث: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم» اه.

إلهي الأمان الأمان في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة

لما طلب الأمان من الله في القبر وسائر أحواله طلب منه الأمان في الموقف يوم القيامة - يعني يوم حشر الناس إلى الموقف - قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] أي: من سني الدنيا. قال الحسن: هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا، ليس معنى أن مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون غيره من الأيام لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود آخر له ولو كان له آخر منقطعاً وهذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين، قال ابن عباس: يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله ﷺ: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما طول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا» اهـ. ذكره الخازن، وفي الدر المنثور: أخرج عبد الرازق عبد بن حميد عن إبراهيم التيمي رضي الله عنه قال: «قدر يوم القيامة على المؤمن قدر ما بين الظهر إلى العصر». وأخرج عبد بن حميد بن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «يشد كرب يوم القيامة حتى يلجم الكافر العرق»، قيل: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: «يوضع لهم كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام، ويقصر ذلك اليوم عليهم ويهون حتى يكون كيوم من أيامكم هذه». وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في البعث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال: «ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر» اهـ. منه بلفظه.

إلهي الأمان الأمان يوم يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

اعلم أن حقيقة الصور على ما قاله العلامة النفراوي: قرن من نور فيه ثقب على عدد الخلائق تجتمع فيه الأرواح لا تخطيء روح ثقبها من الصور. قال العلامة الأمير: إن الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاج فيها كوة بقدر تدوير السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوة. وفي اليواقيت للشعراني: أنه على صفة القرن. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاج، ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلق به، ثم قال: كن، فكان إسرافيل فأمره أن يأخذ الصور فأخذه، وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة لا

تخرج روحان من ثقب واحد، وفي وسط الصور كوة كاستدارة السماء والأرض إسرائيل واضع فمه على تلك الكوة، ثم قال الرب تبارك وتعالى: قد وكلتك بالصور فأنت للنفخة والصيحة، فدخل إسرائيل في مقدم العرش فأدخل رجله اليمنى تحت العرش وقدم اليسرى ولم يعض طرفه منذ خلقه الله ينظر متى يؤمر به اهـ. وفي المواهب اللدنية زيادة على هذا ولفظه: ثم تجتمع الأرواح كلها في صور ثم يأمر الله إسرائيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها. قال شارحها الزرقاني قوله: فتدخل كل روح في جسدها ثم يأمر الله جبريل أن يدخل يده تحت العرش فيحركها حتى تنشق فينفضهم على الأرض، فإذا هم قيام ينظرون اهـ. فقوله: ففزع أي: فصعق من في السموات ومن في الأرض، أي: ماتوا والمعنى أنه يلقي عليهم الفزع إلى أن يموتوا، وقيل: ينفخ إسرائيل ثلاثة نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين إلا من شاء الله. روى أبو هريرة أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] قال: «هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش - وقيل: يعني جبريل، وميكائيل، وإسرائيل، وعزرائيل - فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الأربعة». وفي الدر المنثور: أخرج أبو يعلى والدارقطني في الأفراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سئل جبريل - عليه السلام - عن هذه الآية: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ [الزمر: ٦٨] من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم قال: هم الشهداء مقلدون بأسيافهم حول عرشه تتلقاهم الملائكة عليهم السلام - يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من ياقوت أزمتها الدر برحائل السندس والإستبرق، نمارقها ألين من الحرير، خطاها مد أبصار الرجل يسيرون في الجنة، يقولون عند طول البرهة: انطلقوا بنا إلى ربنا ننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك إليهم إلهي وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه» اهـ منه.

إلهي الأمان الأمان يوم زلزلت الأرض زلزالها

طلب من الله تبارك وتعالى الأمان في هذا اليوم الشديد فقوله: زلزلت أي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة، وقيل: تنزل من شدة صوت إسرائيل حتى ينكس كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء. وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما، وهو قول الأكثرين أنها في الدنيا وهي من اشتراط الساعة، والثاني، أنها لزلزلة يوم القيامة.

إلهي الأمان الأمان يوم تشقق السماء بالغمام

طلب أيضاً من الله تبارك وتعالى الأمان في هذا اليوم وهو يوم تشقق السماء بالغمام عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضبابة ولم يكن لبني إسرائيل في تيههم. قال الشيخ سليمان الجمل في حاشيته على الجلالين. هو سحاب أبيض فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثقله كذلك، فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله يشقها وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه الملائكة أي ملائكة كل سماء، فينزل أولاً ملائكة السماء الدنيا وهم أزيد من أهل الأرض من إنس وجن، ثم ملائكة السماء الثانية وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا وهكذا، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية، اصطفوا حول العالم المجموع في الحشر صفاء، وإذا نزل ملائكة السماء الثالثة اصطفوا خلف هذا الصف صفاء آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار والهرب اهـ. من الشيخ زاده بنقل الجمل.

إلهي الأمان الأمان يوم تطوي السماء كطي السجل للكتاب

طلب أيضاً من الله تبارك وتعالى الأمان في هذا اليوم يعني يوم القيامة، قال ابن عباس: السجل الصحيفة والمعنى كفى الصحيفة على مكتوبها، والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر، وقيل: السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد إذا رفعت إليه اهـ. ف قوله: تطوى - بالتاء - مضارع طوى وفيه ضمير مستتر هو الفاعل يعود على الله، والسماء: مفعول له.

إلهي الأمان الأمان يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار

طلب من الله تبارك وتعالى أن يؤمنه يوم تبديل الأرض وهو يوم القيامة، قال الشيخ حسن في مشاركته: اعلم أنه قد اختلفت الأحاديث والآثار في الأرض المبدلة، قال الإمام السيوطي: قد وقع الخلاف قديماً للسلف في ذلك، قال: وهل التبديل تغيير ذاتها أو صفاتها فقط فرجع الأول ابن أبي جمرة، وأشار إلى أن أرض الدنيا تضمحل وتنعدم وتتجدد أرض الموقف، والسرف في ذلك أن هذا اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن المحل الذي يكون فيه ذلك يكون طاهراً من عمل المعصية والظلم وليكون تجليه سبحانه وتعالى على أرض تليق بعظمته.

قال الحافظ ابن حجر: لا تنافي بين تبديل الأرض وأحاديث صفتها والزيادة فيها والنقصان منها لأن ذلك كله لا يقع لأرض الدنيا وأرض الموقف غيرها، فإنهم يزحفون من أرض الدنيا بعد تغييرها بما ذكر إلى أرض الموقف. وقال القرطبي: جمع صاحب الإيضاح بين هذه الأخبار بأن تبديل السموات والأرض يقع مرتين: أحدهما، تبديل

صفاتها فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر الكواكب وتخسف الشمس والقمر وتصير السماء كالمهل وتكشف عن الرؤوس وتسير الجبال، وتصير الجبال ناراً وتمزج الأرض وتنشق إلى أن تصير الأرض غير الهيئة. ثم بين النفختين تطوى السماء وتبدل سماء أخرى وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] الآية، وتبدل الأرض فتمد مد الأديم وتعاد كما كان فيها القبور. وتبدل أيضاً تبديلاً ثالثاً: وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الأرض التي يقال لها الساهرة ويحاسبون عليها وهي عفراء بيضاء من فضة لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها معصية، وحينئذ تقوم الناس على الصراط وهو لا يسمع جميع الخلائق. قال عبد الله: إنها أرض من نار اهـ.

قال السيوطي: وتقدم كلام البيهقي في جمع حديثي مسلم، فالتأمت الأخبار جميعها والله الحمد. قال: وأما الخلائق عند التبديل فإنهم يكونون على الصراط، قال: ويدل لذلك ما أخرجه مسلم عن ثوبان قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال: «هم في الظلمة دون الجسر»، وأخرج مسلم عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] أين الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط» مجاز لكونهم يجاوزونه فيوافق قوله حديث ثوبان دون الجسر لأنها زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها ولأن ذلك عند الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الموقف. قال العلامة النفراوي على الرسالة وتكون الخلق وقت التبديل على الصراط ثم بعد التبديل يردون إلى الأرض المبدلة فيحشرون عليها اهـ، وقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا﴾ [إبراهيم: ٤٨] يعني خرجوا من قبورهم لله يعني لحكم الله وللوقوف بين يديه للحساب والواحد القهار صفتان لله تعالى، فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

إِلَهِي الْأَمَانَ الْأَمَانَ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً
طلب أيضاً الأمان من الله تعالى في هذا اليوم وهو يوم القيامة فقوله تعالى: ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ [الكهف: ٥٧] يعني من خير أو شر مثبتاً في صحيفته ينظر إليه يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ [النبا: ٤٠] قال عبد الله بن عمر: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش، ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص الشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ القصاص قيل

لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ اهـ. نقله الخازن، وفي الدر المنثور: أخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: تقاد المنقورة من الناقرة والمركوضة من الراكضة والجلحاء من ذات القرون والناس ينظرون، ثم يقول: كوني تراباً لا جنة ولا نار، فذلك حين يقول الكافر ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ اهـ.

إلهي الأمان الأمان يوم ينادي المُنَادِي من بطنان العرشِ أين العاصون وأين المُذنبون وأين

الخاسرون هلموا إلى الحسابِ وأنت تعلم سري وعلايتي فاقبل معذرتي

طلب أيضاً الأمان من الله تعالى في هذا اليوم وهو يوم القيامة، قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِجْ يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤٠]: هو إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر، فيقول: يا أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللجوم المتمزقة والشعور المفترقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فقوله: بطنان - بضم الموحدة وسكون المهملة - وسط العرش، وقوله: أين العاصون: جمع عاص وهو من كان في المشيئة من هذه الأمة، والمذنبون: جمع مذنب وهو الآثم من هذه الأمة، والخاسرون: جمع خاسر وهو المنافق والكافر الآيسان من رحمة الله تعالى. واعلم أن هذا النداء يكون عقب النفخة الثالثة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ١٨] أي أمماً مع كل أمة إمامهم، وقيل: زمراً وجماعات. وروي من حديث معاذ بن جبل، قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ١٨] فقال النبي ﷺ: «يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم» ثم أرسل عينه باكياً، ثم قال: «يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم ووجوههم يسبحون عليها، وبعضهم عمي مترددون، وبعضهم ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهَهُ لَا يَقْلُتُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جلايب سابغة من قطران لاصقة بجلودهم؛ فأما الذين على صورة القرود فالقتات من الناس - يعني النمام - وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس، وأما المنكوس رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا، وأما العمي فهم من يجوز في الحكم، وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم،

وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمتنعون حق الله من أموالهم، وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء» اهـ. ذكره القرطبي، وقوله: «هلموا - بضم اللام-» قال في المصباح: هلم كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء كما يقال تعالى، ثم قال: وفي لغة نجد تلحقة الضمائر وتطابق فيقال هلمي وهلما وهلموا وهلمى لأنهم يجعلونها فعلاً فيلحقونها الضمائر قم اهـ باختصار، وقوله: وأنت تعلم سري أي ما ينطوي عليه ضميري وعلانيتي أي جهري وقوله: فاقبل معذرتي - بفتح الباء الموحدة - فعل أمر من قبل بكسرهما من باب تعب، والمعذرة - بفتح الميم وكسر الذال المعجمة - بمعنى العذر وهو رفع اللوم عن الشخص المعتذر، قال رسول الله ﷺ: «من لم يقبل عذراً من معتذر صادقاً كان أو كاذباً لم يرد على الحوض» وقال بعض الحكماء: شفيح المذنب إقرار بتوبته اعتذاره، وقال بعض الحكماء: التكريم أوسع المغفرة إذا ضاقت بالمذنب المعذرة، وقال بعض الشعراء:

العذر يلحقه التحريف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي أرب
وقد أسأت فبالنعمة التي سلفت إلا مننت بعفو ما له سبب
وحكى الأضمعي عن بعض الأعراب أنه قال: تناس مساوي الإخوان يدم لك
ودهم. وأوصى بعض الأدباء أخاً له فقالت: كن للود حافظاً وإن لم تجد محافظاً،
وللتخلي مواصلاً وإن لم تجد مواصلاً. وقال رجل من إياد ليزيد بن المهلب:

إذا لم تجاوز عن أخ عند زلة فلست غداً عن عثرتي متجاوزاً
وكيف يرجيك البعيد لنفسه إذا كان عن مولاك خيرك عاجزاً
ظلمت أخاً كلفته فوق وسعه وهل كانت الأخلاق إلا غرائزاً
وقال أبو مسعود كاتب الرضي: كنا في مجلس الرضي فشكا رجل عن أخيه،
فأنشد الرضي:

أعذر أخاك على ذنوبه واستر وغط على عيوبه
واصبر على بهت السفية وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً وكل الظلوم إلى حسيبه
واعلم بأن الحلم عند الغيظ أحسن من ركوبه
وقال بعض الشعراء:

إذا ما بد من صاحب لك زلة. فكن أنت محتملاً لزلته عذراً

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه
سلم دواعي الصدر لي باسط أذى
وكان أسماء بن خارجة يقول: ما أتاني أحد بما أكره إلا أخذت عليه بثلاث خصال
فإذا كان فوقى عرفت له فضل التقدم فاتبعته، وإن كان دوني صفت نفسي عنه، وإن كان
مثلي تفضلت عليه. ونظم محمود الوراق هذه الكلمات الثلاث في هذه الأبيات فقال:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
فما الناس إلا واحد من ثلاثة
فأما الذي فوقى فاعرف فضله
وأما الذي دوني فإن قال منكرا
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا
وقال آخر:

إذا كان دوني من بليت بجهله
فإن كنت أدنى منه في العلم والحجا
وإن كان مثلي في محل من النهي
ولأبي فراس الحمداني:

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني
يحيى الجليل فاستحل جنايته
يحنى عليّ وأحنو دائماً أبدا
اهـ. وقد روي عن بعض الصالحين:
يحاسبه الله تعالى وهما:

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
وقال آخر:

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً
فإن الشفافعي روى حديثاً
عن المختار إن الله يمحو
اهـ.

كأنه به عن كل فاحشة وقرا
ولا مانع خيراً ولا قائل هجرا
وإن عظمت منه على الجرائم
شريف ومشرف ومثل مقاوم
واتبع فيه الحق والحق لازم
صفحت له عنه وإن لام لائم
تفضلت إن الفضل بالحكم حاكم
أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
عرفت له حق التقدم بالفضل
أردت لنفسي أن أجعل عن المثل
ليست مواخذه الإخوان من شأني
حتى أدل على عفوي وإحساني
لا شيء أحسن من حان على جان
أن من مات وهو يحفظ هذين البيتين لم

إلهي آه من كثرة الذنوب والعيصيان

تضرع إلى الله تعالى وتوجع من كثرة ذنوبه وعتيانه فقوله: آه - بمد الهمزة - وبنائه على الكسرة منوناً خلافاً لما يوجد في بعض النسخ من تسكينها، قال ابن حجر الهيثمي: كلمة توجع، أي: توجعي عظيم وتندمي رائد دائم، وفي القاموس كلمة تقال: عند الشكاية أو التوجع اهـ. زاد شارحه الشيخ مرتضى: والتحزن وهذا التوجع مفيد للندم وفي الحديث: «الندم توبة» أي معظم أركانها كالحج عرفة.

آه من كثرة الظلم والجفاء

توجع وتحسر على الحال التي ابتلي بها من كثرة الظلم - بضم الطاء المشالة وسكون اللام - وهو وضع الشيء في غير موضعه، والجفاء بالمد وهو الإعراض عن الشيء والمراد به هنا الإعراض عن الله تعالى بعدم التوبة والرجوع والإنابة إليه.

آه من دفع المطرود

تحسر أيضاً وتوجع خوفاً من طرده ودفعه عن رحمة الله تعالى ومؤاخذته بذنوبه، ودفع - بفتح الذال المهملة وسكون الفاء - ومصدر دفعته دفعاً نحيته وأزلته، والمطرود - بفتح الميم وسكون الطاء المهملة - اسم مفعول من طرده عن البلد أي أخرجته منه.

وآه من نفس المطبوع بالهوى من الهوى

توجع وتحسر أيضاً من نفس من طبع الله على قلبه بالهوى من الهوى وهو ما تهواه النفس وتميل إليه من كل أمر مذموم شرعاً، قال الشيخ المختار الكنتي في كتابه: «فتح الودود» ما نصه: فالهوى بمنزلة الملك والنفس زوجته والشيطان وزيره، والشهوات حباؤه وأسلحته وأعمال السوء جنوده، والدنيا زوجته ووزيره إبليس، قال عليه السلام: «لا يزال المؤمن في جهد جهيد حتى يلاقي ربه لأنه لا يزال بين منافق يؤذيه، وكافر يعاديه، وفاسق يحسده، وشيطان يعده، ونفس تشتيه، ودنيا تستهويه، وهوى يكابده، فإن جاهد الكل وصابرهم وتوكل على الله كفاه شرهم ووقاه ضرهم، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ» [الطلاق: ٣] اهـ منه.

اغثني يا غياث المستغيثين اغثني عند تغير حالي

لما توجع وتحسر من هذه الأوصاف الذميمة والخصال الرذيلة استغاث إلى الله

تعالى وتضرع إليه أن ينقذه منها، وقوله: أغثني عند تغير حالي، أي: عندما أميل عن الحق وأزيغ عن الهدى وأضل عن الطريق المستقيم.

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ الْمَذْنِبُ الْمُجْرِمُ الْمَخْطِئُ

اعترف لله تعالى وأقر على نفسه بأنه مذنب أي: مرتكب للذنوب والسيئات، ومجرم بضم الميم وسكون الجيم وكسر الراء اسم فاعل من أجرم إذا أذنب واكتسب الإثم والمخْطِئُ بضم الميم وسكون المعجمة وكسر الطاء اسم فاعل من أخطأ أذنب على غير عمد، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وقال رسول الله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه».

أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ يَا مُجِيراً ثَلَاثاً

طلب من الله تعالى أن يجيره، أي: ينقذه وينجيه من النار، ثم دعا إلى الله تبارك وتعالى بقوله: يا مجير، أي يا مؤمن من يخافه وكرر هذا الطلب ثلاثاً لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال كل يوم إذا أصبح: اللهم أجرنى من النار سبع مرات، قالت النار: اللهم أجره مني».

اللَّهُمَّ إِنْ تَرَحَّمْنِي فَأَنْتَ أَهْلٌ وَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنَا أَهْلٌ

طلب من الله أن يرحمه بمحض فضله وكرمه وجوده وإحسانه من غير استحقاق منه لرحمته لأن الله تعالى أهل لأن يرحم عباده، ثم رجع على نفسه باللوم والتوبيخ والعتاب إن لم يرحمه الله بأن عذبه فإنه أهل أي مستحق للعذاب.

فَارْحَمْنِي يَا أَهْلَ التَّقْوَى وَيَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ

طلب أيضاً من الله تبارك وتعالى أن يرحمه وناداه: يا أهل التقوى، أي: يا من هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه، ثم ناداه أيضاً بقوله: ويا أهل المغفرة، أي: يا من هو حقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم، وقيل: هو أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه. عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أهل أن اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له»، أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب. وفي الدر المنثور: أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن

الحسن رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أنا أكرم وأعظم عفواً من أن أستر على عبد لي في الدنيا ثم أفضحه بعد أن سترته ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرتني»، قال رسول الله ﷺ: «إني لأجدني أستحي من عبدي يرفع يديه إلي ثم أردهما، قالت الملائكة: إلهنا ليس لذلك بأهل، قال الله: لكني أهل التقوى وأهل المغفرة أشهدكم أنني قد غفرت له». قال رسول الله ﷺ: «ويقول: إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما بعد ذلك في النار» اهـ. منه.

وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

دعا الله تبارك وتعالى باسمه أرحم الراحمين، وقد تقدم أن هذا الاسم قيل فيه هو اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى.

وَيَا خَيْرَ النَّاصِرِينَ

أي: يا خير من نصر المسلمين على الكافرين يعني نصر النبي ﷺ وأصحابه وهزم الكفار والمشركين، قال ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

وَيَا خَيْرَ الْغَافِرِينَ

يعني أن كل من سواك إنما يغفر الذنوب طلباً للثناء الجميل أو لدفع ضرر وأما أنت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل بمحض الفضل والكرم فأنت خير الغافرين.

حَسْبِيَ اللَّهُ وَخَدَهُ

يعني: يكفيني الله فقوله: وَخَدَهُ، أي: لا شريك في كفايتي واعتمادي والتجائي واستنادي وملاذي فلا أعتمد ولا ألتجئ إلى أحد سواه.

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

قوله: بِرَحْمَتِكَ جَارٍ وَمَجْرُورٍ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: فَارْحَمْنِي، أي: بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] ولما كانت الصلاة على سيد السادات وأشرف المخلوقات سبباً قوياً لنيل الحاجات وسلاماً يرقى به لأعلى الدرجات وحبلاً منيعاً في قضاء الأوطار والتوصل لكل مراد ونيل جميع الأسرار ختم بها الذاكر دعاءه، فقال:

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

ختم المصنف رحمه الله بالصلاة على النبي ﷺ لما ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه:
الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى يصل على النبي ﷺ،
وروى عن الصحابة رضي الله عنهم أنه ما من مجلس يصل فيهِ على محمد ﷺ إلا
فاحت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء، فتقول الملائكة: هذا مجلس صلى فيه
على محمد ﷺ اه، ذكره في دلائل الخيرات ورحم الله من قال:

إن الصلاة على المختار إن ذكرت	في مجلس فاح منه الطيب إذ نفحا
فاسكر القوم رياء فتعرفه الأ	ملاك لما تبدى النور واتضح
والقوم في حضرة بالذكر طيبة	هذا ومحبوبهم في القلب ما برحا
محمد أحمد المختار من مضر	أزكى الخلائق جمعاً أفصح الفصحا
صلى عليه إله العرش ثم على	أهله والصحب نعم السادة النصحا



خاتمة

ختم الله لنا ولجميع المسلمين بكلمة الشهادة ومن علينا بالحسنى وزيادة. وأسكننا بمنه وكرمه الفردوس الأعلى، وجعل لنا جوار نبينا ومولانا محمد ﷺ مستقراً ومنزلاً. هذا وقد تقدم لنا طالعة الكتاب، الاعتراف بأني لست من ذوي الألباب حتى أصنف العلم وأدونه وأجمعه وأقيده، ولكن حملني على تصنيف هذا الكتاب ما أخرجني الديلمي في مسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل يترك ورقة من العلم إلا تقوم له تلك الورقة ستراً بينه وبين النار، وإلا بنى الله له بكل حرف مكتوب في تلك الورقة مدينة من الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات» اهـ.

ولما كان الكلام على ألفاظ السيوفي ودعاء المغني طويل الذيل طويينا أطناب الأطناب، واقتصرنا على ما لا بد منه معترداً لذوي الألباب فلم يبق لنا إلا التملق والتضرع بين يدي المولى الكريم في أن يتجاوز عن سيئاتنا ويقبل عثرتنا وبقبل عذرنا فأقول: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك ولعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي اللهم إنا نتوسل إليك بحب الصالحين لك فإنهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك فتمم لنا ذلك مع العافية الشاملة التامة الكاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك بعظمتك وجلالك ونضرع إليك بذلتك العلية وكمالك أن تاخذ بأيدينا أخذ الرأفة والحنان وأن توقفنا لعمل يفضي بنا إلى الجنان، ونور بصائرنا بنور معرفتك، وأوزعنا يا مولانا شكر نعمتك، وهب لنا من لدنك توفيقنا مجدداً، واجمعنا مع الأهل والأحبة تحت ظلك لا تسخط فيه علينا أبداً، اللهم اغفر ما علمت من ذنوبنا، وأصلح ما ظهر وما بطن من عيوبنا، واعتق من النار رقابنا، ويسر إلى الخيرات أسبابنا وهذب أخلاقنا ووسع أرزاقنا، ودارك بالجبر انكسارنا، وأرنا قرة العين في أزواجنا وأولادنا، واغفر لآبائنا وأشياخنا وإخواننا، ولا تبق علينا تباعة لأحد من خلقك، ولا تؤاخذنا بما ضيعنا من حقك، فأنت ذو الكرم والجود، وذو الفضل الذي لا تحصره الحدود فأقل عثرتنا، وتقبل توبتنا، وأجب دعاءنا، وحقق في نوالك رجاءنا

لا ترد بالخيبة أيدينا الممتدة إليك، ولا تقابل بالحرمان رجاءنا المعتمد عليك بحرمة نبيك ومصطفاك، وحبيبك ومجتباك، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً. قال مقيده عبید ربه وأقل العبيد طالباً من الله بمنه التوفيق والتأييد، وغفران ذنوبه يوم الموقف الشديد، وسكنى الفردوس هو ووالده وجميع من انتمى إليه وكل مؤمن رشيد، في مجاورة سيدنا ومولانا محمد صاحب الوصف الحميد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ذوي الرأي الشديد، محمد بن الحسن بن عبد الله الفاسي منشئاً ومحتدأً، المالكي مذهباً التيجاني طريقة ومورداً، سلك الله به سبيل أهل الرشيد والهدى، ووقاه من طريق الغي والردى وجعل آخر كلامه لا آله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ.

وافق الفراغ من تبييضه صبيحة يوم الجمعة سادس عشر شعبان المعظم عام تسعة عشر بمشاة أولى وثلاثمائة وألف ١٣١٩، ورزقنا الله خيره ووقانا ضيره بمنه آمين والحمد لله رب العالمين، وأقول مقتدياً بقول القائل:

كتبت كتاباً باليمين وإنني
واسأل من رائي الحروف دعاءه
وبغضي عن الزلات عيناً فإنني
ولكنه للقارئین إعانة
رجوتك يا غفار مغفرة الذنب
بخير وبالحسنی ورضوان من رب
كتبت وكتبي قل بعيد من الكتب
ولا سيما أهل العبادة والقرب

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحمد لله، ومما كتبه شيخنا وسيدنا الفقيه الجليل، الحافظ العلامة النبيل المحقق المشارك المثل، المقدم الذكر الأجل، البركة الناسك الأفضل، الرئيس في غالب الفنون، أبو عبد الله سيدي الحاج محمد فتحا بن المنعم سيدي محمد بن عبد السلام سحنون، وحفظه الله ونصه: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، إن أول ما يشتغل به العاقل الأريب، النكيس، اللبيب، هو ذكر الله في السر والإعلان، بقلب واللسان، ولو لم يرد في فضله إلا قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فجعل جزاء ذكر العبد له تعالى ذكره سبحانه لعبد، وقوله سبحانه: ﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله في الحديث القدسي: «من شغلته ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» لكان فيه الشفاء والغنيمة.

هذا وإن من أعظم الأذكار قدراً، وأكثرها أجراً، الحزب السيفي المسمى بالحزب

اليمني المنسوب للإمام مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد وضع عليه ولدنا الفقيه النجيب الحي الأريب، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله هذا التقييد المبارك الحفيل الذي هو محل ألفاظه وبيان معانيه وفضله وخواصه كفيل جزى الله مؤلفه خيراً، وأعظم له مثوبة وأجزل له أجراً ونفعه ونفع به آمين، والحمد لله رب العالمين، وكتبه عبد ربه وأسير ذنبه محمد سحنون وفقه بمنه اه. من خطه مباشرة.

ومما كتبه شيخنا الشريف الخطريف: العالم العلامة العفيف، الفاضل الأريب، سيويه زمانه، ومعدن اللغة بين أقرانه، الماجد الأصيل، المحقق النحرير النبيل، أبو الضياء سيدي خليل، ابن الشريف العلامة، الدراكة الفهامة، سيدي صالح الخالدي الحسني ونصه: حمداً لمن فتح أبصار الذاكرين أهل العرفان، وخصهم بما جبلوا عليه من الأذكار بالمحبة والغفران، وأمدهم بالفتوحات والمعارف والأسرار، فنالوا من الفهوم اقتطاف الأنوار، وشم انتشاق الأزهار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بحر الجود والكرم، ومركز العلوم ومفتاح كل خير لأولي الهمم، وعلى آله وأصحابه ذوي الفتح النوراني، الفائض عليهم من نوره العرفاني.

وبعد: فقد وقف كاتبه سامحه الله بمنه على هذا الشرح الحفيل الذي هو بمهمات مشروحه كفيل، تقييد ولد الروح وصفى التخلان، الفقيه الأستاذ تبر الهمة في العلوم والبرهان المسمى بإتحاف الخل الوافي، على ألفاظ الحزب السيفي، فإذا هو شرح جليل القدر والمقدار، كفيل بحل ألفاظه وتحرير معانيه بعبارة مشرقة الأنوار زائفة واضحة لمن رام نيل فضل الله المدرار، فلقد حصل فيه وأفاد، وأوضح وأجاد وكشف عن محياه النقاب، وأزاح عن مكنونات فضائله ومحاسنه الحجاب، فجزاه الله خيراً، وأناله مثوبة وأجراً وخلص أعماله، وزكى أفعاله، وأنار قلبنا وقلبه بأنوار العلوم اللدنية، وأفاض علينا وعليه من بحار الإدراكات الفهوم النورانية الملكوتية وجعل سعينا وسعيه رابحاً، ومتجره نامياً ناجحاً، وختم لنا وله بحسن الختام، وحشرنا في زمرة المنعم عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين في دار السلام.

أمين آمين للأراضي بوحدة حتى أضيف لها آلاف آمين
وكتبه أسير هواه الراجي عفو مولاه في سره ونجواه خليل بن صالح الحسني
الخالدي وفقه الله اه من خطه مباشرة.

ومما كتبه شيخنا وأستاذنا الفقيه الأجل العالم العلامة المحدث الأمثل البركة

الفاضل المبجل المحقق في جميع الفنون أبو محمد سيدي التهامي بن المدني كنون حفظه الله وأدام النفع به ورزقنا علمه المكنون ونصه الحمد لله بإفادة هذا الشرح ونفعه وحسن ترتيبه وجمعه وكمال تقريره ومزيد تحريره ودعوى الحاجة لمثاله وصحة مسائله ونفله يقول أيضاً الفقير إلى رحمة ربه محمد التهامي بن المدني على كنون كان الله له ولجميع المسلمين فيما كان ويكون اه من خطه مباشرة.

ومما كتبه أخونا في الله وحبينا الأواه الفقيه النبيه العلامة المحقق النزيه المقدم الذاكر الوجيه أبو عبد الله سيدي محمد ابن السيد الحاج محمد بناني حفظه الله وجمعنا وإياه في دار التهانى مع شيخه القطب الرباني، أبي العباس سيدنا ومولانا أحمد التيجاني، بمتة وكرمه أمين ونصه: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فلما طالع كاتبه وفقه الله هذا الشرح الحفيل، الذي هو بمهمات مشروحه كفيل، جمع أخينا في الله، وحبينا الأواه الفقيه النبيه، العالم النزيه، سيدي محمد بن عبد الله، وجده شرحاً جامعاً لشتات الفوائد، محتوياً على الثمين من الجواهر والفوائد فلقد حصل فيه وأفاد، وأوضح وأجاد، وكشف فيه عن محيا مشروحه النقاب، وأراح عن محاسنه وفضائله الحجاب، فجزى الله مؤلفه خيراً، وأناله مثوبة وأجرأ، وعمنا وإياه بعطفه من شيخنا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم أبي العباس مولانا أحمد التيجاني ووالدينا وجميع الإخوان بمتة وكرمه أمين وكتبه عبد ربه وأفقر الورى إليه محمد بن محمد البناني، سقاه الله من بحر شيخه بأعظم الأواني والحمد لله رب العالمين اه، من خطه حفظه الله.

ومما كتبه أخونا في الله الحبيب اللبيب، الفقيه العلامة الأديب المحقق الدراكة الأجل، المدرس النافعة الأمثل، الذاكر الناسك الأفضل، سيدي محمد الفاطمي ابن سيدي محمد الشراذي أدام الله وجوده وأطلع في سماء المعالي نوره وشهوده، وأمدنا إياه بعطفه شيخنا الغوث الأشهر العارف الأكبر، مولانا أبي العباس التيجاني رحمته الله وسقانا من فيض مدده النوراني أمين ونصه حمداً لمن ألهم أهل السعادة، حتى حازوا الحسنى والزيادة وشكر الموفق ذوي المجادة، لمنهج العناية والإفادة أفاض عليهم تعالى فضله فتحدثوا وأيدهم بروحه فنفتوا، فيا سعد من أسهم معهم له بنصيب، ويا فوز من نودي بينهم بالحبيب والقريب، فهم القوم لا يشقى جلسهم، والرجال الذين لا يحرم أنيسهم،

ويا خسارة من حيل بينه وبين ربوعهم، فلم يمنح بحبهم ولا شرب من ينبوعهم هذا وإن ممن أكرم والحمد لله في هذه الأعصار، بجملة صالحة من الفتوحات والأسرار، أخونا في الله الفقيه النبيه، الحي النزيه، سيدي محمد بن عبد الله فقيده وأجاد، وغاص وأفاد، خصوصاً تقييده المحلي نهديه المحب الفاني على الحزب السيفي والحرز اليماني، فقد راجعت ما تيسر منه مع بعض العوائق عن استيفائه فوجدته في بابه نافعا، وللمفيد جامعاً، مرصعاً بجواهر عديمة المثال، ومطرزاً بلبابات منيعة المثال، جزاء الله تعالى بفضلته أحسن ما جازى عاملاً فيما استعمله، وفاعلاً في مفعوليه جعله، وجعل ذلك من الأعمار التي خلت من كنه صاحبها، فلم يسود وجه أصلها بصورة كاسيها وجعلنا جميعاً ممن من عليه برضاه الكريم وفيضه العميم، وأفاض علينا من دائرة فضله الخارجة عن الدوائر، التي هي ملحظ أهل الفتح والبصائر، إنه كريم ذو الفضل العظيم، أمين، وكتبه أفقر الوري إلى مولاه الراجي عفو سيده في سره ونجواه محمد الفاطمي بن محمد الشراذي لطف الله به وبالمسلمين اه، من خطه حفظه الله.

ومما كتبه أخونا في الله الفقيه الأجل، الفاضل الذاكر المبجل، الأديب البليغ الأنبل، المحرر النحرير الأمثل، المقدم الناسك الرئيس، أبو محمد سيدي الحاج عبد الكريم ابن الحاج العربي بنيس، حفظه الله ونفع به ورزقنا وإياه عطفه شيخنا أبي العباس التيجاني رحمته الله وسقانا من فيض مدده ونصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما بعد: فقد راجعت هذا الشرح المبارك الحفيل الموضوع على الحزب السيفي المنسوب لسيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه الذي هو لأخينا في الله الشيخ وحبينا الفقيه النبيه، العدل الوجيه سيدي محمد بن عبد الله مراجعة تنفع وبصحيح، من غير إغضاء ولا تلوح، ونبهت على عثرت عليه ببضاعتي المزجاة مما لا تخلو عنه المبيضات نصيحة لأخويه، ورجعته له حتى تداركه بالإصلاح لحسن طويته فجاء بحمد الله ممتع العبدان والإسماع، كفيلاً بالفوائد بلا نزاع، رفيع المقدار، خزانة الأسرار، جزى الله مؤلفه أحسن الجزاء وأبلغه منتهى الرجاء، وعمنا وإياه بعطفه شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم مولانا أحمد التيجاني ووالدنا وجميع الأحباب أمين وكتبه عبد ربه الفقير، ذو العجز والتقصير عبد الكريم بن العربي بنيس لطف الله به أمين اه، من خطه حفظه الله.

ومما كتبه أخونا في الله الفقيه الأديب، الذي انطوت على محبته جوارحنا لصفاء

سره الحبيب، تحفة الخلان، وفصيح الأقران، اللودعي اللبيب، الغطريف النبيه الأديب، مماثل سبحان في الفصاحة، وفائق الخليل في البلاغة صاحب التأليف العديدة ونظم المسائل المعضلة فتضحى مفيدة، والمشمر عن ساعده، في عبادة ربه على التمسك بالسنة يعرج: أبو العباس سيدي أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج، حفظه الله وأدام به النفع وسقانا وإياه من فيض مدد شيخنا بنوره العرفاني من غير نزع بمته وكرمه آمين.

ونصه: حمداً لمن فتح باب القبول بمريد الآلاء لكل من شكره واستوجب ذكره الجميل في مقصد الصدق عنده كل من ذكره، وأصلي وأسلم على عين الرحمة، سيدنا ومولانا محمد الواسطة في كل نعمة، وعلى آله وأصحابه الأعلام، ما قلبت وجه الصفحات الأعلام.

وبعد: فيقول العبد الذي لا يزال على أبواب فضل ربه يعرج، أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج، غفر الله له ولوالديه، وأحسن لهما وإليه مع كافة الإسلام، بجاه النبي ﷺ، لما وقفت على الشرح المسمى: هديه الأخ المحب الفاني، بحل ألفاظ الحرز اليماني شرح أخينا في الله الصاحب الصادق، والحبيب الموافق، الفقيه الأجد سيدي محمد بن عبد الله، الملحوظ بعناية مولاه، وجدته شرحاً جامعاً لشتات الفوائد، محتويماً على الثمين من الجواهر والفوائد، فما هو إلا كنز للأسرار جامع، وينبوع عرفان بالهداية نافع، وروض علم بالمعارف يافع، وكوكب في أفق العلم طالع، ونور في الغياهب ساطع، ومرهم لعضال الجهل نافع، فيا له من شرح به انشروحت صدور الأحبة فنسأل الله تعالى أن يجعله إليه أعظم قربة، وأن ينفعنا وإياه بالعلم مع أهله، ويدخلنا جميعاً من باب كرمه وفضله، إنه رب كريم، غفور رحيم، وحين دعاني لتقريظه داعي وداده، قلت في ذلك مجيباً لمراده:

هذي جواهر رصعت بزبرجد	في نظم مرجان بسلك عسجد
جمعت على نسك عجيب وضعه	عقداً نضيداً مثله لم يوجد
وتقلدته غزالة فتانة	تسبي العقول بنورها المتوقد
وأنت تدير كؤوس أسرار على	من رام أن يحظى بنيل تودد
قرت بها عين المحب مسرة	ومضرة أضحت لقلب الحسد
فإذا رآها الطالبون تيقنوا	أن الهدى فيها انطوى للمهتدي
لله ما اشتملت عليه من البها	أن الهدى فيها انطوى للمهتدي

فكأنها شرح الفقيه محمد
 من لم يزل بذوي السعادة يفتدي
 أعداؤه بالفضل دون تفند
 شرح لبطيف فيه أعذب مورد
 أبدى علو ما فصلها لم يجحد
 أبوابه للطالب المسترشد
 من قاله يحرز بلوغ المقصد
 تحظى يدك بنيل سر منجد
 خير الخلائق والنبي محمد
 من في الوري بسنى هداهم يهتدي
 والحمد لله رب العالمين اه من خطه حفظه الله .

الله ما اشتملت عليه من البها
 المرتضى العدل المبجل في الوري
 أعني ابن عبد الله من شهدت له
 أو ما ترى ما في الهدى أبداه من
 شرح على حرز اليماني فيه قد
 شرح به كنز الفوائد فتحت
 شرح به ظهرت لطائف حكمة
 فعليك يا صاحبي به إن شئت أن
 ثم الصلاة على الرسول المصطفى
 وعلى جميع الآل والأصحاب مع
 والحمد لله رب العالمين اه من خطه حفظه الله .



فهرس المحتويات

	مقدّمة
٣	المؤلف
٧	مقدّمة الكتاب
١٥	فائدة وتنبيه لكل طالب نبيه
٢٥	بداية الحزب السيفي
١٩٢	خاتمة
١٩٦	بداية الحزب المغني
٢١٧	خاتمة
٢٢٤	الفهرس



الحافظ الحاج العرفي
الناظر الحزب الشفي



الناسد
الحاج حسنه آنو وأولاده
كانو - نيجيريا